سلسلة كتب الأطفال

حياة الصحابة للأطفال

إعداد

حامد أحمد الطاهر



حياة الصحابة - رضي الله عنهم -

للأطفال

إعداد

حامد أحمد الطاهر



الطبعة الاولى

2016



سيرة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

تَحتَ لَهِيبِ الشَّمْسِ الحَارِقَةِ فِي مَكَّةَ، وَفَوْقَ رِمَالِهَا السَّاخِنَةِ مَشَى أَبُو قُحَافَةَ مَعَ وَلَدِهِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى بَيْتِ الْأَصْنَام فِي الْكَعْبَةِ، فَوَقَفَ أَبُو قُحَافَةَ وَقَالَ لِوَلَدِهِ: يَا بُنَيَّ هٰذِهِ آلِهَتُكَ فَاسْجُدْ لَهَا. ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَبُ تَارِكاً وَلَدَهُ الأَبْيَضَ رَقِيقَ الْبَشَرَةِ أَمَامَ هٰذِهِ الْأَصْنَامِ، فَتَوَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى صَنَمٍ مِنْهَا.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، فَلَمْ يَرُدَّ الصَّنَمُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: إِنِّي عَارٍ فَاكْسُنِي، فَلَمْ يُجِبْهُ الصَّنَمُ.

فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ حَجَراً كَبِيراً ثُمَّ رَمَى بِهِ هٰذَا الصَّنَمَ فَوَقَعَ الصَّنَمُ عَلَى وَجْهِهِ فَتَكَسَّرَ، وَعَادَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى بَيْتِهِ وَقَدْ عَلِمَ جَيِّداً أَنَّ الأَصْنَامَ لَا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْطِقُ.

فَشَبَّ عَلَى الْإِيمانِ فَلَمْ يَسْجُدْ لِصَنَمٍ قَطُّ فِي حَيَاتِهِ.

وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ الْقُرَشِيُّ لَا يَعْرِفُ اللَّهْوَ مِثْلَ شَبَابِ قُرَيْشٍ

قَبْلَ الإِسْلام فَلَمْ يَشْرَبْ خَمْراً، وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَعْصِيَةَ، بَلْ عَبَدَ اللهَ تَعَالَى عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَتَاجَرَ فِي أَمْوَالِهِ حَتَّى أَغْنَاهُ اللهُ لِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ.

وفي مَكَّةَ كَانَ لِكُلِّ بَطْنٍ(١) مِنْ بُطُونِ قُرَيش عَمَلٌ يُؤَدُّونَهُ، وَكَانَ (بَنُو تَيْـم) وَهُمْ أَهْلُ أَبِي بَكْرٍ ضُعَفَاءَ، عَدَدُهُمْ قَلِيلٌ، وَمَالُهُمْ قَلِيلٌ، فَلَمْ يَتَوَلَّوْا أَيَّ عَمَلٍ لِقُرَيْش، حَتَّى خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ بَيْنِهِمْ فَكَانَ يَعْطِفُ عَلَى الْفَقِيرِ وَيُسَاعِدُ الْمَظْلُومَ، وَيَنْصُرُ الضُّعَفَاءَ، فَتَوَلَّى أَمْرَ (الدِّيَاتِ)(٢) فِي قُرَيْش يَدْفَعُهَا وَيَزِيدُ عَلَيْهَا فَأَحَبَّهُ أَهْلُ قُرَيْشٍ جَمِيعاً لِحُسْنِ أَفْعَالِهِ، وَجَمَالِ أَخْلاقِهِ.

وَبَيْنَ شِعَابِ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ تَعَرَّفَ أَبُو بَكْر عَلَى الأَمِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ نَبِيّاً بَعْدُ، وَلٰكِنْ جَمَعَهُمَا تَقَارُبُ السِّنِّ، فَأَبُو بَكْرٍ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللهِ بِعَامَيْنِ، وَجَمَعَهُمَا حُبُّ اللهِ تَعَالَى وَعِبَادَتُهُ، وَالأَمَانَةُ، وَفِعْلُ الْخيْرِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ فَكَانَا صَدِيقَيْنِ قَبْلَ الإِسْلامِ.

---

(١) **بَطْنٌ**: فَرْعٌ مِنَ الْقِبيلَة.

(٢) **الدِّياتُ**: جَمْعُ دِيَةٍ، وهو مبلغُ من المالِ يُدْفَعُ لأهْلِ القتيلِ إذا رَضُوا.

وَيَوْمَ أَنْ بَعَثَ اللهُ مَحَمَّداً ﷺ رَسُولًا لِلنَّاسِ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَوَّلَ الْمُؤمِنِينَ بِهِ.

وَقِصَّةُ إِسْلام أَبِي بَكْرٍ قَصِيرَةٌ وَعَجِيبَةٌ، فَلَقَدْ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ لَمَّا عَلِمَ بِبِعْثَتِهِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ؟

قَالَ: وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي يَا أَبَا بَكْرٍ؟

قَالَ: إِنَّكَ تَدْعُو إِلَى اللهِ وَتَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ.

قَالَ: «**نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي بَشِيراً وَنَذِيراً، وَأَرْسَلَنِي لِلنَّاسِ جَمِيعاً**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ مَا جَرَّبْتُ عَلَيْكَ كَذِباً قَطُّ(١)، وَإِنَّكَ لَخَلِيقٌ(٢) بِالرِّسَالَةِ لِعِظَم أَمَانَتِك، وَصِلَتِكَ لِرَحِمِكَ، وَحُسْنِ فَعَالِكَ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - .

وَمُنْذُ هٰذِهِ اللَّحْظَةِ عَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ الإِسْلامَ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَنَّ مَنْ أَسْلَمَ لا بُدَّ أَنْ يُضَحِّيَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَذَهَبَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ

---

(١) لم أعرف عنكَ الكذبَ.

(٢) جَدِير.

الْعَوَّام، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ فَأَسْلَمُوا عَلَى يَدَيْهِ وَهُمْ مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**هَذَا عَتِيقُ**(١) **اللهِ مِنَ النَّارِ**»، فَسُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ يَوْمِهَا: الْعَتِيقَ.

وَتَحَوَّلَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ إِلَى جَبَلٍ لَا تُحَرِّكُهُ الزَّلَازِلُ، وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يَبِيعَهُ بِمَالِ الدُّنْيَا كُلِّهِ حَتَّى صَارَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الرَّجُلَ الَّذِي إِذَا وُضِعَ إِيمَانُهُ فِي كِفَّةِ مِيزَانٍ، وَوُضِعُ إِيمَانُ الأُمَّةِ فِي كِفَّةٍ أُخْرَى، لَرَجَحَتْ كِفَّةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

***

قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه -:
«**مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ، إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ بِهَا، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مِثْلَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ. وَمَا عَرَضْتُ الإِسْلَامَ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ عَدَا أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَلَعْثَمْ**»

***

يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ خَطَأً أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ غَنِيًّا؛ لِأَنَّهُ

---

(١) **عَتِيق**: الحرّ ومعناه أن اللَّه نجّاه من عذاب النار.

وَرِثَ المالَ عَنْ أَبيهِ أَوْ أُمِّهِ، وَلٰكِنْ لَيْسَ هٰذا صَحِيحاً فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ تَاجِراً صَادِقاً فَأَغْنَاهُ اللهُ حَتَّى بَلَغَ مَالُهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

وَكَانَ رَجُلاً كَثِيرَ الْعِيَالِ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ، بَلْ وَيُنْفِقُ عَلَى أَبِيهِ الَّذِي أَصَابَهُ الْعَمَى آخِرَ حَيَاتِهِ، وَعَلَى أُمِّهِ الَّتِي عَجَزَتْ هِيَ الْأُخْرَى عَنِ الْعَمَلِ، بَلْ وَيُنْفِقُ عَلَى إِخْوَتِهِ الصِّغَارِ أَيْضاً.

وَحِينَمَا أَرْسَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ بِالإِسْلَامِ ظَلَّتِ الدَّعْوَةُ سِرًّا ثَلاثَ سَنَواتٍ كامِلَةً ثُمَّ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُعْلِنَ دَعْوَتَهُ لِلنَّاسِ جَمِيعاً، وَمِنْ لَحْظَتِهَا بَدَأَ الْمُشْرِكُونَ يُعَادُونَ الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ فَعَذَّبُوا الضُّعَفَاءَ، وَحَارَبُوا الأَغْنِيَاءَ، حَتَّى كَانَ الْقَادِمُونَ إِلَى مَكَّةَ يَسْمَعُونَ آهَاتِ الْمُعَذَّبِينَ وَأَنَّاتِ الضُّعَفاءِ تَنْبَعِثُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أُوذُوا فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ بِعَيْنِهِ إِلى بِلالٍ وَهُوَ يُعَذَّبُ وَكَانَ عَبْداً حَبَشِيّاً لِرَجُلٍ مِنَ الْكُفَّارِ اسْمُهُ [أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ]، وَكَانَ بِلالٌ يُوضَعُ عُرْيَاناً عَلَى رِمَالِ مَكَّةَ، ثُمَّ يُوضَعُ الحَجَرُ الكَبِيرُ عَلَى بَطْنِهِ، وَيُرْبَطُ بِالْحِبَالِ وَيَشُدُّهُ صِبْيَانُ مَكَّةَ يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَهُوَ يُرَدِّدُ كَلِمَتَهُ الْخَالِدَةَ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

وَتَحرَّكَ أَبُو بَكْرٍ فَذَهَبَ إِلَى دَارِهِ وَأَحْضَرَ المالَ ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فقَالَ لَهُ: بِعْنِي بِلالًا.

قَالَ: أَبِيعُهُ بِخَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ.

فقالَ أُمَيَّةُ: لَوْ دَفَعْتَ وَاحِدَةً فَقَطْ لَكُنْتُ رَضِيتُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَوْ طَلَبْتَ أَنْتَ مِائَةَ أُوقِيَّةٍ لأَعْطَيْتُكَ.

وَهٰكَذَا يَرَى أَبُو بَكْرٍ أَنَّ مَالَهُ إِنَّمَا هُوَ للهِ تَعَالَى، فَلَا يَبْخَلُ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ بَلْ يَدْفَعُهُ إِلَيْهِمْ لِيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عَذَابِ الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَبِلالٍ: سَيِّدُنا أَعْتَقَ(١) سَيِّدَنَا.

وَلَمْ يَكُنْ بِلالٌ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ، بَلْ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فَيشْتَرِيهِمْ بِمَالِهِ حَتَّى قَالُوا فِي مَكَّةَ: إِنَّهُ يَشْتَرِيهِمْ لِيُدَافِعُوا عَنْهُ.

وَيَنْزِلُ الْقُرْآنُ بِبَرَاءَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

(١) **أعتقه**: حرره وخلصه من العبودية.

وَهٰكَذَا عَرَفَ الْجَمِيعُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ إِنَّمَا دَفَعَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَا لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ فَخْرٍ يَتَبَاهَى بِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهٰذِهِ هِيَ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - .

وَذَاتَ مَرَّةٍ وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ أَمَامَ الْكَعْبَةِ يَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَامُوا عَلَيْهِ يَضْرِبُونَهُ، وَرَآهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَامَ مُدَافِعاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:

أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟ فَتَرَكَ الْمُشْرِكُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَانْهَالُوا ضَرْباً عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُو صَابِرٌ حَتَّى وَرِمَ وَجْهُهُ وَانتَفَخَ فَلَمْ يَعْرِفُوا عَيْنَهُ مِنْ أَنْفِهِ، فَقَدِ اخْتَفَتْ مَعَالِمُ وَجْهِهِ تَماماً، وَظَنُّوهُ قَدْ مَاتَ فَتَرَكُوهُ.

وَجَاءَ (بَنُو تَيْم) فَحَمَلُوا أَبَا بَكْرٍ إِلَى بَيْتِهِ وَأَقْسَمُوا لَيَقْتُلُنَّ مَنْ ضَرَبَ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَاتَ؟ وَأَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا أَفَاقَ كَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَ عَنْهُ: مَاذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ .

فَغَضِبَ قَوْمُهُ مِنْهُ لأَنَّهُمْ كَانُوا كُفَّاراً.

وَقَالُوا لِأُمِّهِ: أَطْعِمِيهِ شَيْئاً وَاسْقِيهِ مَاءً.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَاللهِ لَا أَشْرَبُ وَلَا أَذُوقُ طَعَاماً حَتَّى أَعْلَمَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ: فَنَظَرَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِ وَهِيَ

تَتَأَلَّمُ لِمَا حَدَثَ لَهُ.

فَقَالَتْ: وَاللهِ لَا أَعْلَمُ مَاذا فَعَلَ صَاحِبُكَ هٰذا؟.

فَقَالَ: اذْهَبِي إلى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ فَاسْأَلِيهَا مَاذا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟.

وَخَرَجَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ، وَإِنْ كَانَتْ تَتَأَلَّمُ مِنْ أَجْلِ وَلَدِهَا الَّذِي سَالَتْ دِمَاؤُهُ، وَتَوَرَّمَ وَجْهُهُ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ وَظَنَّتْ فَاطِمَةُ أَنَّهَا جَاسُوسَةٌ لِقُرَيْشٍ.

فَقَالَتِ الْأُمُّ الَّتِي تُرِيدُ إِرَاحَةَ وَلَدِها: قُومِي فَاذْهَبِي مَعِي إِلَيْهِ وَوَصَلَتْ فَاطِمَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ هٰكَذَا صَرَخَتْ. وقَالَتْ: أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْتَقِمَ لَكَ.

فَقَالَ لَهَا وَهُوَ لا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَاذا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: هُوَ سَالِمٌ صَاحٍ. وَهُنَا نَظَرَتِ الأمُّ إِلَى وَلَدِهَا تُرِيدُهُ أَنْ يَشْرَبَ، وَنَظَرَ هُوَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَا وَاللهِ لا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَرَى رَسُولَ اللهِ بِعَيْنِي.

وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ نَفْسِهِ، فَاسْتَنَدَ عَلَى أُمِّهِ، وَعَلَى فَاطِمَةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَأَوَّلَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ انْكَبَّ عَلَى قَدَمَيْهِ يُقَبِّلُهُمَا.

وَيَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ بِي إِلّا ما فِي وَجْهِي وَهٰذِهِ أُمِّي بَارَّةٌ بِوَالِدَيْهَا فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَهَا، وَرَقَّ قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ فَبَكَى، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَعَانَقَا فِي مَشْهَدٍ مُؤَثِّرٍ عَمِيقِ التَّأْثِيرِ.

اشْتَدَّ إيذاءُ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُبَلِّغَ أَصْحَابَهُ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَقَامَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ نَالَهُمُ الأَذَى، وَاشْتَدَّ بِهِمُ التَّعْذِيبُ فَهَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ يُرِيدُ الْهِجْرَةَ الى الْحَبَشَةِ فَقَابَلَهُ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْمُهُ مَالِكُ بْنُ الدُّغُنَّةِ فقالَ لَهُ: مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ، وَلا يُخرَجُ، إِنَّكَ تُكْسِبُ الْمَعْدُومَ(١)، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(٢)، وَتَقْرِي(٣) الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ.

وَعَادَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَطَافَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فِي قُرَيْشٍ يُعْلِنُ أَنَّهُ قَدْ أَجَارَ(٤) أَبَا بَكْرٍ.

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لَهُ: اجْعَلْهُ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي بَيْتٍ بَعِيدٍ

(١) تساعد المسكين وتتصدق عليه.

(٢) تساعد المتعبين والعجزة.

(٣) تكرم الضيف.

(٤) حمى وساعد.

وَإِلَّا أَسْلَمَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ عَلَى يَدَيْهِ، وَبَنَى أَبُو بَكْرٍ مَسْجِداً فِي فِنَاءِ الدَّارِ يُصَلِّي فِيهِ، وَيُرَتِّلُ الْقُرْآنَ، فَاسْتَمَعَ النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ إِلَيْهِ، فَأُعْجِبُوا بِالْقُرْآنِ، فَعَرَفَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فَجَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَقُولُ لَهُ: اخْفِضْ صَوْتَكَ فِي الصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِنَّهُ الإِيمانُ الَّذِي خَلَقَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَجُلًا لَا يَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، يَتَحَمَّلُ الْعَذَابَ رَاضِياً بِقَضَاءِ اللهِ، وَلا يَقْبَلُ أَنْ يُخْفِيَ إِسْلامَهُ بَلْ يُعْلِنُهُ وَيَفْخَرُ بِهِ، وَيُصَدِّقُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ، فَهَا هُوَ رَسُولُ اللهِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ يُكَذِّبُهُ الْمُشْرِكُونَ وَيَتَّهِمُونَهُ بِالْجُنُونِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

فَقَالُوا: لَهُ: إِنَّ صَاحِبَكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَعَادَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاعْتَقَدُوا جَمِيعاً أَنَّهُ سَيُكَذِّبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلٰكِنَّهُ قَالَ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ قَالَ ذٰلِكَ فَهُوَ صَادِقٌ.

فَقَالُوا: كَيْفَ تُصَدِّقُهُ فِي هٰذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: أُصَدِّقُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ فَكَيْفَ لَا أُصَدِّقُهُ فِي

هٰذَا الأَمْرِ؟

وَهُنَا صَارَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ (الصِّدِّيقَ) الَّذِي صَدَّقَ نَبِيَّهُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ، وَمَا أَحْلَى هٰذَا اللَّقَبَ الْجَدِيدَ الَّذِي صَارَ يُنَادَى بِهِ مِنْ يَوْمِهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.

***

وَكَانَتِ الْهِجْرَةُ تِلْكَ الرِّحْلَةَ الشَّاقَّةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَكَانَ الرِّجَالُ يَخْرُجُونَ سِرًّا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ وَبَعْضُ الضُّعَفَاءِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنْوِي قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَعَدَّتْ لِذٰلِكَ جَيِّداً.

وَفِي سَاعَةٍ كانَ الْجَمِيعُ لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ فِيهَا لِشِدَّةِ الْحَرِّ، خَرَجَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَطَرَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ، وَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ أَنَّهُ سَيُهاجِرُ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَفَرِحَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، إِنَّهُ لَا يَخَافُ شَيْئاً رَغْمَ عِلْمِهِ أَنَّهُ قَدْ يَمُوتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلٰكِنَّ الثِّقَةَ بِنَصْرِ اللهِ كَانَتْ أَقْوَى فِي قَلْبِهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، وَهُوَ يَعْلَمُ جَيِّداً أَنَّ اللهَ يَحْفَظُ رَسُولَهُ مِنْ أَيِّ أَذًى وَسُوءٍ.

فَقَامَ الصِّدِّيقُ وَأَخَذَ مَالَهُ كُلَّهُ لِيُنْفِقَهُ فِي رِحْلَةِ الْهِجْرَةِ حَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «**مَاذَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**».

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَلَسْنَا نَعْرِفُ رَجُلًا فِي التَّارِيخِ ضَحَّى بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِثْلَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الَّذِي جَعَلَ مَالَهُ وَأَهْلَهُ وَنَفْسَهُ فِي خِدْمَةِ الإِسْلَامِ، وَلأَوَّلِ مَرَّةٍ يَسْبِقُ أَبُو بَكْرٍ رَسُولَ اللهِ فِي شَيْءٍ حِينَ دَخَلَ الْغَارَ يَوْمَ الْهِجْرَةِ لِيُفَتِّشَ فِيهِ عَنْ أَيِّ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ قَدْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ، فَكَنَسَ الْغَارَ لِرَسُولِ اللهِ بِثَوْبِهِ، وَسَدَّ كُلَّ الثُّقُوبِ حَتَّى بَقِيَ ثُقْبٌ وَاحِدٌ لَمْ يَسُدَّهُ إِلَّا بِرِجْلِهِ، وَنَامَ رَسُولُ اللهِ فِي حُجْرِ أَبِي بَكْرٍ، وَتَحَرَّكَ ثُعْبَانٌ فِي الْجُحْرِ الَّذِي سَدَّهُ الصِّدِّيقُ بِقَدَمِهِ فَلَدَغَهُ فِي قَدَمِهِ، فَتَأَلَّمَ أَلَماً شَدِيداً، وَلٰكِنَّهُ لَا يُرِيدُ إِيقَاظَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى غَلَبَهُ الْأَلَمُ، فَتَدَحْرَجَتْ دَمْعَةٌ عَلَى خَدِّهِ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَى خَدِّ رَسُولِ اللهِ فَاسْتَيْقَظَ.

فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟**»

قَالَ: لُدِغْتُ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَتَفَلَ رَسُولُ اللهِ فِي مَكَانِ اللَّدْغِ فَشُفِيَ.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ قَائِلًا: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

فَكَانَ الثَّاني هُوَ رَسُولَ اللهِ، وَالصّاحِبُ أَبُو بَكْرٍ وَاللهُ تَعالَى مَعَهُمَا حَتَّى وَصَلا إلَى الْمَدِينَةِ.

كَانَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنهما - وَزيرَي الصِّدْقِ لِرَسُولِ اللهِ، وَأَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَأْمُرُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُحِبُّ الآخَرَ حُبًّا شَدِيداً، فَكانا يَتَنَافَسَانِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ يُرِيدُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَسْبِقَ الآخَرَ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ دَائِماً فِي الْمُقَدِّمَةِ، فَفِي يَوْمِ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ عُمَرُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، وَذَهَبَ بِنِصْفِ مَالِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَاذا أَبْقَيتَ لِأَهْلِكَ يَا عُمَرُ؟»**

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ نِصْفَ مَالِي. وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَوَضَعَ مَالًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: **«مَاذَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»** فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَعَرَفَ عُمَرُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَهُ هٰذِهِ الْمَرَّةَ الَى الْخَيْرِ، وَلَمْ تَكُنْ هٰذِهِ هِيَ الْمَرَّةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي يَسْبِقُ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ

بَعْدَ صَلاةِ الصُّبحِ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ مِنْكُمُ الْيَوْمَ أَصْبَحَ صَائِماً**»؟ قَالَ عُمَرُ: أَمَّا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه فَقَدْ بِتُّ لَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالصَّوْمِ وَأَصْبَحْتُ مُفْطِراً.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ بِتُّ اللَّيْلَةَ وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالصَّوْمِ فَأَصْبَحْتُ صَائِماً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّكُمْ عَادَ**[1] **الْيَوْمَ مَرِيضاً؟**» قَالَ عُمَرُ: إِنَّما صَلَّيْنَا الآنَ فَقَطْ فَكَيْفَ نَعُودُ الْمَرِيضَ؟.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبَرُونِي أَنَّ أَخِي عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ مَرِيضٌ، فَجَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَيْهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَسْجِدَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّكُمْ تَصَدَّقَ الْيَوْمَ بِصَدَقَةٍ**».

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا زِلْنَا مَعَكَ فَكَيْفَ نَتَصَدَّقُ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا سَائِلٌ يَسْأَلُ، وَوَلَدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَعَهُ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَأَخَذْتُهَا، فَأَعْطَيْتُهَا السَّائِلَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ**» فَأَبُو

(١) زار مريضاً.

بَكْرٍ هُوَ السَّابِقُ دَائِماً إِلَى الْخَيْرِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - .

وَيَوْماً مِنَ الأَيَّامِ رَأَى عُمَرُ امْرَأَةً عَجُوزاً، فَذَهَبَ يُسَاعِدُهَا فِي أُمُورِهَا، فَوَجَدَ رَجُلًا قَد سَبَقَهُ فَسَاعَدَ هٰذِهِ الْعَجُوزَ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَدَثَ نَفْسُ الأَمْرِ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْمَرْأَةِ: مَنْ سَاعَدَكِ؟ قَالَتْ: رَجُلٌ يَأْتِي إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ. وَانْتَظَرَ عُمَرُ بَعِيداً يُرَاقِبُ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ، حَتَّى وَجَدَ الصِّدِّيقَ هُوَ الَّذِي يُسَاعِدُهَا، فَقَالَ: مَا سَابَقْتُ أَبَا بَكْرٍ فِي شَيْءٍ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ.

ذَاتَ مَرَّةٍ حَدَثَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اسْمُهُ رَبِيعَةُ الأَسْلَمِيُّ خُصُومَةٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ كَلِمَةً كَرِهَهَا رَبِيعَةُ، وَنَدِمَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى هٰذِهِ الْكَلِمَةِ، فَقَالَ لِرَبِيعَةَ: يَا رَبِيعَةُ رُدَّ عَلَيَّ مِثْلَهَا.

فَقَالَ رَبِيعَةُ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَتَقُولَنَّ أَوْ لأَذْهَبَنَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ.

فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَجَاءَ قَوْمُ رَبِيعَةَ وَأَهْلُهُ.

فَقَالُوا: رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ مَا قَالَ، ثُمَّ يَشْتَكِي لِرَسُولِ اللهِ؟ فَقَالَ رَبِيعَةُ: أَتَدْرُونَ مَنْ هٰذَا أَبُو بَكْرٍ؟ إِنَّهُ ثَانِي اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ، وَذُو شَيْبَةٍ فِي الإِسْلامِ، إِيَّاكُمْ أَنْ يَعْلَمَ مَا قُلْتُمْ فَيَغْضَبَ مِنِّي، فَيُحَدِّثَ رَسُولَ اللهِ فَيَغْضَبَ رَسُولُ اللهِ لِغَضَبِهِ، فَيَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِ اللهِ وَأَبِي بَكْرٍ.

وَوَصَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَحَكَى مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِيعَةَ، فَجَاءَ رَبِيعَةُ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا رَبِيعَةُ مَا لَكَ وَالصِّدِّيقَ؟»** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَقَدْ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، حَتَّى قَالَ كَلِمَةً كَرِهْتُهَا، فَقَالَ لِي: قُلْ كَمَا قُلْتُ لَكَ فَأَبَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تُرَدَّ عَلَيْهِ، وَلٰكِنْ قُلْ: قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»**.

نَعَمْ كَانَ هٰذا هُوَ تَفْضِيلُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ لأَنَّهُ يَرَى فِيهِ النَّصِيرَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ قَدْرَ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ.

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: وَهَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ فَيَقُولُ: **«مَا أَحَدٌ**

أَعْظَمُ عِنْدِي يَداً - يَعْنِي قَدْراً - مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَنْكَحَنِي ابْنَتَهُ»[١].

ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ مُوصِياً الْمُسْلِمِينَ بِأَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - : **«إِنَّ لَهُ يَداً يُكَافِيهِ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

وَيَوْماً مِنَ الأَيَّامِ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ قَدْ جَلَسَ وَهُوَ يَرْتَدِي عَبَاءَةً فِيهَا رُقَعٌ كَثِيرَةٌ.

فَقَالَ جِبْرِيلُ: مَا لِي أَرَى أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ فِيهَا رُقْعَةٌ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ»** - فَتْحِ مَكَّة.

فَقَالَ جِبْرِيلُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ: **«قُلْ لِأَبِي بَكْرٍ: هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنِ اللهِ؟»**

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لأَبِي بَكْرٍ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ: هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنْهُ فِي فَقْرِكَ**

---

(١) زوَّجني ابنته وهي عائشة - رضي الله عنه - .

هٰذا؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ أَغْضَبُ عَلَى رَبِّي؟! أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ. وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ رَاضٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ.

***

بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ نَظَرَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ هُوَ أَفْضَلُهُمْ، فَلَمْ يَجِدُوا خَيْراً مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَصَارَ هُوَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَحَارَبَ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ رَفَضُوا دَفْعَ الزَّكَاةِ، فَنَصَرَهُ اللهُ عَلَى أُولٰئِكَ، ثُمَّ سَيَّرَ الْجُيُوشَ لِتَفْتَحَ بِلادَ فَارِسَ وَالرُّومِ وَتَنْشُرَ الإِسْلامَ هُنَاكَ.

فَكَانَ سَيْفَ اللهِ الْمَسْلُولُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - رضي الله عنه - يَفْتَحُ فِي بِلادِ فَارِسَ، وَتَسْقُطُ الْمُدُنُ فِي يَدَيْهِ الْوَاحِدَةُ تِلْوَ الأُخْرَى، وَيَعْلُو الأَذَانُ هُنَاكَ بَدَلًا مِنْ تِلْكَ النِّيرَانِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً، فَفَتَحَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مُعْظَمَ بِلادِ فَارِسَ حَتَّى أَتَمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَتْحَهَا فِي خِلَافَتِهِ.

وَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ فِي الشَّام بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ تَشُقُّ الصَّحْرَاءَ

فِي طَرِيقِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِتُحَرِّرَهُ مِنْ أَيْدِي الرُّومِ، لِتَعْلُوَ رَايَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَوْقَ رُبَا الشَّامِ، وتَظَلُّ الْفُتُوحَاتُ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - كَثِيرَةً حَتَّى اتَّسَعَتْ دَوْلَةُ الإِسْلامِ، وَدَخَلَ فِي الإِسْلامِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْبِلادِ الْمَفْتُوحَةِ.

وَكَانَ مِنْ أَعْمَالِ أَبِي بَكْرٍ الْعَظِيمَةِ جَمْعُ الْمُصْحَفِ أَوْ جَمْعُ الْقُرْآنِ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ بِمُسَاعَدَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - ، وَمُسَاعَدَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رضي الله عنه - ، وَظَلَّ الْمُصْحَفُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَخَذَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي خِلَافَتِهِ وَجَمَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ.

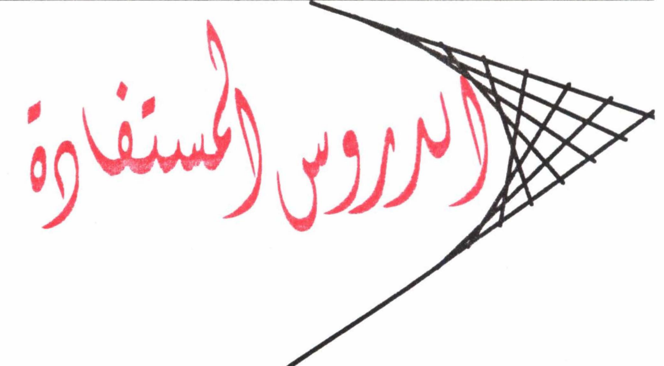
وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَامِ الثَّالِثَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى فِرَاشِهِ يَنْتَظِرُ قُدُومَ مَلَكِ الْمَوتِ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ مِنْ حَوْلِهِ: هَلْ نُحْضِرُ لَكَ طَبِيباً؟.

فَقَالَ: قَدْ رَآنِي الطَّبِيبُ. فَقَالُوا لَهُ: فَمَاذَا قَالَ؟ قَالَ: لَقَدْ قَالَ: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ.

ثُمَّ أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَكُنْ لِأَهْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ شَيْءٌ مِنْ

مِيرَاثِهِ، ثُمَّ جَاءَهُ مَلكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ لِتَصْعَدَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتُلاقِيَ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ، لِيَجْمَعَ بَيْنَهُمَا اللهُ تَعَالَى فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ.

* * *



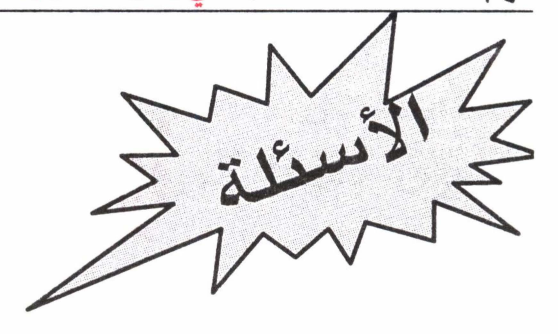
(١) الإيمانُ باللهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

(٢) أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ - رضي الله عنه - أفضلُ الصَّحابة بعد رسول الله ﷺ.

(٣) أبو بكرٍ - رضي الله عنه - **أوَّل** مَنْ أسْلَمَ، **وأوَّل** مَنْ صَلَّى، **وأوَّلُ** مَنْ دخلَ الغارَ، **وثانِي** اثنينِ يومَ الهِجْرَةِ، **وذو شَيْبَةٍ** في الإسلام.

(٤) التَّضْحِيَةُ في سبيلِ اللهِ بالنفسِ والأهلِ والمالِ.

❋ ❋ ❋



اذكر سبباً واحداً فقط للأمور التالية:

* تسمية أبي بكر بـ(العَتِيق).

* دخول أبي بكر الغار قبل رسول الله ﷺ يوم الهجرة.

* بقاء أبي بكر في مكة بعد أن هاجر الصَّحابة جميعاً.

اختر من بين الأقواس:

*كان اسم والد أبي بكر (أبو الحكم - أبو قحافة - أبو سفيان).

* وكان من بني ... (تَيم - هاشِم - عَدِيّ) إحدى (عائلات - بطون - فروع) قبيلة ..... (الأَوْس - أَسْلَم - قُرَيْش)، وسماه الرسول ﷺ

بـ(الصِّدِّيق - الرَّفِيق - الشَّقِيق) لأنه صدقه يوم (الهجرة - المولد النبوي - الإسراء) وهو أول (حاكم - خليفة - رسول) للمسلمين بعد رسول الله ﷺ.

* اذكر موقفاً توضحُ من خلاله حبَّ النبي ﷺ لأبي بكرٍ الصِّدِّيق



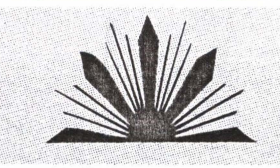
- لأنه عتيق الله من النار.

- لتنظيفِهِ منَ العقاربِ والثعابِين.

- ليرافقَ رَسولَ الله ﷺ في رحلةِ الهجرة.

(أبو قحافة - تيم - بطون - قريش - الصديق - الإسراء - خليفة).





سيرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

زَحَفَ النَّهارُ سَرِيعاً فَأَزَالَ الظَّلامَ، وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ مَكَّةَ مُعْلِنَةً عَنْ قُدُومِ يَوْمٍ جَدِيدٍ، وَخَرَجُ أَهْلُ قُرَيْش جَمِيعاً إِلَى الطُّرَقَاتِ قَاصِدِينَ الْكَعْبَةَ، فَلَمْ يَنْصَرِفْ أَحَدٌ إِلَى عَمَلِهِ أَوْ تِجارَتِهِ لِأَنَّ أَمْراً آخَرَ كانَ قَدْ شَغَلَ الْجَمِيعَ، إِنَّهُ أَمْرُ هَذا الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُو فِيهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَعِبادَتِهِ، وَتَرْكِ عِبادَةِ الأَصْنامِ.

وَعَلَى رِمَالِ مَكَّةَ كَانَتْ قَطَرَاتُ الدِّمَاءِ تَنْزِفُ مِنْ يَاسِرٍ وَسُمَيَّةَ، وَآهَاتُ الْعَذَابِ تَرْتَفِعُ مِنْ أَفْوَاهِ الضُّعَفَاءِ الْمَقْهُورِينَ، وَهٰذَا صَوْتُ بِلالٍ يَعْلُو: أَحَدٌ أَحَدٌ.

وَفِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ مَكَّةَ وَقَفَ ذٰلِكَ الشَّابُّ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ أَمْسَكَ بِثَلاثِ جَوَارٍ(١) يُعَذِّبُهُنَّ، ثُمَّ تَرَكَهُنَّ قَائِلًا: إِنِّي لَمْ أَتْرُكْكُنَّ إِلَّا مَلالَةً - أَيْ بَعْدَ أَنْ مَلَلْتُ مِنْكُنَّ.

وَمَضَى بَعْدَ ذٰلِكَ وَهُوَ يَلْعَنُ ذٰلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ الإِسْلامُ وَدَعْوَتُهُ، وَلأَنَّهُ شَابٌّ كَبَقِيَّةِ شَبابِ قُرَيْشٍ

(١) **جواري**: جمع جارية وهي المرأة المملوكة.

ذَهَبَ سَرِيعاً إِلَى حَانُوتِ الْخَمْرِ لِيَشْرَبَهَا هُنَاكَ، فَوَجَدَ الْحَانُوتَ مُغْلَقاً، فَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ أَصْدِقَائِهِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ، وأَخِيراً قَرَّرَ الذَّهَابَ إِلَى الْكَعْبَةِ لِيَطُوفَ بِهَا، وَهُنَاكَ رَأَى مُحَمَّداً ﷺ قَائِماً يُصَلِّي.

فَقَالَ عُمَرُ فِي نَفْسِهِ: لَوْ أَنِّي اسْتَمَعْتُ إِلَى مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اخْتَبَأَ وَرَاءَ ثِيَابِ الْكَعْبَةِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

فَقَالَ عُمَرُ فِي نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَجَّبَ مِنْ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ: وَاللهِ إِنَّهُ لَشَاعِرٌ، فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤١].

فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ كَاهِنٌ[١].

فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢].

وَبَدَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بَعْدَ أَنْ أَثَّرَ الْقُرْآنُ فِي قَلْبِهِ وَفِي نَفْسِهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ يُسْلِمُ وَهُوَ ذَلِكَ الْقُرَشِيُّ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ سَفِيرُ قَوْمِهِ، وَهُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ تَمَسُّكاً بِعَادَاتِ أَهْلِهِ وَتَقَالِيدِهِمْ.

---

(١) **الكاهن**: هو من يقوم بخدمة المعبد، ويدعي معرفة الغيب.

كَانَتْ هٰذِهِ مَوَانِعَ الإسْلام الَّتِي جَعَلَتْ إسْلامَ عُمَرَ يَتَأَخَّرُ قَلِيلًا، إلَّا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرَادَ لَهُ الْخيْرَ فأَسْلَمَ واتَّبعَ رَسُولَ اللهِ.

***

خَرَجَ عُمَرُ يَوْماً قَدْ أَمْسكَ بِسَيْفِهِ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَقَابَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ - وَهُمْ أَخْوَالُ النبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ: إلَى أَيْنَ يَا عُمَرُ؟ قَالَ: إلَى مُحَمَّدٍ فَأَقْتُلَهُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ تَأْمَنُ بَنِي هَاشِم، وَبَنِي زُهْرَةَ إنْ قَتَلْتَ مُحَمَّداً. فَقَالَ عُمَرُ: يَبْدُو أَنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ دِينَ قَوْمِكَ وَاتَّبَعْتَ مُحَمَّداً.

فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلِ الْعَجَبُ يا عُمَرُ أَنَّ أُخْتَكَ فَاطِمَةَ، وَزَوْجَهَا سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ قَدْ أَسْلَمَا، وَاتَّبَعَا مُحَمَّداً.

وَمَشَى عُمَرُ إلَى دارِ أُخْتِهِ حَتَّى وَصَلَ إلَيْهَا، وَكَانَ عِنْدَهُمُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ [خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ] فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ صَوْتَ عُمَرَ جَرَى بِسُرْعَةٍ وَاخْتَبَأَ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا هٰذا الصَّوْتُ الَّذِي سَمِعْتُهُ عِنْدَكُمْ.

فَقَالَتْ أُخْتُهُ: إنَّنَا كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِيمَا بَيْنَنَا.

فَقَال عُمَرُ: هَلْ تَرَكْتُمَا دِينَ آبَائِكُمَا وَأَجْدَادِكُمَا؟

قَالَ سَعِيدٌ: يَا عُمَرُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ؟ فَقَامَ عُمَرُ إِلَى سَعِيدٍ فَضَرَبَهُ حَتَّى طَرَحَهُ أَرْضاً، فَقَامَتْ فَاطِمَةُ تُدَافِعُ عَنْ زَوْجِهَا، فَدَفَعَهَا عُمَرُ بِيَدِهِ فَسَالَتِ الدِّمَاءُ مِنْهَا.

فَقَالَتْ وَهِيَ غَضْبَانَةٌ: يَا عُمَرُ! الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِك، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

وَلَمَّا رَأَى عُمَرُ الدَّمَ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِ أُخْتِهِ رَقَّ قَلْبُهُ لَهَا، فَقَالَ: أَعْطُونِي هٰذَا الْكِتَابَ الَّذِي عِنْدَكُمْ. وَكَانَ عِنْدَهُمَا كِتَابٌ فِيهِ سُورَةُ: ﴿طه﴾.

فَقَالَتْ أُخْتُهُ: إِنَّكَ نَجِسٌ وَلا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَقُمْ وَاغْتَسِلْ، فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمَا، وَكَانَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ فَبَدَأَ فِي تِلاوَةِ آيَاتِ اللهِ: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢] حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤].

وأَحسَّ عُمَرُ بِرَوْعَةِ الْقُرْآنِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَبيَّنَ صِدْقَ النَّبِيِّ فِي دَعْوَتِهِ.

فَقَالَ: دُلُّونِي عَلى مُحَمَّدٍ.

فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ هٰذَا خَرَجَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا عُمَرُ فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَدْعُو فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَوْ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ**»، وَإِنِّي لأَرْجُو اللهَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ يَا عُمَرُ.

وَخَرَجُوا جَمِيعاً يُرِيدُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دارِ الْأَرْقَمِ، وَكَانَ حَمْزَةُ - رضي الله عنه - بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَرَسُولِهُ وَاقِفاً عَلَى بَابِ الدَّارِ وَمَعَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ حَمْزَةُ قَوِيّاً تُسَاوِي قُوَّتُهُ قُوَّةَ عُمَرَ - رضي الله عنه - .

فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: هٰذَا عُمَرُ فَلَمَّا رَآهُمْ حَمْزَةُ خَائِفِينَ قَالَ: نَعَمْ هٰذا عُمَرُ إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُسْلِمْ وَيَتَّبِع النَّبِيَّ ﷺ، وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ، وَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَمْسَكَهُ مِنْ ثِيَابِهِ.

وَقَالَ: أَمَا تُسْلِمُ يَا عُمَرُ؟ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِعُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ مَكَّةَ، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَبْشَرَ أَهْلُ

السَّمَاءِ بِإِسْلام عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ - رضي الله عنه - ، وَكَانَ إِسْلامُ عُمَرَ حَقًّا فَتْحاً لِلْمُسْلِمِينَ وَعِزّاً لَهُمْ.

وَحِينَ نَطَقَ عُمَرُ بِالشَّهَادَتَيْنِ عَرَفَ مِنْ دَاخِلِهِ أَنَّ هٰذَا الدِّينَ هُوَ الْأَقْوَى، وَأَنَّ مَنْ أَسْلَمَ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَزِيزاً قَوِيّاً لا يَخْشَى أَحَداً إِلَّا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا بِهِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا أَوْ حَيِينَا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتُّمْ أَوْ حَيِيتُمْ**».

فَقَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه - : فَلِمَ نَخْتَفِي يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَخْرُجَنَّ إِلَيْهِمْ.

وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ فِي صَفَّيْنِ، صَفٌّ يَتَقَدَّمُهُ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالآخَرُ يَتَقَدَّمُهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ هٰذَا الْمَشْهَدَ اغْتَاظُوا، وَعَلَا الْحُزْنُ وُجُوهَهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَنْ يَقُومَ إِلَى صَفَّيْنِ أَحَدُهُمَا فِيهِ عُمَرُ وَالآخَرُ فِيهِ حَمْزَةُ، وَجَرَى الاسْمُ الْجَدِيدُ لِعُمَرَ سَهْلاً عَلَى أَلْسِنَةِ الْجَمِيعِ فَقَدْ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ [الْفَارُوقَ] الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَطَافَ الْمُسْلِمُونَ بِالْكَعْبَةِ، يَتَقَدَّمُهُمُ الْفَارُوقُ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - الَّذِي غَيَّرَهُ الإِسْلامُ حَتَّى

جَعَلَهُ عَظِيماً مِنَ الْعُظَمَاءِ الْمَعْدُودِينَ فِي التَّارِيخِ.

ضَاقَتْ مَكَّةُ بِالْمُسْلِمِينَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يُهَاجِرُ سِرًّا بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً هُوَ الَّذِي هَاجَرَ عَلَناً دُونَ خَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ، وَمَنْ غَيْرُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - .

قَامَ عُمَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فَأَلْقَاهَا فِي وُجُوهِ الْجَالِسِينَ فِي الْكَعْبَةِ وَحَوْلَهَا.

ثُمَّ قَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْتَمَ وَلَدُهُ، وَتُرَمَّلَ زَوْجَتُهُ فَلْيَتْبَعْنِي وَرَاءَ هٰذَا الْوَادِي. وَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَسِيرَ وَرَاءَهُ خَوْفاً مِنْ قُوَّتِهِ وَبَطْشِهِ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الضُّعَفَاءِ احْتَمَوْا بِهِ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ ثُمَّ دَلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، وَوَصَلَ عُمَرُ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ فِي اسْتِقْبَالِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الأَنْصَارِ حَتَّى جَاءَ، وَهُنَاكَ كَانَتِ الْمَدِينَةُ مَدِينَةً لِلإِيمَانِ، وَمَدِينَةً

لِلْمُؤْمِنِينَ، تَآخَى فِيهَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ تَحْتَ شِعَارِ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَكَانَ عُمَرُ فِي طَلِيعَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ يَحْمِلُ السَّيْفَ وَقْتَ الشِّدَّةِ مُدَافعاً عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَمُدُّ يَدَ الْعَوْنِ لِلْمُسْلِمِينَ إِذَا احْتَاجُوهُ، وَيَدْفَعُ بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَتَّى أَكْرَمَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَقَرَّبَهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ وَزِيراً مَعَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بِابْنَتِهِ حَفْصَةَ، وَلِأَنَّهُ كَانَ شَدِيداً فِي الحَقِّ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا حَفْصٍ، أَي الأَسَدَ، فَكَانَ هُوَ الفَارُوق أَبَا حَفْصٍ عُمَرَ ابْنَ الخَطَّابِ - رضي الله عنه -.

* * *

كانَ لِعُمَرَ - رضي الله عنه - مَعَ الْقُرْآنِ حَالٌ خَاصَّةٌ، فَقَدْ كَانَ يَرْتَبِطُ بِالْقُرْآنِ ارْتِباطاً وَثِيقاً يُحِبُّ سَمَاعَهُ وَتَرْتِيلَهُ، وَيَسْمَعُ الآيَةَ فَيُغْمَى عَلَيْهِ وَيَزُورُهُ الْمُسْلِمُونَ يَظُنُّونَهُ مَرِيضاً لا يَعْلَمُونَ مَا بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمُجَرَّدِ سَمَاعِهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ أَثَّرَتْ فِي نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ.

لَكِنَّ الْعَجِيبَ حَقًّا مَا يَقُولُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عُمَرَ: «**إِنَّ اللهَ عِنْدَ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**».

ثُمَّ يَقُولُ: «**الْحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ**».

وَالْعَجَبُ هُنَا أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَنْطِقُ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ نُزُولِهِ، نَعَمْ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ شَيْئاً فَإِذَا بِالْقُرْآنِ يَتَنَزَّلُ كَمَا قَالَهُ عُمَرُ بِالضَّبْطِ.

ذَاتَ مَرَّةٍ، كَانَ عُمَرُ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ كَانَ كَاتِباً لِلْوَحْيِ.

فَقَرأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

وَهُنَا قَالَ عُمَرُ مُتَعَجِّباً مِنْ قُدْرَةِ اللهِ فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ وَهُوَ يَقُولُ: **«اكْتُبْهَا يَا عُمَرُ فَهَكَذَا أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى»**.

وَهَكَذَا نَطَقَ عُمَرُ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ نُزُولِهِ لِيَكُونَ عَلامَةً عَلَى قُوَّةِ الإِيمانِ، وَطَهَارَةِ الْقَلْبِ، وَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللهَ عِنْدَ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ.

ثُمَّ تَرَى عُمَرَ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْكَعْبَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ يَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَ الْقُرْآنُ مُوَافِقاً لِقَوْلِ عُمَرَ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وَبَلَغَهُ مَرَّةً أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ طَلَّقَ زَوْجَاتِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه - : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

فَنَزَلَتِ الآيَةُ أَيْضاً كَمَا نَطَقَهَا عُمَرُ - رضي الله عنه - ، وَهٰكَذَا يَنْطِقُ عُمَرُ بِالْحَقِّ، وَلا زَالَ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِنْ شِدَّةِ إيمانِ عُمَرَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَخافُ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا رَآكَ الشَّيْطَانَ سَالِكاً فَجًا إِلَّا سَلَكَ فَجًا(١) آخَرَ غَيْرَ فَجِّكَ»**.

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ جَارِيَةٌ تَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَتُغَنِّي شِعْراً، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ لِيَدْخُلَ إِلَيْهِ، هَرَبَتِ الجَارِيَةُ بِدُفِّهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ، وَقَالَ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ»**.

وَيَنَامُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْجَنَّةِ إِذْ رَأَى قَصْراً بِجِوَارِهِ امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لِمَنْ هٰذَا الْقَصْرُ»**؟

(١) ماشيًا في طريق.

فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَتذَكَّرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً**[١]».

فَبَكَى عُمَرُ - رضي الله عنه - وَهُوَ يَقُولُ: وَهَلْ أَغَارُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْلَمُ جَيِّداً مِقْدَارَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ الْفَارُوقِ، فَرَأَى الشَّيْطَانَ يَخَافُ مِنْهُ، بَلْ وَيُبَشِّرُهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ العَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، لَقَدْ رَآهُ رَسُولُ اللهِ مُؤْمِناً حَقًّا، وَكَأَنَّ الإِيمانَ فِي قَلْبِهِ شَلَّالٌ جَارِفٌ أَوْ نَهْرٌ مُتَدَفِّقٌ.

وَإِنَّكَ لَتَعْجَبُ حَقًّا حِينَ تَرَى النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِعُمَرَ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى الْحَجِّ: «**يَا أَخِي أَشْرِكْنَا فِي صَالِحِ دُعَائِكَ وَلا تَنْسَنَا**»، وَخَرَجَ عُمَرُ وَقَدْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِيَدِهِ حِينَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَخِي**» لَقَدْ صَارَ أَخاً لِلنَّبِيِّ ﷺ بَلْ إِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ الدُّعَاءَ لَهُ، فَأَيُّ شَرَفٍ أَعْظَمُ مِنْ هٰذَا الشَّرَفِ.

كَانَ عُمَرُ يُنَادِي فِي أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ صَاحِبِ

(١) جريت بسرعة.

الصَّوْتِ الحَسَنِ بِالْقُرْآنِ فَيقُولُ لَهُ: شَوِّقْنَا إِلَى رَبِّنَا، وَللهِ رَجُلٌ مِثْلُ عُمَرَ يَرْكَبُ سَفِينَةَ الْقُرْآنِ لِيَلْحَق بِالْمُؤْمِنِين جَمِيعاً، وَيكُونُ مَعَ اللهِ تَعالَى فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، حَتَّى قَالَتْ عَنْهُ امْرَأَةٌ رَفضتِ الزَّوَاجَ مِنْهُ: إِنَّهُ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ إِلَى رَبِّهِ، لا يُفَكِّرُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ.

***

تُوفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَزِنَ عُمَرُ حُزْناً شَدِيداً عَلَيْهِ كَمَا حَزِنَ الْمُسْلِمُونَ.

وَبَدَأَتْ خِلافَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَكَانَ عُمَرُ نِعْم الْعَوْنِ لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ يُسَاعِدُهُ، وَيَتَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُرَاجِعُ أَبَا بَكْرٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَخْتَصُّ بِشُؤونِ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ أَعْمَالِ عُمَرَ فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ عَمَلٌ عَظِيمٌ هُوَ [جَمْعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ].

فَفِي مَعْرَكَةِ الْيَمَامَةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ قُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ حَفَظَةِ الْقُرْآنِ، فَخَشِيَ عُمَرُ عَلَى الْقُرْآنِ أَنْ يَضِيعَ بِمَوْتِ هٰؤُلَاءِ فَأَشَارَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآن فِي مُصْحَفٍ خَشْيَةَ الضَّيَاعِ، وَرَضِيَ أَبُو بَكْرٍ بِهٰذَا، وَجَمَعَ زَيْدُ ابْنُ ثَابِتٍ الْمُصْحَفَ وَجَعَلَهُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، وَزَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلِأَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَدُومُ وَلَا تَطُولُ فَقَدْ تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رضي الله عنه - ، فَتَوَلَّى الخِلَافَةَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَصَارَ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُنَادُونَهُ: يَا خَلِيفَةَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ، فَكَانَ نِدَاءً ثقيلًا.

حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَحَبَّ الْمُسْلِمُونَ هٰذَا اللَّقَبَ، وَصَارَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

لَقَدْ كَانَتْ خِلافَةُ عُمَرَ مِثَالًا لِلْحَاكِمِ الْعَادِلِ الَّذِي يُضَحِّي بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ مِنْ أَجْلِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي رَعِيَّتِهِ، وَكَانَ مِثَالًا لِلرَّجُلِ الزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا، أَيْ ذٰلِكَ الرَّجُل الَّذِي يَرْفُضُ المالَ وَالْجَاهَ وَلا يَقْبَلُ إِلَّا بِالْقَلِيلِ فَيَحْرِمُ نَفْسَهُ الطَّعَامَ، وَيُجَوِّعُ أَوْلَادَهُ حَتَّى يَأكُلَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً.

ذَاتَ مَرَّةٍ حَدَثَ الْجَفَافُ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى اسْوَدَّتِ الْأَرْضُ فَكَانَتْ كَالْأَرْضِ الْمَحْرُوقَةِ فَسُمِّي هٰذا الْعَامُ [عَامَ الرَّمَادَةِ].

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي ضِيقٍ مِنَ الرِّزْقِ، فَحَرَمَ عُمَرُ نَفْسَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، حَتَّى كَانَ يَأْكُلُ الْخَلَّ وَالزَّيْتَ وَهُوَ رَجُلٌ أَبْيَضُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ أَكْلِ الْخَلِّ وَالزَّيْتِ

صَارَ وَجْهُهُ أَسْوَدَ، وَنَحلَ جِسْمُهُ حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ جُوعاً، وَلَمْ يَأْكُلِ الْخُبْزَ وَلَا اللَّحْمَ حَتَّى نزلَ الْمَطر وَذَهَبَ الْجَفَافُ.

وَوَقَفَ عُمَرُ خَطِيباً فِي الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ أَمِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي ثَوْبِهِ اثنتا عَشْرَةَ رُقْعَةً وَبَيْتُ الْمَالِ فِي يَدِهِ، لٰكِنَّهُ يَرَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رَقِيباً عَلَيْهِ فَلَا تَمْتَدُّ يَدُهُ إِلَى مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَرْفُضُ أَنْ يَتَقَاضَى أَجْراً إِلَّا مَا يَكْفِيهِ لِطَعَامِ أَهْلِهِ، وَنَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَمَا يَحُجُّ بِهِ أَوْ يَعْتَمِرُ. ثُمَّ يَأْتِي وَفْدٌ مِنْ بِلَادِ فَارِس فَيَقُولُ: أَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَأَشَارُوا إِلَى عُمَرَ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ نَائِماً على الْأَرْضِ قَدْ جَعَلَ يَدَهُ وِسَادَةً لَهُ، بِلَا حَرَسٍ وَلا سِلاحٍ فَقَالُوا قَوْلَتَهُمُ الشَّهِيرَةَ: **حَكَمْتَ، فَعَدَلْتَ، فَأَمِنْتَ، فَنِمْتَ يَا عُمَرُ.**

وَهُوَ نَفْسُهُ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا فَتَحُوا الشَّامَ لِيَتَسَلَّمَ مَفَاتِيحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ بِعَبَاءَةٍ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ رُقْعَةٍ، يَرْكَبُ بَغْلَتَهُ أَوْ نَاقَتَهُ، وَمَعَهُ غُلامُهُ أَسْلَمُ. وَأَحَسَّ عُمَرُ بِأَنَّ غُلامَهُ قَدْ أَصَابَهُ التَّعَبُ فِي هٰذِهِ الرِّحْلَةِ.

فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ أَرْكَبُ أَنَا بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ تَرْكَبُ

أَنْتَ. فَتبَادَلا الرُّكُوبَ حَتَّى وَصَلا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ الدَّوْرُ فِي الرُّكُوبِ لِلْغُلامِ، وَمَرَّ عُمَرُ عَلَى وَحْلٍ (١) فِي طَرِيقِهِ، فَقَالَ أَسْلَمُ: أَنْزِلُ وَتَرْكَبُ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

إِلَّا أَنَّ عُمَرَ رَفَضَ وَأَصَرَّ أَنْ يَبْقَى الغُلامُ رَاكِباً، وَدَخَلَ عُمَرُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَآهُ الرُّهْبَانُ قَدْ شَمَّرَ مَلَابِسَهُ، وَأَمْسَكَ بِحَبْلِ دَابَّتِهِ يَقُودُهَا، فَقَالُوا: هٰذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الَّذِي أَصَابَ الْوَحْلُ قَدَمَهُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَكَيْفَ عَرَفْتُمُوهُ؟ قَالُوا: إِنَّنَا رَأَيْنَا وَصْفَهُ فِي كُتُبِنَا أَمِيرٌ شَدِيدٌ .. قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ.

هٰذا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْعَادِلُ الَّذِي لَمْ تَرَ الدُّنْيَا مِثْلَهُ فِي عَدْلِهِ بَيْنَ رَعِيَّتِهِ، لَعَلَّنَا الآنَ نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ جَلَسَ مَعَ امْرَأَتِهِ (عَاتِكَةَ) وَأَمَامَهُ مِسْكٌ قَدْ جَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ عُمَرُ: مَنْ يَزِنُ لِي هٰذا لِأُوَزِّعَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَتْ زَوْجَتُهُ عَاتِكَةُ: أَنَا يَا عُمَرُ، قَالَ: أَمَّا أَنْتِ فَلَا.

قَالَتْ: لِمَاذَا يَا عُمَرُ؟ قَالَ: أَخْشَى أَنْ تَزِنِي لِي،

(١) بركة فيها ماء وطين.

فَيَبْقَى فِي يَدَيْكَ بَعْضُ الْمِسْكِ فَتَمْسَحِي خَدَّكِ بِهِ، فَيَكُونَ نَصِيبُنَا أَكْثَرَ من نَصِيبِ الْمُسْلِمِينَ. هٰذا هُوَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا عُمَرُ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ إِلَّا مِنْ عُمَرَ - رضي الله عنه -.

•

اعْتَقَدَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ عُمَرَ كَانَ شَدِيداً عَادِلًا فَقَطْ، وَلٰكِنَّ الْحَقِيقَةَ تَتَحَدَّثُ بِلِسَانِهَا لِتَقُولَ: إِنَّ عُمَرَ كانَ رَحِيماً بِالضُّعَفاءِ، يَبْحَثُ عَنْهُمْ فِي كُلِّ مَكانٍ لِيُطْعِمَ الجَائِعَ، وَيَسْقِيَ الظَّمْآنَ(١)، وَيَكْسُو العَارِيَ، وَإِنَّ قَلْبَهُ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ، تدْمَعُ عَيْنَاهُ رَحْمَةً بِالمساكِينَ، وَيَرِقُّ قَلْبُهُ لَهُمْ.

هَا هُوَ عُمَرُ يَخْرُجُ مَرَّةً لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُرُّ بِاللَّيْلِ فَيَرَى نَاراً مِنْ بَعِيدٍ، فَذَهَبَ ناحِيَةَ النَّارِ، فَوَجَدَ امْرَأَةً وَحَوْلَهَا صِبْيَانُها، وَفَوْقَ النَّارِ قِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ فِيها حِجَارَةٌ وَمَاء، وَقَدْ أَمْسَكَتِ الْمَرْأَةُ بِعَصاً تُقَلِّبُ هٰذِهِ الحِجَارَةَ فِي الْقِدْرِ، وَصِبْيَانُها جَائِعُونَ.

فَقَالَ عُمَرُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الضَّوْءِ.

فَقَالَتِ المرأَةُ: وَعَلَيْكَ السَّلامُ، فَقالَ: أَأَدْنُو؟ أَيْ

(١) العطشان.

(أَقْتَرِبُ).

فَقَالَتْ: ادْنُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ عُمَرُ: ما بَالُكُمْ؟

قَالَتْ: لا دَارَ لَنَا نَحْتَمِي فِيهَا مِنَ اللَّيْلِ وَالْبَرْدِ.

فَقَالَ: وَمَا بَالُ هَؤُلاءِ الصِّبْيَةِ يَبْكُونَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُمْ جِيَاعٌ.

فَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هٰذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ: حِجَارَةٌ أُسْكِتُهُمْ بِهَا حَتَّى يَنَامُوا وَاللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ. وَكَانَتِ المرأَةُ لا تَعْرِفُ عُمَرَ، فَقَالَ لَهَا: وَمَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ؟، فَقَالَتْ: يَتَوَلَّى أَمْرَنَا، ثُمَّ يَغْفَلُ عَنَّا!!!

وَسَرِيعاً ذَهَبَ عُمَرُ إِلَى بَيْتِ المالِ وَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ، وَكَبَّةً مِنْ شَحْمٍ، وقالَ لِغُلامِهِ: احْمِلْ عَلَيَّ.

فَقَالَ الغُلامُ: بَلْ أنا أَحْمِلُ لكَ يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

فَقَالَ: وَهَلْ تَحْمِلُ عَنِّي ذَنْبِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟، وَوَصَلَ عُمَرُ وَهُوَ يَحْمِلُ الدَّقِيقَ إِلَى مَكانِ المرأَةِ، فَأَلْقَى الدَّقِيقَ.

ثُمَّ قالَ لَهَا: صُبِّي الماءَ عَلَى الدَّقِيقِ وَأَنَا أُقَلِّبُ في القِدْرِ، وراحَ عُمَرُ يَنْفُخُ وَالدُّخَانُ يَخْرُجُ مِنْ لِحْيَتِهِ

العَظِيمَةِ، وَطَبَخَ عُمَرُ لِلْمَرأَةِ وَأَوْلادِها ثُمَّ جَعَلَ يَضَعُ الطَّعَامَ في طَبَقٍ يُبَرِّدُهُ لِلأطفالِ وَيُطْعِمُهُمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى سَكَنَ بُكاؤُهُمْ وناموا.

فَقالَتِ المرأةُ لِعُمَرَ وَهِيَ لا تَعْرِفُهُ: جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْراً، كُنْتَ أَوْلَى مِنْ عُمَرَ بِهذا الأَمْرِ.

وَتَرَكَهَا عُمَرُ وَهُوَ يَقُولُ لِغُلامِهِ أَسْلَمَ: إنَّ الجُوعَ أَسْهَرَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَاهُمْ قَدْ شَبِعُوا، كانَ عُمَرُ يَسْمَعُ بُكَاءَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ فَيَقْطَعُ صَلاتَهُ، وَلا يَنَامُ إلَّا إذَا عَرَفَ سَبَبَ بُكَائِهِ، فَيَا لَهَا مِنْ رَحْمَةٍ في قَلْبِ عُمَرَ العادِلِ - رضي الله عنه -.

❀ ❀ ❀

كانَ الْعَهْدُ الَّذِي حَكَمَ فِيهِ عُمَرُ الْمُسْلِمِينَ عَهْداً يَتَّصِفُ بِالْعَدْلِ وَالإنْصافِ وَالرَّحْمَةِ، فَلَا ظَالِمَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَلا ضَعِيفَ يَضِيعُ حَقُّهُ بَيْنَ الأَقْوياءِ، وَلا فَقِيرَ يَأْكُلُ الغَنِيُّ حَقَّهُ، بَلِ الجَمِيعُ يَعِيشُونَ تَحْتَ مِظَلَّةِ الْعَدْلِ الَّتِي أَظَلَّهُمْ عُمَرُ بِهَا.

وَأَحَسَّ عُمَرُ بَعْدَ ثَلاثَةَ عَشَرَ عاماً مِنْ حُكْمِهِ لِلْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ قد كَبُرَ وَأَسَنَّ، وَأَنَّ رَعِيَّتَهُ قَدْ زَادَتْ، فَقَامَ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى قائلاً: اللَّهُمَّ كَبُرَتْ سِنِّي،

وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلا مُفَرِّطٍ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ قامَ عُمَرُ مِنْ نَوْمِهِ لِيَرْوِيَ لِلْمُسْلِمِينَ رُؤْيَا رَآهَا فِي نَوْمِهِ، فَلَقَدْ رَأَى كَأَنَّ دِيكاً نَقَرَهُ نَقْرَتَيْنِ وَالدِّيكُ عِنْدَ الْعَرَبِ الأَجْنَبِيُّ فقالَ عُمَرُ: يَرْزُقُنِي اللهُ الشَّهَادَةَ، وَيَقْتُلُنِي أَعْجَمِيٌّ(١).

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَالْمُسْلِمُونَ يَرْتَقِبُونَ تَحَقُّقَ هٰذِهِ الرُّؤْيَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ، لٰكِنَّهُمْ تَمَنَّوْا أَنْ يَمُدَّ اللهُ فِي عُمُرِهِ، وَلَوْ أَخَذَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ، وَلٰكِنَّ سَيْفَ الْقَدَرِ أَسْرَعُ مِنْ دِرْعِ الْحَذَرِ.

كَانَ فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُسَمَّى فَيْرُزاً، وَهُوَ مِنَ الأَعَاجِمِ - أَيْ لَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ - بَلْ كانَ فارِسِيًّا، وَكَانَ قَدِ اشْتَكَى لِعُمَرَ مِنْ كَثْرَةِ الضَّرَائِبِ.

فَسَأَلَهُ عُمَرُ: مَا عَمَلُكَ؟ قالَ: نَجَّارٌ، حَدَّادٌ، نَقَّاشٌ.

---

(١) الأعجمي: غير العربيّ.

قالَ عُمَرُ: فَمَا ضَرِيبَتُكَ؟ قالَ: دِرْهَمٌ وَاحِدٌ.

فَقَالَ عُمَرُ: أَعْمَالُكَ كَثِيرَةٌ وَضَرِيبَتُكَ قَلِيلَةٌ.

ثُمَّ قالَ عُمَرُ: سَمِعْتَ أَنَّكَ تَصْنَعُ رَحًى تَدُورُ بِالرِّياحِ. قَالَ: نَعَمْ سَأَصْنَعُ لَكَ رَحًى يَتَحَدَّثُ بِهَا مَنْ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَالَ عُمَرُ: هَدَّدَنِي الْعَبْدُ، وَكَانَ فِي نِيَّةِ عُمَرَ أَنْ يُخَفِّفَ الضَّرِيبَةَ عَنْهُ.

وَخَرَجَ عُمَرُ يَوْماً لِصَلاةِ الصُّبْحِ، وَسَوَّى صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، وَدَخَلَ فِي الصَّلاةِ، فَخَرَجَ هٰذا الكَافِرُ الفَارِسِيُّ فَطَعَنَ عُمَرَ ثَلاثَ طَعْنَاتٍ، كَانَتْ طَعْنَةٌ مِنْهُنَّ تَحتَ السُّرَّةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ عُمَر أَنْ يُكْمِلَ الصَّلَاةَ.

فَصَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ - رضي الله عنه - ، فَلَمَّا أَفَاقَ عُمَرُ قالَ: هَلْ صَلَّى الْمُسْلِمُونَ؟

قَالُوا: نَعَمْ. وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ قَاتِلَهُ لَيسَ مِنَ الْعَرَبِ وَلا مِنَ الْمُسْلِمِينِ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ قَاتِلِي يَسْجُدُ سَجْدَةً للهِ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَدْعُوهُ قَائِلًا: اللَّهُمَّ أَتْعَبْتُ

نَفْسِي، وَحرَمْتُ أَهْلِي، وَإنِّي أَرْجُو أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَا لِي وَلا عَلَيَّ، لَا أَجْرَ لِي، وَلا وِزْرَ عَلَيَّ.

وَاشْتَدَّتْ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ عَلَى الْفَارُوقِ، فَبَعَثَ وَلَدَهُ يَسْتَأْذِنُ مِنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ كَيْ يُدْفَنَ بِجِوَارِ رَسُولِ اللهِ وَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنهما - فَأَذِنَتْ لَهُ.

وَفَاضَتْ نَفْسُ الْفَارُوقِ - رضي الله عنه - ، وَصَعَدَتْ رُوحُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَحَمَلَهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَبْرِهِ، فَدُفِنَ بِجِوَارِ صَاحِبَيْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - .

***



(١) الإيمان بالله وحده لا شريك له.

(٢) حب النبيِّ ﷺ لعمر بن الخطاب.

(٣) العدل من صفات المؤمنين.

(٤) حب القرآن الكريم وتلاوته في كل وقت.

(٥) العمل للإسلام بالليل والنهار.



أكمل الآتي بالصحيح الذي يناسبه.

- سمى النبي ﷺ .... بن الخطاب بـ.... لأنه .... بين .... والباطل.

- عاش عمر قبل الإسلام في .... وكان من بني ....، وكان .... لقريش.

- كان من صفات عمر .... و ....، وقال النبي ﷺ: إن .... عند لسان .... و ....

❀ ❀ ❀

ضع علامة (×) أو (✓).

* أحب عمر الإسلام وكان أول من أسلم من الرجال (   ).

* أبو حفص هي كنية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - (   ).

* سعيد بن زيد هو زوج أخت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (   ).

* قتلَ أبو لُؤلُؤة المجوسيُّ عمرَ بنَ الخطَّابِ - رضي الله عنه - (   ).

*** اذكر موقفاً من المواقف التي تحبُّها عن عمرَ - رضي الله عنه - .**

*** لَوْ عشتَ في زمان عمرَ بن الخطّابِ . . . فكيف كنت تتصوَّرُ عُمَرَ؟!!**



[عمر - الفاروق - فرق - الحق].

[مكة - عديّ - سفيرًا].

[العدل والرحمة - الله - عمر وقلبه].

(✓) (✓) (X) (X).



سيرة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

خَرَجَ الْفَتَى الْأَبْيَضُ رَقِيقُ الْبَشَرَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ابْنِ أَبِي العَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ فِي تِجَارَةٍ لَهُ إِلى الشَّامِ، وَهُنَاكَ حَقَّقَ رِبْحاً وَفِيراً، وَأَثْنَاءَ رِحْلَةِ عَوْدَتِهِ أَرَادَ أَنْ يُرِيحَ جَسَدَهُ قَلِيلًا، فَنَامَ مَعَ بَعْضِ رِفَاقِهِ، فَسَمِعَ صَوْتاً يُنَادِي:

- أَيُّهَا النُّوَّامُ هُبُّوا فَإِنَّ أَحْمَدَ قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ.

لَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ جَمِيعاً، وَكَانَ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ هُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا بِبِعْثَتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.

أَمَّا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَدْ دَخَلَ يَوْماً إِلَى بَيْتِهِ حَزِيناً حِينَ عَلِمَ بِزَوَاجِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ بِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَكَانَتْ رُقَيَّةُ ذَاتَ جَمَالٍ، فَجَاءَتْ خَالَةٌ لِعُثْمَانَ اسْمُهَا (سُعْدَى بِنْتُ كُرَيْزٍ) وَكَانَتْ كَاهِنَةً، فَبَشَّرَتْهُ بِأَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ مِنْهَا، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ.

وَلَمَّا عَادَ عُثْمَانُ مِنْ رِحْلَةِ الشَّامِ فَكَّرَ فِيمَا سَمِعَهُ مِنْ خَالَتِهِ، وَمَا سَمِعَهُ مِنَ الصَّوْتِ الَّذِي نَادَاهُ فِي رِحْلَتِهِ، وَتَمنَّى عُثْمَانُ لَوْ قَابَلَ هٰذَا النَّبِيَّ الْجَدِيدَ، وَلٰكِنْ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ؟

وَإِذَا بِاللهِ تَعَالَى يَجْعَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ طَرِيقاً لِعُثْمَانَ كَيْ يَصِلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَدَلَّهُ عَلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَجِبْ يَا عُثْمَانُ دَاعِيَ اللهِ فَأَجَابَ عُثْمَانُ دَاعِيَ اللهِ، وَأَسْلَمَ لِيَكُونَ الْخَامِسَ أَوِ السَّادِسَ بَيْنَ مَنْ أَسْلَمُوا.

كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَتَى قُرَيْشٍ الأَوَّلَ، فَلَقَدْ كَانَ غَنِيًّا فِي مَالِهِ، كَرِيمَ الأَخْلَاقِ فِي نَفْسِهِ، شَرِيفَ النَّسَبِ فِي قَوْمِهِ، حَتَّى أَنَّ الْمَرْأَةَ فِي قُرَيْشٍ حِينَ كَانَتْ تُدَاعِبُ طِفْلَهَا تَقُولُ لَهُ:

أُحِبُّكَ وَالرَّحْمٰنِ حُبَّ قُرَيْشٍ عُثْمَانَ

فَلَمَّا عَلِمُوا بِإِسْلَامِهِ تَحَوَّلَ الْحُبُّ إِلَى كَرَاهِيَةٍ شَدِيدَةٍ، لِأَنَّ رَجُلًا فِي وَزْنِ عُثْمَانَ وَغِنَاهُ وَشَرَفِهِ سَيَتَسَبَّبُ إِسْلَامُهُ فِي إِسْلَام عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ شَبَابِ مَكَّةَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ عُثْمَانَ وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِ.

وَكَمَا أُوذِيَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ قَامَ (الْحَكَمُ بْنُ أَبِي

الْعَاصِ) عَمُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَكَانَ يَرْبُطُ عُثْمَانَ بِالْحِبَالِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ الطَّعَامَ، وَيَقُولُ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى دِينِ آبَائِكَ، فَوَاللهِ لا أَتْرُكُكَ حَتَّى تَتْرُكَ دِينَ مُحَمَّدٍ.

وَعُثْمَانُ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، يَتَحَمَّلُ الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَمْ يَجِدِ الْحَكَمُ وَسِيلَةً أُخْرَى لِتَعْذِيبِ عُثْمَانَ غَيْرَ وَسِيلَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ، فَقَدْ كَانَ يَلُفُّ عُثْمَانَ فِي الْحَصِيرِ، ثُمَّ يُوقِدُ النَّارَ تَحْتَهُ، فَيَخْرُجُ الدُّخَانُ يَكَادُ عُثْمَانُ يَخْتَنِقُ مِنْهُ وَيَمُوتُ، وَلٰكِنْ يَرْتَفِعُ صَوْتُ عُثْمَانَ: لا وَاللهِ لَا أَتْرُكُ دِينِي، لَا وَاللهِ لَا أُفَارِقُ نَبِيِّي، وَكُلَّمَا ازْدَادَ تَعْذِيبُ الْحَكَمِ لِعُثْمَانَ، ازْدَادَ تَمَسُّكُ عُثْمَانَ بِدِينِهِ، حَتَّى يَئِسَ عَمُّهُ مِنْهُ فَتَرَكَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

* * *

كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلنَّبِيِّ وَزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ (أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ) امْرَأَةً سَيِّئَةَ الْخُلُقِ سَمَّاهَا الْقُرْآنُ (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) لِأَنَّهَا كَانَتْ تَكِيدُ لِرَسُولِ اللهِ وَتُحَارِبُهُ وَتَكْرَهُهُ.

وَأَرَادَ أَبُو لَهَبٍ وَزَوْجَتُهُ أَنْ يُؤْذِيَا رَسُولَ اللهِ فَأَمَرَا وَلَدَيْهِمَا عُتْبَةَ وَعُتَيْبَةَ أَنْ يُطَلِّقَا رُقَيَّةَ وَأُمَّ كُلْثُومٍ ابْنَتَيْ رَسُولِ اللهِ، وَكَانَ عُثْمَانُ يُرِيدُ الزَّوَاجَ بِرُقَيَّةَ.

فَلَمَّا طُلِّقَتْ ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَخَطَبَهَا مِنْهُ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، وَكَانَ عُثْمَانُ شَابًّا جَمِيلَ الْوَجْهِ بَهِيَّ الطَّلْعَةِ، وَكَذَٰلِكَ كَانَتْ رُقَيَّةُ حَسَنَةَ الْوَجْهِ، بَهِيَّةَ الطَّلْعَةِ وَكَيْفَ لَا وَهِيَ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ، وَبِنْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَكَانَ عُرْسُ عُثْمَانَ وَرُقَيَّةَ عُرْساً رَائِعاً حَتَّى غَنَّتْ جَوَارِي مَكَّةَ:

أَجْمَلُ زَوْجَيْنِ رَآهُمَا إِنْسَان رُقَـيَّـةُ وَزَوْجُـهَـا عُـثْـمَـان

وَازْدَادَتْ كَرَاهِيَةُ قُرَيْشٍ لِعُثْمَانَ بَعْدَ زَوَاجِهِ مِنْ رُقَيَّةَ، فَقَدْ عَلِمُوا حُبَّ عُثْمَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَحُبَّ رَسُولِ اللَّهِ لِعُثْمَانَ فَاشْتَدَّ الأَذَى لِعُثْمَانَ وَزَوْجَتِهِ، فَحَارَبَتْهُ قُرَيْشٌ فِي تِجَارَتِهِ، حَتَّى ضَاقَتْ مَكَّةُ بِعُثْمَانَ وَرُقَيَّةَ، فَهَاجَرَ عُثْمَانُ إِلَى الْحَبَشَةِ وَمَعَهُ رُقَيَّةُ.

وَهُنَا نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ وَرُقَيَّةَ وَهُمَا مُهَاجِرَانِ فَقَالَ: «**صَحِبَ اللهُ عُثْمَانَ وَرُقَيَّةَ، إِنَّ عُثْمَانَ لأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ نَبِيِّ اللهِ لُوطٍ**».

وَلَٰكِنَّ شَوْقَ رُقَيَّةَ إِلَى مَكَّةَ عَجَّلَ بِعَوْدَةِ عُثْمَانَ إِلَيْهَا مِنَ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا عَادَا وَجَدَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ قَدْ مَاتَتْ فَحَزِنَتْ رُقَيَّةُ عَلَى أُمِّهَا، وَتَأَثَّرَ عُثْمَانُ لِوَفَاةِ خَدِيجَةَ، وَعَوَّضَهُمَا اللهُ بِطِفْلٍ صَغِيرٍ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ: (عَبْدَ اللهِ).

وَهَاجَرَ عُثْمَانُ بَعْدَ ذَٰلِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ بَقِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَادَى مُنَادِي الْجِهَادِ: يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي. وَلَٰكِنَّ عُثْمَانَ كَانَ بِجِوَارِ زَوْجَتِهِ رُقَيَّةَ الَّتِي مَرِضَتْ مَرَضاً شَدِيداً بَعْدَ وَفَاةِ وَلَدِهَا (عَبْدِ اللهِ).

فَاسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِيَظَلَّ بِجِوَارِ زَوْجَتِهِ الْمَرِيضَةِ فَأَذِنَ لَهُ، وَلِذَٰلِكَ تَخَلَّفَ عُثْمَانُ عَنْ غَزْوَةِ (بَدْرٍ) إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ مِنْ غَنَائِمِ هَٰذِهِ الْغَزْوَةِ فِيمَا بَعْدُ فَكَانَ كَمَنْ حَضَرَ هَٰذِهِ الْغَزْوَةِ.

وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَدْرٍ مُنْتَصِرِينَ، وَاخْتَلَطَتْ بَسْمَةُ الانْتِصَارِ بِدُمُوعِ الْحُزْنِ، فَقَدْ مَاتَتْ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَظَلَّ عُثْمَانُ بِلَا زَوْجَةٍ، فَقَدْ كَانَ صِهْراً لِلنَّبِيِّ - عليه السلام - أَمَّا الآنَ فَقَدِ انْقَطَعَ النَّسَبُ مَعَ رَسُولِ اللهِ.

وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يُزَوِّجَ عُثْمَانَ مِنِ ابْنَتِهِ حَفْصَةَ، وَلَٰكِنَّ عُثْمَانَ لَمْ يَقْبَلْ بِذَٰلِكَ، فَاشْتَكَى عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لِعُمَرَ: «**يَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ، وَيَتَزَوَّجُ عُثْمَانُ مَنْ هِيَ خَيْرٌ مِنْ حَفْصَةَ**» وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ بِحَفْصَةَ.

أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ زَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أُمِّ كُلْثُومٍ الَّتِي

ظَلَّتْ بِلَا زَوْج مُنْذُ طَلَّقَهَا ابْنُ أَبِي لَهَبٍ، فَكَأَنَّمَا ادَّخَرَهَا اللهُ لِعُثْمَانَ كَيْ تَكُونَ زَوْجَةً لَهُ.

وَيَوْمَ أَنْ تَزَوَّجَ عُثْمَانَ بِأُمِّ كُلْثُوم صَارَ هُوَ ذَا النُّورَيْنِ لِزَوَاجِهِ بِابْنَتَيْ رَسُولِ اللهِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِنْتَيْ نَبِيٍّ غَيْرُ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - ، وَظَلَّتْ أُمُّ كُلْثُوم زَوْجَةً لِعُثْمَانَ حَتَّى مَاتَتْ فِي الْعَامِ التَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ فَلَمَّا مَاتَتْ (أُمُّ كُلْثُومٍ) حَزِنَ عُثْمَانُ حُزْناً شَدِيداً لِعِلْمِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ لَيْسَ عِنْدَهُ بِنْتٌ يَتَزَوَّجُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ: **«لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَالِثَةٌ زَوَّجْتُهَا عُثْمَانَ»**.

***

ارْتَبَطَتْ بَعْضُ الْأَسْمَاءِ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ وَالصِّفَاتِ، فَعُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - مَثَلًا ارْتَبَطَ اسْمُهُ بِالْعَدْلِ، وَأَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - ارْتَبَطَ اسْمُهُ بِاللِّينِ وَالرَّحْمَةِ.

أَمَّا عُثْمَانُ - رضي الله عنه - فَإِنَّ اسْمَهُ قَدِ ارْتَبَطَ بِشَيْئَيْنِ مُهِمَّيْنِ وَهُمَا:

إِنْفَاقُ المالِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَيَاءُ. فَأَمَّا الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَعُثْمَانُ وَاحِدٌ مِنْ رُوَّادِ هٰذا الْمَجَالِ، فَقَدْ كَانَتْ أَمْوَالُ عُثْمَانَ فِي خِدْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالإِسْلام مُنْذُ اللَّحْظَةِ الَّتِي فَارَقَ فِيهَا الْكُفْرَ، وَأَعْلَنَ فِيهَا الإِسْلَامَ.

كَانَتْ بِئْرُ (رُومَةَ) هِيَ الْبِئْرَ الَّتِي يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَمْلِكُهَا يَهُودِيٌّ يَتَحَكَّمُ فِي الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي لَنَا (بِئْرَ رُومَةَ) وَيَكُونُ دَلْوُهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَزِيدُ عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ؟**»

وَخَرَجَ عُثْمَانُ مِنْ بَيْنِ الصُّفُوفِ، فَذَهَبَ إِلَى هٰذَا الْيَهُودِيِّ يَطْلُبُ مِنْهُ شِرَاءَ هٰذِهِ الْبِئْرِ، فَأَبَى الْيَهُودِيُّ إِلَّا أَنْ يَبِيعَ نِصْفَهَا لِعُثْمَانَ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَم، وَهُوَ مَبْلَغٌ يَصْلُحُ لأَنْ يَكُونَ رَأْسَ مَالٍ لِخَمْسَةِ تُجَّارٍ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ، فَوَافَقَ عُثْمَانُ، وَدَفَعَ المَالَ شَرِيطَةَ أَنْ يَكُونَ **الْبِئْرُ يَوْماً لِعُثْمَانَ، وَيَوْماً آخَرَ لِلْيَهُودِيِّ.**

وَفِي يَوْمِ عُثْمَانَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَشْرَبُونَ، وَيَدَّخِرُونَ الماءَ لِيَوْمٍ آخَرَ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ أَنَّهُ لا يَبِيعُ الماءَ، ذَهَبَ إِلَى عُثْمَانَ وَبَاعَهُ النِّصْفَ البَاقِيَ بِثَمَانِيَةِ آلافِ دِرْهَم. وَيَوْماً مَا نَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا مَسْجِدَنَا هٰذَا وَيَكُونُ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ؟**».

وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَالُ عُثْمَانَ هُوَ الَّذِي يُدْفَعُ لِيَتَّسِعَ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ مِنْ أَجْلِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى رَضِيَ رَسُولُ اللهِ عَنْ عُثْمَانَ - رضي الله عنه -، أَمَّا غَزْوَةُ تَبُوكَ فَكَانَتْ (غَزْوَةَ العُسْرَةِ) الَّتِي لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ يَمْلِكُ فِيهَا

أَمْوَالًا يُجَهِّزُ بِهَا جَيْشَهُ الذَّاهِبَ لِحَرْبِ الرُّومِ أَكْبَرِ دُوَلِ الأَرْضِ فِي ذَٰلِكَ الْوَقْتِ، وَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ كُلِّهِ، وَدَفَعَ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَٰكِنْ لَمْ تَكْفِ هٰذِهِ الأَمْوَالُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي الْمُسْلِمِينَ يَحُثُّهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِكُلِّ مَا يَلْزَمُهَا.

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ خَطِيباً مَرَّةً أُخْرَى، فَقَامَ عُثْمَانُ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَةٌ أُخْرَى.

وَفِي الثَّالِثَةِ قَامَ عُثْمَانُ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَةٌ أُخْرَى.

وَعَادَ رَسُولُ اللهِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَجَدَ عُثْمَانَ يَنْتَظِرُهُ، لِيَصُبَّ أَلْفَ دِرْهَمٍ أُخْرَى فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَمَامَ هٰذَا لَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللهِ خَيْراً مِنْ أَنْ يَظَلَّ طِيلَةَ اللَّيْلِ يَدْعُو لِعُثْمَانَ قَائِلًا: «**اللَّهُمَّ عُثْمَان رَضِيتُ عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ**» حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ أَنَّ رَبَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لَهُ.

وَبَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي عَامِ الرَّمَادَةِ صَحَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ عَلَى صَوْتِ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ،

وَصَلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ مَلِيئَةً بِكُلِّ أَصْنَافِ الْأَطْعِمَةِ، وَقَامَ التُّجَّارُ كُلٌّ يُرِيدُهَا لِنَفْسِهِ لِكَيْ يُحَقِّقَ مَكْسَباً وَفِيراً مِنْهَا.

وَكَانَ صَاحِبُ الْقَافِلَةِ عُثْمَانَ - رضي الله عنه -، فَقَالَ التُّجَّارُ لِعُثْمَانَ: نَدْفَعُ لَكَ ضِعْفَ الْقَافِلَةِ؟ قَالَ: لَا.

قَالُوا: ثَلاثَةَ أَضْعَافِهَا. قَالَ: لَا أَقْبَلُ فَهُنَاكَ مَنْ سَيَدْفَعُ لِي زِيَادَةً.

قَالُوا: كَيْفَ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ إِلَيْكَ، وَلَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ تُجَّارٌ غَيْرَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ تَاجِراً سَيُعْطِينِي الدِّرْهَمَ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ قَدِ اشْتَرَاهَا مِنِّي.

وَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ مَنْ يَكُونُ هٰذَا التَّاجِرُ، فَنَظَرَ عُثْمَانُ وَقَالَ: إِنَّهُ اللهُ يُعْطِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، لَقَدْ تَصَدَّقْتُ بِهٰذِهِ الْقَافِلَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

* * *

وَالشَّيْءُ الثَّانِي الَّذِي ارْتَبَطَ بِعُثْمَانَ - رضي الله عنه - هُوَ (الْحَيَاءُ) وَالْحَيَاءُ هُوَ خُلُقُ الإِسْلَامِ الْأَوَّلُ.

وَلَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ - رضي الله عنه - حَيِيًّا مِنَ اللهِ تَعَالَى، حَتَّى قَالَ عَنْهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ عُثْمَانُ فِي بَيْتِهِ

لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَالْبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَضَعُ ثَوْبَهُ لِيُفِيضَ عَلَيْهِ الماءَ، فَكَانَ الْحَيَاءُ يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَتَرْوِي أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ جَالِساً كَاشِفاً عَنْ فَخِذِهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَشَدَّ رَسُولُ اللهِ ثِيَابَهُ فَسَأَلَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ عَنْ سَبَبِ شَدِّهِ ثِيَابَهُ لَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ وَاللهِ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَسْتَحْيِي مِنْهُ»**؟

وَالْحَيَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ كَانَ الإِيمانُ قَوِيًّا فِي قَلْبِهِ، وَعُثْمَانُ - رضي الله عنه - قَوِيُّ الإِيمانِ بِلَا شَكٍّ.

وَلَعَلَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ أَنَّ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - كَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَامِلًا، بَلْ وَكَانَ كَاتِباً لِلْوَحْيِ أَيْضاً، فَكَانَ عُثْمَانُ يُحِبُّ الْقُرْآنَ حُبّاً شَدِيداً.

وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِلنَّاسِ: لَوْ طَهَّرْتُمْ قُلُوبَكُمْ مَا شَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ.

وَلٰكِنَّ الْعَمَلَ الْأَعْظَمَ الَّذِي يَظَلُّ شَاهِداً لِعُثْمَانَ إِلَى يَوْمِ القِيامَةَ هُوَ جَمْعُهُ الْقُرْآنَ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ لَا زَالَ حَتَّى الْآنَ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ وَهُوَ (الْمُصْحَفُ الْعُثْمَانِيُّ).

فَلَقَدْ نَظَرَ عُثْمَانُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَ عَدَدَهُمْ يَزْدَادُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، وَغَيْرُ الْعَرَبِ حِينَ يَنْطِقُونَ الْقُرْآنَ، كَانُوا يَنْطِقُونَهُ بِطَرِيقَةٍ خَاطِئَةٍ، فَخَافَ عُثْمَانُ عَلَى الْقُرْآنِ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ.

فَأَمَرَ (زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ) رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ الْمُصْحَفِ الَّذِي جَمَعَهُ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيَكْتُبَ هٰذَا الْمُصْحَفَ لِكُلِّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَيَحْرِقَ الْمَصَاحِفَ الْأُخْرَى فَفَعَلَ، وَلا زَالَ هٰذَا الْمُصْحَفُ هُوَ الَّذِي نَقْرَأُ فِيهِ حَتَّى يَوْمِنَا هٰذَا، وَسَيَقْرَأُهُ النَّاسُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً يُوَافِقُونَ عُثْمَانَ فِي هٰذِهِ الْخُطْوَةِ وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ - رضي الله عنهما - .

وَكَيْفَ لَا يُوَافِقُونَهُ وَهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ عُثْمَانَ مُحِبٌّ لِلْقُرْآنِ، وَأَنَّ عُثْمَانَ نَفْسَهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الْقُرآنِ.

فَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ قَوْلَهُ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

فَكَانَ الصَّحَابَةَ يَقُولُونَ: هٰذا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان - رضي الله عنه - .

***

تَوَلَّى عُثْمَانُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - ، فَكَانَ خَيْرَ المسلمينَ وَأَفْضَلَهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَفِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ زَادَتْ مَسَاحَةُ الْبِلادِ الإِسْلامِيَّةِ، وَفَتَحَ اللهُ عَلَى المسلمينَ بِلاداً كَثِيرَةً مِنْها جَزِيرَةُ (قُبْرُص) وَبِلَادُ (خُرَاسَانَ) وَ(أَرْمِينْيَة) وَبِلَادُ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ.

وَزَادَتِ الأَمْوَالُ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

أَمَّا عُثْمَانُ - رضي الله عنه - فَكَانَ لا يُرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً فَرَغْمَ غِنَاهُ قَبْلَ الإِسْلام وَبَعْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ حِينَمَا تَوَلَّى الْخِلافَةَ، كَانَ يَعِيشُ حَياةَ الْبُسَطَاءِ، فَكَانَ يُطْعِمُ طَعَامَ الإِمَارَةِ وَيأْكُلُ الخَلَّ وَالزَّيْتَ.

وَكَانَ يَدْخُلُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَنَامُ عَلَى الْحَصِيرِ وَقَدْ جَعَلَ يَدَهُ وِسَادَةً لَهُ، وَأَثَّرَ الْحَصِيرُ فِي جَنْبِهِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُونَ:

هٰذَا أَمِيرُ المؤمنينَ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئاً يَقُومُ مَعَهُ فَلا يَرُدُّهُ إِلَّا وَقَدْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ.

وَفِي اللَّيْلِ كَانَ عُثْمَانُ يَقُومُ لِيُصَلِّيَ وَيَتَهَجَّدَ للهِ تَعَالَى، فَكَانَ لَا يُوقِظُ خَدَمَهُ وَهُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُسَاعِدُهُ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: أَيْقِظِ الْخَدَمَ لِيُسَاعِدُوكَ.

فَيَقُولُ عُثْمَانُ: إِنَّنَا نَسْتَخْدِمُهُمْ بِالنَّهَارِ، وَاللَّيْلُ لَهُمْ فَدَعُوهُمْ لِيَنَامُوا.

وَلَمْ يَكُنْ عُثْمَانُ فِي حَزْمِهِ وَشِدَّتِهِ أَقَلَّ مِنْ عُمَرَ بَلْ كَانَ شَدِيداً قَوِيّاً مَعَ الْمُخْطِئِينَ فِي عَمَلِهِمْ، وَفِي عَهْدِهِ انْتَشَرَتْ عَادَاتٌ سَيِّئَةٌ كَثِيرَةٌ كَصَيْدِ الْحَمَامِ، فَكَانَ يُعَيِّنُ مَنْ يَقْبِضُ لَهُ عَلَى الشَّبَابِ الَّذِي يَلْهُو وَيَصِيدُ الحَمَامَ أَوْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الصَّوَابِ.

وَعَاشَ المسلمونَ أَفْضَلَ عُصُورِهِمْ، وَاغْتَنَوْا أَيَّامَ

عُثْمَانَ غِنًى كبيراً، فَكَانَ عُثْمَانُ يُنَادِي فِي النَّاسِ، هَيَّا لِأُعْطِيَاتِكُم - أَيْ مَا تَأْخُذُونَ مِنْ بَيْتِ المالِ - فَيَذْهَبُونَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذُوا المالَ. ثُمَّ يُنَادِي: هَيَّا إِلَى السَّمْنِ وَالْعَسَلِ، فَيَذْهَبُونَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذُوا السَّمْنَ وَالعَسَلَ. وَالقُمَاشَ، وَالْمِسْكَ وَالزَّبيبَ. قَدِ امْتَلأَتْ دِيارُ الْمُسْلِمينَ بِالْخَيْرَاتِ ... وَلَكِنْ ...

كَانَ رَسُولُ اللهِ يَوْماً فِي حَدِيقَةٍ مِنْ حَدَائِقِ المدينةِ وَمَعَهُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، فَطَرَقَ رَجُلٌ البَابَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «**افْتَحِ البَابَ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَوَجَدَهُ أَبَا بَكْرٍ - رضي الله عنه - فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ كانَ الطَّارِقُ الثَّانِي عُمَرَ - رضي الله عنه - «**فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ**»، وَطَرَقَ رَجُلٌ ثَالِثٌ البَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأبي مُوسَى: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَكَانَ عُثْمَانُ - رضي الله عنه - ، فَلَمَّا سَمِعَ عُثْمَانُ هَذَا قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَعَلِمَ عُثْمَانُ أَنَّ اللهَ سَيَبْتَلِيهِ يَوْماً مِنَ الأَيَّام فَإِذَا صَبَرَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، فَكَانَ يَصْبِرُ عَلَى كُلِّ مَنْ يُؤْذِيهِ حَتَّى جَاءَ وَعْدُ اللهِ وَرَسُولِهِ لِعُثْمَانَ.

فَقَامَتِ الْفِتْنَةُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ، حَيْثُ كَانَ سَبَبَهَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ظَاهِراً، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُبْغِضاً لِلإِسْلَامِ وَالمسلمينَ وَهُوَ [عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبأ].

فَأَشَاعَ هَذَا الرَّجُلُ كَذِباً أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ غَيَّرَ فِي شَرِيعَةِ اللهِ، وَأَنَّهُ ظَالِمٌ يُحَابِي أَقْرِبَاءَهُ، وَيَعْزِلُ الْوُلَاةَ الَّذِينَ عَيَّنَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

وَفَتَحَ المسلمونُ أُذُنَهُمْ لِهَذَا الْيَهُودِيِّ، فَكَانَتْ فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ، وَجَاءَ الثُّوَّارُ مِنَ المسلمينَ الجُدُدِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرَ عُثْمَانَ - رضي الله عنه -، وَسَبْقَهُ لِلإِسْلَامِ.

جَاؤوا فَحَاصَرُوا دَارَ عُثْمَانَ وَمَنَعُوا عَنْهُ الطَّعَامَ وَهُوَ الَّذِي أَطْعَمَ مِنْ قَبْلُ بِمَالِهِ المسلمينَ، وَمَنَعُوا عَنْهُ الشَّرَابَ وَهُوَ الَّذِي اشْتَرَى بِئْرَ رُومَةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَحَاصَرُوا بَيْتَهُ وَهُوَ الَّذِي وَسَّعَ الْمَسْجِدَ مِنْ مَالِهِ مِنْ قَبْلُ.

وَظَلَّ حِصَارُهُمْ لِعُثْمَانَ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، حَتَّى جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَوْمِهِ.

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ.

وَصَامَ عُثْمَانُ هَذَا الْيَوْمَ، وَجَعَلَ الْمُصْحَفَ الَّذِي جَمَعَهُ أَمَامَهُ يَقْرَأُ فِيهِ، حَتَّى دَخَلَ هَؤُلاءِ الثُّوَّارُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ حَتَّى ضَرَبَ أَحَدُهُمُ الْمُصْحَفَ، بِقَدَمِهِ، وَلَطَمَ عُثْمَانَ بِيَدِهِ، فَوَقَعَ عُثْمَانُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمُصْحَفُ، ثُمَّ طَعَنُوهُ فَقَتَلُوهُ شَهِيداً مَظْلُوماً، قَدْ سَالَتْ دِمَاؤُهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْم الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُثْمَانُ، وَسُلَّ سَيْفُ الْفِتْنَةِ، لَمْ تَخْمَدْ نَارُ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يُغْمَدْ سَيْفُهَا، فَلا زَالَتِ الأُمَّةُ يُحَارِبُ بَعْضُهَا الْبَعْضَ.

وَهُنَاكَ فِي السَّمَاءِ حَيْثُ الْعَدْلُ الإِلٰهِيُّ، يَقِفُ عُثْمَانَ أَمَامَ رَبِّهِ يَشْكُو مَا فَعَلَهُ المسلمونَ بِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَبِّ انْظُرْ مَاذَا فَعَلَ بِي عِبَادُكَ الْمُؤْمِنُونَ !!!

الدروس المستفادة

(١) الحياءُ مِنْ صِفاتِ المؤمنين.

(٢) الإنْفَاقُ فِي سَبِيلِ الله.

(٣) تَحمُّل الأَذَى في سبيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ.

(٤) الصَّبْر عَلَى الأَذَى حَتَّى يَلْحَقَ الإنْسَانُ بِالجَنَّة.

(٥) عثمانُ بن عفَّانَ - رضي الله عنه - منْ خَيْرِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.



من هو؟

* كان سبباً في إسلام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

* خليفة مسلم تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

* عُذِّب عثمان بن عفان بعد إسلامه لكي يترك الإسلام.

أكمل الآتي: -

أراد عثمان أن يتزوج ..... بنت رسول الله ﷺ ولكنها كانت قد تزوجت ..... بن ..... وجاءت خالته ..... فبشَّرته بأنه سيتزوجها، ولما ماتت تزوج أختها ..... فسماه النبيُّ ﷺ ..... وهو الذي اشترى بئر ..... من ..... طماع، وهو الذي

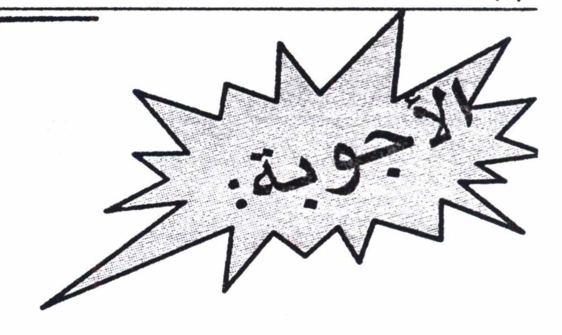
وسع .... النبويّ، وهو الذي جهز جيش المسلمين في غزوة .....

من القائل؟

(١) لو طهرتم قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم.

(٢) اللهمَّ عثمان رضيت عنه فارضَ عنه.

ما هو أعظم عمل قام به عثمان بن عفان من وجهة نظرك؟



- أبو بكر الصديق.

- عثمان بن عفان.

- الحكم بن العاص.

- رقية - عتبة بن أبي لهب - سعدى - أم كلثوم - ذو النورين - رومة - المسجد - تبوك.

- عثمان بن عفان.

- الرسول ﷺ.



سيرة عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-

اجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَبْحَثُوا أَمْرَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ أبي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، ذَلِكَ الرّجُلِ الَّذِي كَبِرَتْ سِنُّهُ، وَكَثُرَ عِيالُهُ، وَقَلَّ مَالُهُ.

وَدَارَ الْحَدِيثُ هَادِئاً فِي وُدٍّ شَدِيدٍ، وَأَخِيراً اتَّفَقَ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى مُسَاعَدَةِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى يَقْضِيَ بَقِيَّةَ أَيَّامِهِ فِي رَاحَةٍ، فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَدَ أَبِي طَالِبٍ الأَوْسَطَ وَهُوَ (طَالِبٌ) كَيْ يَرْعَاهُ وَيُنْفِقَ عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ.

وَأَخَذَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ لِيَرْعَاهُ، وَبَقِي عَقِيلُ بْنُ أبِي طَالِبٍ لِيَرْعَى أَبَاهُ في أيَّامِهِ الأَخِيرَةِ.

أَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ عَادَ وَمَعَهُ خَيْرُ أَبْنَاءِ أَبِي طَالِبٍ وَأَكْرَمُهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ، لَقَدْ عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه -) لِيَرْعَاهُ فِي بَيْتِهِ، وَيُرَبِّيَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَيَا لَهُ مِنْ قَدَرٍ سَعِيدٍ.

عَاشَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رِعَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَسْجُدْ لِصَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَلْهُ كَبَقِيَّةِ الصِّبْيَانِ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَرَاهُ خَيْرَ النَّاسِ وَأَفْضَلَهُمْ، فَرَاحَ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْأَخْلَاقَ الْقَوِيمَةَ، وَالْأَفْعَالَ الْكَرِيمَةَ، فَكَانَ صُورَةً ثَانِيَةً مِنْهُ ﷺ.

وَوَسَطَ ظُلُمَاتِ مَكَّةَ الحَالِكَةِ، يَبْزُغُ نُورُ النُّبُوَّةِ، وَيَنْزِلُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي غَارِ حِرَاءٍ بِرِسَالَةِ الإِسْلَامِ، لِيَتْلُوَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ: ﴿ٱقْرَأْ﴾.

وَيُصْبِحُ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولًا لِلنَّاسِ جَمِيعاً، وَيَعُودُ رَسُولُ اللهِ إِلَى دَارِهِ لِتُؤْمِنَ خَدِيجَةُ بِهِ، ثُمَّ يَتْبَعُهَا عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي لَمْ يَكُنْ عُمْرُهُ وَقْتَهَا قَدْ جَاوَزَ السَّادِسَةَ، وَهُوَ أَمْرٌ عَجِيبٌ حَقًّا.

وَلَيْسَ الْعَجَبُ فِي إِسْلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، لأَنَّهُ تَرَبَّى صَغِيراً فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، بَلِ الْعَجَبُ هُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي أَسْلَمَ بِهَا، لَقَدْ عَرَضَ رَسُولُ اللهِ الإِسْلَامَ عَلَيْهِ فَوَافَقَ فَوْراً.

وَلٰكِنَّ النَّبِيَّ أَمَرَهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أَبَاهُ فِي ذٰلِكَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: وَهَلِ اسْتَأْذَنَ اللهُ أَبِي يَوْمَ خَلَقَنِي؟

وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَانَ عَلِيٌّ يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ فِي كُلِّ خُطُوَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ، وَيُصَلِّي خَلْفَهُ، وَيَبْكِي مِنْ أَجْلِهِ، كَانَ يَتْبَعُهُ كَمَا يَتْبَعُ الجَمَلُ الصَّغِيرُ أُمَّهُ لَا يَنْفَصِلُ عَنْهَا، ثُمَّ يَصْرُخُ قَائِلًا حِينَ يَرَى المُشْرِكِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ: أَنَا أَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

كَانَ رَسُولُ اللهِ يَرَى فِي عَلِيٍّ الْمُؤْمِنَ الصَّغِيرَ السِّنِّ، الْكَبِيرَ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ حَتَّى صَارَ بِحَقٍّ (فتى الإيمانِ) وَكَانَ عَلِيٌّ يَرَى فِي رَسُولِ اللهِ الْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ، وَالأُسْوَةَ، وَيَرَى فِيهِ الْعِلْمَ، وَالْأَدَبَ، فَاكْتَسَبَ مِنْهُ أُموراً كَثِيرَةً، فَبَيْنَمَا كَانَ صِبْيَانُ مَكَّةَ يَلْعَبُونَ وَيَلْهُونَ، كَانَ عَلِيٌّ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ يَتَعَلَّمُ عِلْمَهُ، وَيَتَخَلَّقُ بِخُلُقِهِ، وَيَحْفَظُ كُلَّ مَا يَقُولُهُ، حَتَّى صَارَ عَلِيٌّ أَسَدَ اللهِ فِي غَابَةِ الْكُفْرِ.

***

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - حَتَّى وَصَلَا إِلَى الْكَعْبَةِ.

وَهُنَاكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «**اجْلِسْ**»، فَجَلَسَ عَلِيٌّ، فَصَعَدَ رَسُولُ اللهِ عَلَى كَتِفَيْ عَلِيٍّ.

فَقَامَ عَلِيٌّ لِيَنْهَضَ بِرَسُولِ اللهِ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ ضَعِيفاً

فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْهَضَ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «اصْعَدْ أَنْتَ على كَتِفَيَّ» وَصَعَدَ عَلِيٌّ فَوْقَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ، فَنَهَضَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى تَصَوَّرَ عَلِيٌّ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُمْسِكَ نُجُومَ السَّمَاءِ لأَمْسَكَهَا، ثُمَّ صَعَدَ عَلِيٌّ الْكَعْبَةَ، وَكَانَ عَلَيْهَا تِمْثَالٌ مِنْ نُحَاسٍ، فَجَعَلَ يَهُزُّهُ يَمِيناً وَشِمَالاً حَتَّى سَقَطَ فَانْكَسَرَ كَمَا يَتَكَسَّرُ الزُّجَاجُ.

ثُمَّ انْطَلَقَ عَلِيٌّ وَرَسُولُ اللهِ بَعْدَ ذٰلِكَ يَجْرِيَانِ حَتَّى لا يَرَاهُمَا أَحَدٌ، وَهُمَا يَخْتَبِئَانِ فِي الْبُيُوتِ خَشْيَةَ أَنْ يَرَاهُمَا النَّاسُ.

وَفِي مُهِمَّةٍ هِيَ الأَصْعَبُ فِي حَيَاةِ عَلِيٍّ - رضي الله عنه - يَأْمُرُهُ رَسُولُ اللهِ أَنْ يَنَامَ فِي سَرِيرِهِ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ لِيُصْبِحَ عَلِيٌّ أَوَّلَ فِدَائِيٍّ فِي الإِسْلَامِ، وَلٰكِنْ تَعَالَوْا لِنَرَى كَيْفَ سَارَتِ الأُمُورُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، وَالْكُفَّارُ حَوْلَهُ قَدْ جَاؤوا لِقَتْلِهِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْهُ.

وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَ النَّوْمَ عَلَيْهِمْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ وَهُمْ نَائِمُونَ فَلَمْ يَرَوْهُ وَهُوَ يَضَعُ التُّرَابَ عَلَى رُؤوسِهِمْ، وَوَصَلَ النَّبِيُّ إِلَى دَارِ عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ: نَمْ عَلَى فِرَاشِي، وَتَسَجَّ(١) ....

(١) تَسَجَّ: تَغَطَّ.

بِبُرْدِي(١) الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا نَامَ تَغَطَّى بِهَٰذَا الْبُرْدِ.

وَدَخَلَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - لِيَتَغَطَّى بِغِطَاءِ رَسُولِ اللهِ الَّذِي طَالَمَا نَزَلَ فِيهِ الْوَحْيُ.

وَنَالَ بِذَلِكَ شَرَفاً عَظِيماً، لَقَدْ نَامَ دُونَ أَنْ يَخْشَى الْوَاقِفِينَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ بِسُيُوفِهِمْ، يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَكُنْ يَهَابُ أَبَا جَهْلٍ وَرِفَاقَهُ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ طَمْأَنَهُ أَنَّهُ لَنْ يُصَابَ بِأَذًى.

وَدَخَلَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَشَفُوا الغِطَاءَ وَجَدُوهُ عَلِيّاً لا رَسُولَ اللهِ، فَقَالُوا: أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ فِي ثَبَاتٍ وَثِقَةٍ: لَا عِلْمَ لِي بِهِ.

إِنَّهَا الشَّجَاعَةُ الَّتِي تَعَلَّمَهَا عَلِيٌّ مِنْ رَسُولِ اللهِ، ثُمَّ هِيَ الثِّقَةُ فِي وَعْدِ اللهِ لِنَبِيِّهِ أَنَّهُ لَنْ يُصَابَ بِأَيِّ أَذًى، وَهَذِهِ هِيَ صِفَاتُ المؤمنينَ الصَّادِقِينَ.

وَرَحَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، وَبَقِيَ عَلِيٌّ فِي مَكَّةَ لِيُؤَدِّيَ مُهِمَّةً أُخْرَى، وَهِيَ رَدُّ الْوَدَائِعِ وَالْأَمَانَاتِ لِأَهْلِهَا

(١) **البُرْدُ**: كساءٌ مخطّط يُلتحف به. ج: أبراد، وأبْرُد، وبُرود.

وَالَّتِي تَرَكُوهَا لِرَسُولِ اللهِ، فَرَدَّهَا عَلَيٌّ إِلَيْهِمْ، فَكَانَ هُوَ الْقَوِيَّ الأَمِينَ.

* * *

بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ حَيَاتَهُ فِي الْمَدِينَةِ بِأَنْ آخى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الأَنْصَارِ يَأْخُذُ الرَّجُلَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى دَارِهِ لِيُقِيمَ بِهَا وَيُقَاسِمُهُ مَالَهُ وَدَارَهُ، وَذَهَبَ النَّاسُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَلِيٌّ - رضي الله عنه - لَمْ يُؤَاخِ رَسُولُ اللهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ.

فَقَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه -: يَا رَسُولَ اللهِ آخَيْتَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعاً وَتَرَكْتَنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

وَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ عَزَّ الإِسْلَامُ، وَكَانَتِ الْمَعَارِكُ قَدِيماً تَبْدَأُ أَوَّلًا بِالْمُبَارَزَةِ بَيْنَ بَعْضِ الْجُنُودِ، ثُمَّ تَنْشُبُ الْمَعْرَكَةُ وَيَلْتَحِمُ الجَيْشَانِ.

وَيَوْمَ بَدْرٍ خَرَجَ رُؤُوسُ الْكُفْرِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ، وَوَلَدُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، فَقَالُوا: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ مِنَ المسلمينَ مُعَاذٌ وَمُعَوِّذٌ ابْنَا عَفْرَاءَ، وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، وَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ المشركونَ: إِنَّمَا نُرِيدُ أَوْلَادَ عَمِّنَا - يَقْصُدُونَ الْمُهَاجِرِينَ.

فَنَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُمْ يَا حَمْزَةُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الحَارِثِ، قُمْ يَا عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَامَ الثَّلاثَةُ مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَتَلَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ، وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ فَتَى مَكَّةَ وَفَارِسَهَا، فَصَرَعَهُ وَقَتَلَهُ، وَأَصَابَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ عُبَيْدَةَ بْنَ الحَارِثِ، فَقَامَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ فَقَتَلا عُتْبَةَ، وَعَادَ عَلِيٌّ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ يَحْمِلُ الرَّايَةَ لِرَسُولِ اللهِ، وَيَرَى الْمُسْلِمُونَ فِي عَلِيٍّ أَسَداً هَصُوراً[(١)]، وَبَطَلًا قَوِيّاً يَصْرَعُ المشركينَ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ.

وَفِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، أَعْطَى رَسُولُ اللهِ اللِّوَاءَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِيَفْتَحَ حُصُونَ خَيْبَرَ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ فَعَادَ.

فَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ اللِّوَاءَ لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو فَعَادَ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْتَحَ حُصُونَ خَيْبَرَ هُوَ الآخَرُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فَقَامَ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً فِي الْيَوْمِ التَّالِي كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الرَّايَةَ، وَلَكِنْ مَنْ لَهَا غَيْرُ عَلِيٍّ - رضي الله عنه -.

(١) شجاعاً مغواراً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**»؟

فَقَالُوا: إِنَّهُ مَرِيضٌ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ؟، وَلٰكِنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فَجَاءَ عَلِيٌّ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَشَفَاهُ اللهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنَيْهِ أَلَمٌ وَلا وَجَعٌ، ثُمَّ أَعْطَى رَسُولُ اللهِ الرَّايَةَ عَلِيّاً.

وَقَالَ لَهُ: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَت عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرُبَتْ**».

وَذَهَبَ عَلِيٌّ لِيَقِفَ عَلَى بَابِ حِصْنٍ مِنْ حُصُونِ خَيْبَرَ، وَحَاوَلَ الصَّحَابَةُ أَنْ يَخْلَعُوا هَذَا الْبَابَ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَرْفَعَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَرَفَعَهُ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ، فَسَأَلُوهُ عَنْ سِرِّ قُوَّتِهِ فَقَالَ: هَذَا عَوْنُ اللهِ وَمَدَدُهُ.

وَصَاحَ عَلِيٌّ فِي يَهُودِ خَيْبَرَ فَفَزِعُوا وَخَافُوا، وَتَفَرَّقُوا فِي البِلادِ، وَفَتَحَ اللهُ خَيْبَرَ عَلَى يَدَيْهِ.

وَفِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ قَامَ فَارِسٌ مِنَ المشركينَ اسْمُهُ (عَمْرُو بْنُ وُدٍّ) وَكَانَ أَشْهَرَ فَارِسٍ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى قَدَّرَهُ أَعْدَاؤُهُ بِأَلْفِ رَجُلٍ.

وَأَرَادَ هَذَا الْكَافِرُ رَجُلًا مِنَ المسلمينَ يُبَارِزُهُ، فَقَامَ

الْأَسَدُ مِنْ مَخْبَئِهِ، لِيَقولُ: أَنَا لَكَ يَا عَمْرَو بْنَ وُدّ.

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَسَدُ غَيرَ عَلِيٍّ - رضي الله عنه - الَّذِي كَانَ صَغِيرَ السِّنِّ وَقْتَهَا، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ وُدٍّ: إِنَّ أَبَاكَ كَانَ لِي صَدِيقاً وَلا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - : وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ وَبَارَزَ عَلِيٌّ عَمْرَو بْنَ وُدٍّ حَتَّى صَرَعَهُ، وَطَرَحَهُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ قَطَعَ رَأْسَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحاً بِنَصْرِ اللهِ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَتَى الإِيمانِ، وَرَجُلِ الإِسْلامِ.

***

أَحَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً حُبّاً شَدِيداً، حَتَّى أَنَّ بَعْضَ المسلمينَ جَاؤوا يَشْتَكُونَ مِنْ عَلِيٍّ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ خَطِيباً فِي المسلمينَ عَلَى مِنْبَرِهِ وَفِي مَسْجِدِهِ.

ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ لا تَشْكُوا عَلِيّاً، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَجَيْشٌ فِي ذَاتِ اللهِ»**.

وَكَانَتْ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكٍ، وَيَوْمَهَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً فِي المدينةِ لِيُدَافِعَ عَنْهَا ضِدَّ أَيِّ عُدْوَانٍ وَلِيَكُونَ عَلَى النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ.

وَلٰكِنَّ عَلِيًّا بَكَى شَوْقاً إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ لِيُقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللهِ.

فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «**يَا عَلِيُّ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي؟**».

وَهَذِهِ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ، فَلَقَدْ كَانَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلامُ نَبِيًّا وَزِيراً لِأَخِيهِ مُوسَى كَلِيمِ اللهِ، وَهَكَذَا كَانَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - لَكِنَّهُ لَيْسَ نَبِيّاً كَهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَنْ عَلِيٍّ: «**لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ**».

وَقَالَ عَنْهُ فِي مَرَّةٍ أُخْرَى: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**».

وَمِنْ شِدَّة حُبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ زَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَقَالَ لَهَا فِي لَيْلَةِ الزِّفَافِ: «**لَقَدْ تَرَكْتُكِ وَدِيعَةً**(١) **عِنْدَ أَقْوَى النَّاسِ إِيماناً، وَأَكْثَرِهِمْ عِلْماً، وَأَفْضَلِهِمْ أَخْلاقاً، وَأَشْجَعِهِم نَفْساً**».

وَقَالَ لِفَاطِمَةَ أَيْضاً: «**وَاللهِ لَأَنْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْكِ**».

---

(١) أمانة.

وَكَانَ عَلِيٌّ هُوَ الَّذِي يُدَاوِي رَسُولَ اللهِ فِي مَرَضِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ حِينَ يَنْتَقِلُ مِنْ دَارٍ إِلَى أُخْرَى وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَغْسِلْهُ إِلَّا عَلِيٌّ.

وَكَانَ هُوَ الْوَحِيدَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ إِلَى قَبْرِهِ، فَدَفَنَهُ بَعْدَ أَنْ بَكَاهُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْناً شَدِيداً.

* * *

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يُسَمَّى (حَبْرَ الْأُمَّةِ) لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ وَهُوَ الَّذِي دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ بِأَنْ يُفَقِّهَهُ اللهُ فِي الدِّينِ وَبِأَنْ يُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَثْرَةِ عِلْمِهِ، وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَاتَ مَرَّةٍ: أَيْنَ عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ: كَقَطْرَةِ مَطَرٍ إِلَى الْبَحْرِ الْعَظِيمِ.

وَحقًّا كَانَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - عَالِماً يَعْرِفُ خَبَايَا الْقُرْآنِ وَأَسْرَارَهُ، وَيَعْرِفُ أَسْبَابَ نُزُولِهِ، وَيَحْفَظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ حَتَّى قَالَ: لَقَدْ آتَانِي اللهُ قَلْباً عَقُولاً، وَلِسَاناً سَؤُولاً.

فَكَانَ يَعْقِلُ بِقَلْبِهِ مَا يَسْمَعُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى صَارَ بَحْراً عَظِيماً مِنَ الْعِلْمِ، وَمِنَ الَّذِينَ عَرَفُوا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ حَقَّهُ وَقَدْرَهُ عُمَرُ بْنُ

الخَطَّابِ - رضي الله عنه - الَّذِي قَالَ: لا أَبْقَانِي اللهُ فِي أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَلَعَلَّ النَّاسَ جَمِيعاً يَعْرِفُونَ مَنْ هُوَ عُمَرُ؟ إِنَّهُ الْعَادِلُ الْعَالِمُ صاحِبُ الشِّدَّةِ فِي دِينِ اللهِ، وَذُو الرَّأْيِ السَّدِيدِ، هَذَا الرَّجُلُ يَقُولُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ: لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ.

وَهَكَذَا أَصْبَحَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - حَامِياً لِدَوْلَةِ عُمَرَ مِنَ الضَّيَاعِ وَالسُّقُوطِ بِاعْتِرَافِ عُمَرَ نَفْسِهِ.

فِي ذَاتِ مَرَّةٍ اخْتَصَمَ عَلِيٌّ مَعَ أَحَدِ الْيَهُودِ فِي دِرْعٍ ادَّعَى عَلِيٌّ أَنَّهَا لَهُ، وَادَّعَى اليَهُودِيُّ أَنَّهَا لَهُ، فَاحْتَكَمَا إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ.

فَلَمَّا دَخَلا عَلَيْهِ، قَالَ عُمَرُ لِلْيَهُودِيِّ: اجْلِسْ يَا فُلانُ، وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ يا أَبا الْحَسَنِ.

وَكَانَ الْعَرَبِيُّ إِذَا أَرَادَ تَكْرِيمَ صَاحِبِهِ نَادَاهُ يَا أَبَا فُلان.

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ لِعَلِيٍّ: هَلْ لَدَيْكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هٰذِهِ الدِّرْعَ لَكَ؟ فَقَالَ: لَا.

فَقَالَ عُمَرُ لِلْيَهُودِيِّ: تُقْسِمُ بِاللهِ أَنَّ هَذِهِ دِرْعُكَ؟.

قَالَ اليَهُودِيُّ: نَعَمْ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِاللهِ فَحَكَمَ عُمَرُ بِالدِّرْعِ لِلْيَهُودِيِّ، ثُمَّ انْصَرَفَ الْيَهُودِيُّ، وَبَقِيَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهِ عَلامَاتُ الْغَضَبِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَظُنُّكَ قَدْ غَضِبْتَ لِأَنِّي أَعْطَيْتُ الدِّرْعَ لِلْيَهُودِيِّ.

فَقَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - : لَا يَا أَمِيرَ المؤمنينَ، وَلَكِنَّكَ حِينَمَا دَخَلْنَا عَلَيْكَ قُلْتَ لَهُ: اجْلِسْ يَا فُلانُ وَنَادَيْتَهُ بِاسْمِهِ، ثُمَّ نَادَيْتَنِي [يَا أَبَا الْحَسَنِ].

وَإِنَّ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تُسَوِّيَ بَيْنَنَا حَتَّى فِي النِّدَاءِ، وَفَرِحَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حَفِظَ لَهُ دَوْلَتَهُ، وَكَانَ عَوْناً لَهُ عَلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَلِمَ لَا وَهُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ، وَالَّذِي تَرَبَّى فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلَقَدْ قَالُوا عَنْهُ: كَانَ عَلِيٌّ سَهْماً صَائِباً مِنْ سِهَامِ اللهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَرَبَّانِيَّ هَذِهِ الأُمَّةِ. وَكَانَ عَلِيٌّ يَدْعُو رَبَّهُ فَيَقُولُ: كَفَانِي عِزّاً أَنْ تَكُونَ لِي رَبّاً، وَكَفَى بِي فَخْراً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، أَنْتَ لِي كَمَا أُحِبُّ، فَوَفِّقْنِي لِمَا تُحِبُّ.

مَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَوَلَّى الْخِلافَةَ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ - رضي الله عنه - ، وَحَاصَرَهُ الثُّوارُ فِي دَارِهِ وَمَنَعُوا عَنْهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، فَأَسْرَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - يَنْصَحُهُمْ وَيَقُولُ لَهُمْ:

اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ تَأْسِرُ أَعْدَاءَهَا فَتُطْعِمُهُمْ وَتَسْقِيهِمْ، وَإِنَّ عُثْمَانَ بَرِيءٌ لَمْ يَفْعَلْ لَكُمْ شَيْئاً فَأَطْعِمُوهُ وَاسْقُوهُ وَلَكِنَّ الثُّوَّارَ لَمْ يَسْتَمِعُوا لَهُ، فَخَلَعَ عِمَامَتَهُ، وَأَلْقَاهَا فِي دَارِ عُثْمَانَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ مَعَ الثُّوَّارِ شَيْئاً.

وَبَعَثَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ يُدَافِعَانِ عَنْ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - . وَلَكِنَّ سَيْفَ الْفِتْنَةِ قَطَعَ رَأْسَ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - .

وَفِي ظُرُوفٍ سَيِّئَةٍ تَوَلَّى عَلِيٌّ - رضي الله عنه - الْخِلافَةَ لِيُصْبِحَ رَابِعَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ.

وَكَانَ قَدْ رَفَضَ الْخِلافَةَ حَتَّى أَرْغَمَهُ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَاتَّخَذَ الْكُوفَةَ عَاصِمَةً لِلْخِلَافَةِ، وَدَارَتْ حُرُوبٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنه - فِي مَعْرَكَةِ صِفِّينَ.

وَكَانَ عَلِيٌّ وَهُوَ خَلِيفَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ يَحْمِلُ طَعَامَ أَهْلِهِ مِنَ السُّوقِ لا يَسْمَحُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: صَاحِبُ الْعِيَالِ أَوْلَى بِحَمْلِ طَعَامِهِ.

وَجَاعَ هُوَ وَأَهْلُهُ ذَاتَ مَرَّةٍ وَلَيْسَ مَعَهُ مَالٌ وَهُوَ خَلِيفَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَحَمَلَ سَيْفَهُ وَذَهَبَ إِلَى السُّوقِ وَنَادَى قَائِلًا: مَنْ يَشْتَرِي هَذَا السَّيْفَ مِنِّي؟ فَوَاللهِ لَقَدْ دَافَعْتُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ يَلْبَسُ ثَوْباً مُرَقَّعاً يَسِيرُ بِهِ بَيْنَ المسلمينَ.

وَجَاءَهُ سَمْنٌ وَعَسَلٌ لِيُوَزِّعَهُ عَلَى المسلمينَ فَجَاءَتِ ابْنَتُهُ أُمُّ كُلْثُوم فَأَخَذَتْ مِنْهُ، فَبَعَثَ إِلَى الوَزَّانِينَ(١) فَقَدَّرُوا مَا أَخَذَتْهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ.

فَبَعَثَ إِلَيْها قَائِلًا: ابْعَثِي إِلَيَّ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ، وَرَفَضَ - رضي الله عنه - أَنْ يَأْكُلَ هُوَ وَآلُ بَيْتِهِ مِنْ مَالِ المسلمينَ.

وفِي مَعْرَكَةِ (صِفِّينَ) انْقَسَمَ جَيْشُ عَلِيٍّ - رضي الله عنه -، حَتَّى ظَهَرَتْ فِرْقَةُ [الخَوَارِجِ] الَّذِينَ رَأَوْا أَنْ يَقْتُلُوا عَلِيّاً - رضي الله عنه -.

(١) الذين يزنون الأشياء بدقَّة.

وَقَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، رَأَى عَلِيٌّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ ابْنَ مُلْجَمٍ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - لَهُ: مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ يَا أَشْقَى النَّاسِ مِنْ بَيْعَتِي، وَاللهِ لَيَسِيلَنَّ الدَّمُ مِنْ رَأْسِي أَوْ لِحْيَتِي.

وَتَعَجَّبُ الْقَاتِلُ كَيْفَ عَرَفَ عَلِيٌّ أَنَّهُ سَيَقْتُلُهُ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَبْلَغَ أَحَداً بِهَذا.

وَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: اتَّقِ اللهَ يَا عَلِيُّ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ.

فَقَالَ لَهُمْ: بَلْ مَقْتُولٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلائِلُ حَتَّى خَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى الصَّلاةِ فَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَم فَقَتَلَهُ شَهِيداً، وَيَفْقِدُ الإِسْلامُ رَجُلًا مِنَ العَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَصَعَدَتْ رُوحُ عَلِيٍّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِتَلْحَقَ بِأَخِيهِ وابْنِ عَمِّهِ ورَسُولِهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ جَاهَدَ جِهَادَ الأَبْطَالِ، وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهَدَاءِ - رضي الله عنه -.

الدروس المستفادة

(١) حُبُّ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَحُبُّ الرَّسُولِ ﷺ.

(٢) المؤمنُ كبيرٌ بإيمانِهِ، وَلَوْ كَانَ صغيرَ السِّنِّ.

(٣) عليٌّ بنُ أبي طالبٍ أوَّلُ من آمنَ من الصِّبْيانِ، وهوَ الفدائيُّ الأوَّلُ في الإسْلامِ، وَوَاحِدٌ مِنَ العَشَرَةِ المبشَّرينَ بالجنةِ، ورابعُ الخلفاء الراشدين.

(٤) الشَّجاعةُ وَالبطولةُ من صفاتِ المؤمنين.

(٥) تَعَلُّمُ القرآنِ الكريمِ وحِفْظُهُ من أسباب دخول الجنة.



ضع علامة (✓) أو (X) أمام العبارات التالية:-

(١) كان علي بن أبي طالب أول من أسلم من الصبيان (   )

(٢) تزوج عليٌّ من عائشة بنت أبي بكر (   )

(٣) عليٌّ بن أبي طالب هو الخليفة الراشد الثاني

(   )

(٤) كان ابن عباس يقول أنا قطرة مطر وعليٌّ بحر العلم (   )

من هو؟

(١) حمل الراية يوم خيبر ففتح الله عليه.

(٢) قتله عليٌّ بن أبي طالب يوم الخندق وكان يساوي ألف رجل.

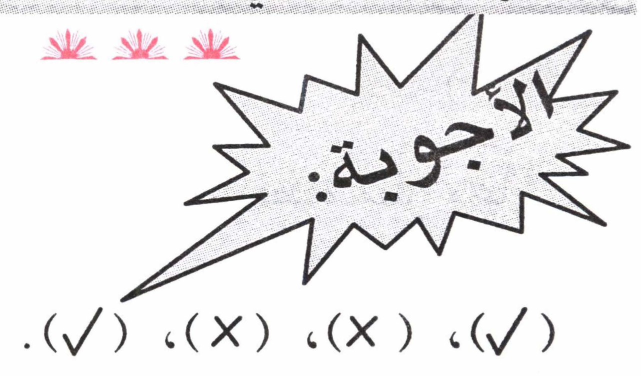
(٣) قال عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : لا

أبقاني الله في أرض ليس فيها علي بن أبي طالب.

أكمل العبارات التالية:

كان عمر بن الخطاب يقول: لولا ..... لهلك .....، وكان عليٌّ يتبع ... في كل خطواته حتى أنه صعد على ... في مكة ليهدم ...... من .....، وأبقاه في .... ليلة ... وتغطى ... الأخضر، وزوجه ابنته ...... وأعطاه الراية يوم ...

اذكر صفات علي - رضي الله عنه - كلها؟



(✓)، (X)، (X)، (✓).

عليُّ بن أبي طالب، عمرُو بن ودّ، عمرُ بن الخطاب.

علي - عمر - الرسول ﷺ.

كتفه - صنمًا - نحاس - مكة.

الهجرة - ببرده - فاطمة الزهراء - يوم خيبر.

سيرة طلحة بن عبيد اللّه -رضي الله عنه-

جَاءَ التُّجَّارُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ إِلَى (بُصْرَى) يَحْلُمُونَ بِالرِّبْحِ الْوَفِيرِ فِي تِجَارَتِهِمْ، وَفِي سُوقِ (بُصْرَى) اخْتَلَطَتِ الأَصْوَاتُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كُلٌّ يُنَادِي عَلَى سِلْعَتِهِ لِيَبِيعَهَا.

وَوَسَطَ هَذَا الزِّحَامِ خَرَجَ صَوْتٌ عَلا فَوْقَ الْأَصْوَاتِ كُلِّهَا وَهُوَ يُنَادِي: يا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ(١).

وَنَظَرَ الْجَمِيعُ حَوْلَهُمْ، فَإِذَا الصَّوْتُ لِرَاهِبٍ مِنْ رُهْبَانِ الشَّامِ الَّذِينَ انْتَشَرَتْ صَوَامِعُهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَأَجَابَ شَابٌّ مِنْ شَبَابِ مَكَّةَ وَهُوَ طَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ.

فَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ.

فَقَالَ الرَّاهِبُ: هَلْ ظَهَرَ فِيكُمْ أَحْمَدُ؟.

فَقَالَ طَلْحَةُ: وَمَنْ أَحْمَدُ يَا أَبِي؟ قَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، يَخْرُجُ فِي أَرْضِ

(١) من أهل بيت اللّه الحرام في مكة.

الحَرَمِ، وَيُهَاجِرُ إِلَى أَرْضٍ فِيهَا نَخِيلٌ وَمَاءٌ، فَإِيَّاكَ يَا فَتَى أَنْ يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَيْهِ.

وَانْصَرَفَ الرَّاهِبُ تَارِكاً طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ يُفَكِّرُ فِيمَا قَالَهُ، وَلَمْ يَطُلِ الْوَقْتُ بِطَلْحَةَ، فَقَدْ قَامَ إِلَى نَاقَتِهِ فَرَكِبَهَا، لِيَعُودَ سَرِيعاً إِلَى مَكَّةَ يَتَحَرَّى الْخَبَرَ هُنَاكَ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحاً، فَلَنْ يَسْبِقَهُ أَحَدٌ إِلَى أَحْمَدَ نَبِيِّ اللهِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعاً.

***

لَمْ يَكُنْ طَلْحَةُ يَعْرِفُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ اللهُ، فَلَمْ يَكُنْ قَدْ مَضَى عَلَى بِعْثَتِهِ إِلَّا وَقْتٌ قَصِيرٌ، وَلٰكِنَّ الْأَقْدَارَ السَّعِيدَةَ كَانَتْ تُخْفِي وَرَاءَهَا الْخَيْرَ لِطَلْحَةَ، فَطَلْحَةُ مِنْ بَنِي تَيْمٍ، وَهُوَ جَارٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الَّذِي أَسْلَمَ وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَوَصَلَ طَلْحَةُ إِلَى مَكَّةَ يَسْأَلُ عَمَّا حَدَثَ فِيهَا بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا.

فَقَالَ قَوْمُهُ: لَقَدْ خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّ آخِرِ الزَّمَانِ، وَقَدْ تَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ.

وَتَذَكَّرَ طَلْحَةُ قَوْلَ الرَّاهِبِ لَهُ، ثُمَّ فَكَّرَ قَلِيلاً مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ إِنَّهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ النَّاسُ عَلَيْهِ كَذِباً، وَأَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَتْ قُرَيْشٌ

جَمِيعُهَا تَعْرِفُ أَمَانَتَهُ وَحُسْنَ أَخْلَاقِهِ.

وَانْطَلَقَ طَلْحَةُ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَمْرِ هَذَا الدِّينِ الجَدِيدِ، وَالنَّبِيِّ الْأَخِيرِ، وَاسْتَقْبَلَهُ الصِّدِّيقُ فِي حَفَاوَةٍ بَالِغَةٍ، وَرَاحَ يُحَدِّثُهُ عَنِ الإِسْلامِ فِي رِقَّةٍ وَعُذُوبَةٍ، وَهُوَ يَسْتَمِعُ مُنْصِتاً إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَدْ أَعْجَبَهُ الإِسْلامُ، وَلَمْ يَجِدْ طَلْحَةُ فَرْقاً بَيْنَ كَلامِ الرَّاهِبِ وَكَلامِ أَبِي بَكْرٍ.

وَأَحَسَّ الصِّدِّيقُ بِأَنَّ الإِيمانَ قَدْ غَزَا قَلْبَ طَلْحَةَ فَأَخَذَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي دَارِ النَّبِيِّ ﷺ جَلَسَ طَلْحَةُ أَمَامَهُ وَهُوَ يَتْلُو عَلَيْهِ آياتِ اللهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَرَأَى طَلْحَةُ النُّورَ يَغْشَاهُ، وَالطُّمَأْنِينَةَ تَسْكُنُ قَلْبَهُ.

فَسَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ وَهُوَ يُعْلِنُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

وَلَمْ يَسْبِقْ أَحَدٌ طَلْحَةَ إِلَى الإِسْلامِ إِلَّا ثَلاثَةٌ فَقَطْ، وَتَحَقَّقَتْ نُبُوءَةُ الرَّاهِبِ البُصْرِي.

وَخَرَجَ طَلْحَةُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الإِيمانِ فِي قَلْبِهِ، وَسَطَعَ نُورُ الحَقِّ فِي نَفْسِهِ، فَأَصْبَحَ الإِسْلامُ خَيْراً لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَأَصْبَحَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ أَحبَّ النَّاسِ إلَى قَلْبِهِ.

وَلٰكِنَّ قُرَيْشاً عَلِمَتْ بإِسْلام طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ طَلْحَةُ عَبْداً مَمْلُوكاً كَبِلالٍ وَخَبَّاب وَلٰكِنَّهُ كَانَ سَيِّداً شَرِيفاً، فَأَثَّرَ ذَلِكَ فِي نُفُوسِهِمْ، فَدَعَوْهُ بِالرِّفْقِ أَوَّلا لِيَعُودَ عَنِ الإِسْلام إلَى دِينِ قَوْمِهِ، لٰكِنَّهُ كَانَ قَدْ ذَاقَ حَلاوَةَ الإِيمانِ فَأَبى إلَّا أَنْ يَظَلَّ عَلَى الإِسْلامِ وَلَو كَلَّفَهُ ذلك حَيَاتَهُ.

وَلَمْ تَسْكُتْ قُرَيْشٌ عَنْهُ، فَقَدْ أَمَرُوا أَسَدَ قُرَيْش، وَهُوَ (نَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ) لِيُعَذِّبَ طَلْحَةَ وَمَعَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَامَ (نَوْفَلٌ) وَهُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ فَرَبَطَ أَبَا بَكْرٍ وَطَلْحَةَ فِي حَبْلٍ وَاحِدٍ وَتَرَكَهُمَا لِلْغِلْمَانِ وَالسُّفَهَاءِ يَضْرِبُونَهُمَا بِالْحِجَارَةِ، وَيُعَذِّبُونَهُمَا، وَلٰكِنْ خَرَجَتْ كَلِمَاتُ الإِيمانِ مِنْهُمَا.

لَا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

وَلَمَا يَئِسَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُمَا تَرَكُوهُمَا وَقَدْ زَادَهُمَا التَّعْذِيبُ إيماناً وَقُوَّةً وَصَلابَةً، وَسُمِّي الرَّجُلانِ: بِ[الْقَرِينَيْنِ] فَقَدْ جَمعَ بَيْنَهُمَا الإيمانُ وَالتَّضْحِيَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

ثَلاثَةَ عَشَرَ عَاماً هِيَ عُمْرُ الإِسْلامِ فِي مَكَّةَ ذَاقَ

الْمُسْلِمُونَ فِيهَا صُنُوفَ الْعَذَابِ وَالإِيذاءِ، لٰكِنَّهُمْ صَبرُوا عَلَى مَا أُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُ اللهِ تَعَالَى.

وَكُلَّمَا اشْتَدَّتْ نَارُ الْعَذَابِ فِي مَكَّةَ، اشْتَعَلَتْ فِي الْقَلْبِ حَرَارَةُ الإيمانِ وَتَوَهَّجتْ، وَوَسَطَ ظُلُماتِ مَكَّةَ كَانَ النُّورُ يُشْرِقُ فِي قُلُوبِ بَعْضِ النَّاسِ لِيَدْخُلوا فِي دِينِ اللهِ.

لٰكِنَّ الْعَذَابَ يَزْدَادُ يَوْماً بَعْدَ يَوْم، وَلِذٰلِكَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبيَّهُ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إلى المدِينةِ.

وَنظَرَ طَلْحَةُ إلَى المدينَةِ لِيَجِدَهَا هِيَ تِلْكَ الأَرْضَ الَّتِي فِيهَا [نَخيلٌ وَمَاءٌ]، وَتَذَكَّرَ كَلِمَاتِ رَاهِبِ بُصْرَى، وَاسْتَبْشَرَ بِنَصْرِ اللهِ تَعالَى لِلْمُسْلِمِينَ.

وَنَادَى مُنَادِي الْجِهَادِ، فَرَكِبَ طَلْحَةُ فَرَسَهُ مُجاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ لِيَكُونَ فِي مُقَدِّمَةِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُقَاتِلِ ضِدَّ المشركينَ، وَقَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ مَع سَعِيدِ ابْنِ زَيْدٍ في مُهِمَّةٍ اسْتِطْلاعِيَّةٍ، وَذَلِكَ لِيَعْرِفَا عَدَدَ المشركينَ وَمَكَانَ تَجَمُّعِهِمْ، وَعَادَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَجِدَا نَصْرَ اللهِ قَدْ تَنَزَّلَ عَلَى المسلمينَ، فَأَعْطَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْغَنَائِمِ، فَكَانَ طَلْحَةُ هُوَ الحَاضِرَ الْغَائِبَ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَكَانَ يَوْمُ [أُحُدٍ] يَوْمَ طَلْحَةَ بِحَقٍّ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ

إِذَا ذُكِرَ أَمَامَهُ مَا حَدَثَ فِي أُحُدٍ قَالَ: [ذَاكَ يَوْمُ طَلْحَةَ]، فِي يَوْمِ أُحُدٍ كَانَ النَّصْرُ حَلِيفاً لِلْمُسْلِمِينَ فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ.

وَلَكِنَّ المسلمينَ مِنَ الرُّمَاةِ عَصَوْا أَمْرَ رَسُولِهِمْ، وَتَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ، فَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ.

وَجَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - وَكَانَ كَافِراً وَقْتَهَا - فَهَجَمَ هُجُوماً شَدِيداً عَلَى مُؤَخَّرَةِ جَيْشِ المسلمينَ فَارْتَبَكَ الْجَيْشُ وَوَقَعَ فِي صُفُوفِهِ الْخَوْفُ، وَانْقَلَبَ النَّصْرُ إِلَى هَزِيمَةٍ.

وَكَانَ غَرَضُ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَحَاطَ المشركونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَرَأَى طَلْحَةُ رَسُولَ اللهِ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهَذِهِ هِيَ دِمَاءُ النَّبِيِّ قَدْ سَالَتْ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِنَّ المشركينَ قَدْ أَصَابُوهُ، وَأَوْشَكُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ.

فَانْبَرَى طَلْحَةُ يَشُقُّ الصُّفُوفَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَرَاحَ طَلْحَةُ يَهْجُمُ بِسَيْفِهِ عَلَى المشركينَ فَكَانَ جَيْشاً وَحْدَهُ وَالمشركونَ يَتَرَاجَعُونَ أَمَامَ صَيْحَاتِهِ، وَضَرَبَاتِهِ، وَطَعَنَاتِهِ، وَأَسْرَعَ أَبُو بَكْرٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ، لِيَمْسَحَا الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ.

فَقَالَ لَهُمَا: **«عَلَيْكُمَا بِصَاحِبِكُمَا فَقَدْ أَوْجَبَ»**.

أَيْ أَنَّ طَلْحَةَ قَدِ اسْتَحَقَّ الْجَنَّةَ، فَاحْمِلَاهُ، وَحَمَلَ أَبُو بَكْرٍ طَلْحَةَ وَكَانَ قَدْ وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ وَفِي جَسَدِهِ سِتُّونَ طَعْنَةً أَوْ يَزِيدُ.

وَنَظَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى طَلْحَةَ فَوَجَدَهُ بِلا كَفٍّ فِي يَدِهِ، فَإِذَا بِكَفِّهِ قَدْ وَقَعَ بِجِوَارِهِ لَيْسَ بَعِيداً عَنْهُ، فَقَدْ قَطَعَ المشركونَ كَفَّ طَلْحَةَ - رضي الله عنه - وكَانَ قَدْ حَمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى كَتِفِهِ بَعِيداً عَنْهُمْ.

وَيَا لَلرَّوْعَةِ فَإِنَّهُ شَهِيدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ»**.

وَمِنْ يَوْمِهَا سُمِّيَ طَلْحَةُ [الشَّهِيدَ الحَيَّ].

***

كَانَ لِطَلْحَةَ - رضي الله عنه - مَوَاقِفُ إيمانِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ كَانَ - رضي الله عنه - يُسَمِّي أَبْنَاءَهُ بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ، وَأُمَّهَاتِهِمْ، فَكَانَ مِنْ أَوْلادِهِ:

مُحَمَّدٌ، وَعِمْرَانُ، وَمُوسَى، وَيَعْقُوبُ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَزَكَرِيَّا، وَيُوسُفُ، وَيَحْيَى، وَعِيسَى.

وَمِنْ بَنَاتِهِ كَانَتْ: مَرْيَمُ، وَعَائِشَةُ، وَأُمَّ إِسْحَاقَ.

وَمِنْ مَوَاقِفِهِ الإِيمَانِيَّةِ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ طَلْحَةَ الْخَيْرِ، وَطَلْحَةَ الْجُودِ[1]، وَطَلْحَةَ الْفَيَّاضِ[2]. فَقَدْ كَانَ غَنِيًّا كَثِيرَ المَالِ يَتَصَدَّقُ بِهِ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، يُوزِّعُهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينَ.

وَتَحْكِي زَوْجَتُهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَصَدَّقَ يَوْماً بِمَائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وَتحْكِي أَنَّهُ ذاتَ لَيْلَةٍ ظَلَّ مُسْتَيْقِظاً لَمْ يَنَمْ، فَقَالَتْ لَهُ: مَاذا بِكَ يا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَنَامُ مَنْ فِي بَيْتِهِ سَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ؟

فَقَالَتْ: أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْمُحْتَاجِينَ وَالْفُقَرَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟

فَقَامَ طَلْحَةُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، قَدْ وَضَعَ المالَ فِي صُرَّةٍ لِيُوَزِّعَهُ عَلَى فُقَرَاءِ المسلمينَ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِرْهَمٌ وَاحِدٍ في دَارِهِ، وَتَكَرَّرَ هَذَا الموقِفُ كَثِيراً.

(١) الكرم.

(٢) **الفياض**: هو الذي يفيض بالمال، كما يفيض النهر بالماء.

وَلَكِنْ لَمْ تَهْنَأ الحَيَاةُ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَاشْتَعَلَتْ نَارُ الْفِتْنَةِ، حَتَّى قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رضي الله عنه - شَهِيداً مَظْلُوماً، وَتَبِعَهُ كَثِيرٌ مِنَ المسلمينَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ بَعْدَ أَنْ سُلَّ سَيْفُ الفِتْنَةِ.

وَفِي هَذِهِ الفِتْنَةِ اسْتُشْهِدَ طَلْحَةُ - رضي الله عنه -، وَبَكَاهُ المسلمونَ، وَتَذَكَّرَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «**طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ**».

وَوَقَفَ أَحَدُ الْمسلمينَ يَقُولُ: تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ثُمَّ دَخَلَ طَلْحَةُ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا مِنْهُمْ وَأَشَارَ إِلَى طَلْحَةَ**». وَلَحِقَ طَلْحَةُ بِالمؤمنينَ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ لِيَمْرَحَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ - رضي الله عنه - عَامَ (٣٦ هـ) بَعْدَ مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ.



(١) الإيمانُ باللهِ عزَّ وجلَّ وَمَحَبَّتُهُ سُبْحَانَهُ.

(٢) طلحةُ - رضي الله عنه - من العَشَرَةِ المبشَّرينَ بِالْجَنَّة.

(٣) التَّضْحِيَةُ في سبيلِ اللهِ بالنَّفسِ والمالِ.

(٤) حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ والدفاعِ عَنْهُ.



من هو؟

(١) عذّب طلحة وأبا بكر في مكة.

(٢) اصطحب طلحة في مهمة استطلاعية قبل غزوة بدر.

(٣) كان قد حمل طلحة يوم أحد مع أبي بكر.

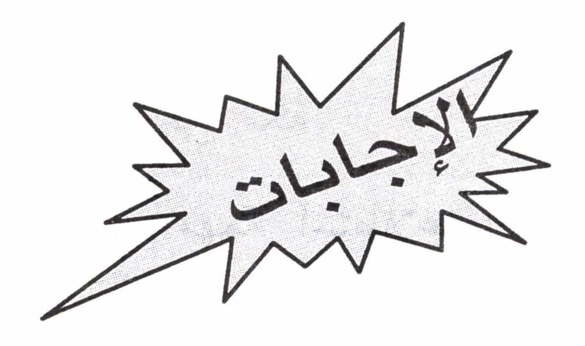
أكمل التالي بالصحيح:

* كان طلحة - رضي الله عنه - يسمى طلحة ....، وطلحة .....، وطلحة .....، وسمَّى أولاده بأسماء ....

* وكان إسلامه بمكة لأنه قابل في .... راهباً، وسأله هل بعث .....

* وفي يوم ...... دافع ..... عن النبي ﷺ حتى قطعت .... وسمي ....

دافع طلحة عن النبي ﷺ في حياته، فكيف تدافع أنت عنه بعد موته؟



[نوفل بن خويلد - سعيد بن زيد - أبو عبيدة بن الجراح].

[الخير - الجود - الفياض] [بُصْرَى - أحمد] [أحد - طلحة - كفه - الشهيد الحيّ].



سيرة الزبير بن العوام - رضي الله عنه -

بَيْنَمَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام فِي دَارِهِ بِمَكَّةَ، إِذْ سَمِعَ صَوْتاً يَصْرُخُ قَائِلًا، قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ عُرْيَاناً لَيْسَ عَلَيْهِ مَا يَسْتُرُ جَسَدَهُ، وَأَمْسَكَ بِسَيْفِهِ يَبْحَثُ عَنْ قَاتِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَقْتُلَهُ.

وَيَا لَشِدَّةِ فَرَحِهِ عِنْدَمَا لَقِيَ رَسُولَ اللهِ فَوَجَدَهُ حَيًّا يُرْزَقُ لَمْ يَمَسَّهُ الْأَذَى، فَتَعَجَّبَ رَسُولُ اللهِ مِنَ الْحَالِ الَّتِي عَلَيْهَا الزُّبَيْرُ.

فَقَالَ: **مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟**

قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّكَ قُتِلْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُبْتَسِماً: «**فَمَا كُنْتَ صَانِعاً يَا زُبَيْرُ؟**» قَالَ: كُنْتُ سَأَقْتُلُ أَهْلَ مَكَّةَ جَمِيعاً. فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِ، «**وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ، وَلِسَيْفِهِ بِالنَّصْرِ**».

كَانَ هَذَا أَوَّلَ سَيْفٍ سُلَّ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَوَّلَ جُنْدِيٍّ مِنْ جُنُودِ الإِسْلَامِ، إِنَّهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ، ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَرَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ، فَقَدْ أَسْلَمَ مُبَكِّراً فِي مَكَّةَ وَكَانَ عُمْرُهُ وَقْتَهَا ثَمَانِي سَنَوَاتٍ فَقَطْ، لٰكِنَّ الإيمانَ لا يُفَرِّقُ بَيْنَ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، بَلْ لا يَعْتَرِفُ الإيمانُ إِلَّا بِالْقَلْبِ الطَّاهِرِ النَّقِيِّ.

وَقَدْ كَانَ الزُّبَيْرُ صَاحِبَ قَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ.

وَكَالْعَادَةِ فِي مَكَّةَ كَانَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ يَذُوقُ أَصْنَافَ الْعَذَابِ والْأَذَى، وَوَقَعَ الزُّبَيْرُ هُوَ الآخَرُ تَحْتَ نِيرَانِ الْعَذَابِ الأَلِيمِ.

لَقَدْ عَلِمَ عَمُّهُ بِإسْلامِهِ، فَلَفَّهُ فِي حَصِيرٍ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، ثُمَّ أَخَذَ يُشْعِلُ النَّارَ تَحْتَهُ، فَيَصْعَدُ الدُّخَانُ كَثِيفاً يَكَادُ الزُّبَيْرُ يَمُوتُ مُخْتَنِقاً مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَنْ يَعُودَ إِلَى نَارِ الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ رَعَى فِي جَنَّةِ الإيمانِ، فَكَانَتْ نِيرَانُ عَمِّهِ كَظِلٍّ ظَلِيلٍ يَتَمَتَّعُ فِيهِ، فَقَدْ نَوَّرَ الإيمانُ قَلْبَهُ، فَلَمْ يَهْتَمَّ بِمَا يُلاقِيهِ مِنَ الْأَذَى وَالْعَنَتِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَلَا صَوتُ الزُّبَيْرِ يَرُدُّ عَلَى عَمِّهِ:

[لَا وَاللهِ لَا أَعُودُ لِلْكُفْرِ أَبَداً].

وَثَبَتَ الزُّبَيْرُ عَلَى إِسْلامِهِ، وَزَادَ اضطِهَادُ المشركينَ لَهُ، وَلَمَّا هَاجَرَ المسلمونَ إِلى الْحَبَشَةِ هاجَرَ الزُّبَيْرُ

مَعَهُمْ فِي الْمَرَّتَيْنِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَحَمَّلِ الابْتِعَادَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَبَدَّ بِهِ الشَّوْقُ، وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ لِيُشَارِكَ رَسُولَ اللهِ آلامَهُ وَمِحْنَتَهُ فِي مَكَّةَ.

وَهَاجَرَ الزُّبَيْرُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى المدينةِ لِيَبْدَأَ جِهَادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ضِدَّ مُعَسْكَرِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ.

***

خَرَجَ ثَلاثُمِائَةِ رَجُلٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ إِلَى بَدْرٍ لِمُلاقَاةِ المشركينَ فِي أَعْظَم غَزْوَةٍ فِي الإِسْلام، وَكَانَ عَدَدُ الْمشركينَ يَوْمَهَا أَلْفَ رَجُلٍ أَيْ أَنَّ كُلَّ مُقَاتِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَهُ ثَلاثَةُ رِجَالٍ يُقَاتِلُهُمْ وَحْدَهُ ولكِنَّ الرَّجُلَ مِنْ الْمسلمينَ وَقْتَهَا كَانَ يُسَاوِي أَلْفَ فَارِسٍ وَحْدَهُ.

وَكَانَ الزُّبَيْرُ - رضي الله عنه - قَدْ لَبِسَ عَبَاءَةً صَفْرَاءَ، وَجَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَيْمَنَةِ الْجَيْشِ لِعِلْمِهِ بِشَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَبْلَى الزُّبَيْرُ يَوْمَ بَدْرٍ بلاءً حَسَناً.

وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ الزُّبَيْرَ فَقَالَ لَهُ: «**قَاتِلْ يَا زُبَيْرُ**».

فَقَالَ: لَسْتُ الزُّبَيْرَ.

فَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ قَدْ نَزَلَ عَلَى صُورَةِ الزُّبَيْرِ - رضي الله عنه - وَكَانَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ أُحُدٍ

مِنَ الَّذِينَ ثَبَتُوا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَدَافَعَ عَنْهُ يَوْمَهَا ضِدَّ المشركينَ ثُمَّ انْطَلَقَ وَرَاءَ جَيْشِ المشركين بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - يُطَارِدَانِهِمْ، فَخَشِيَ المشركونَ وَعَادُوا سَرِيعاً، لَمَّا رَأَوُا الزُّبَيْرَ فارس مَكَّةَ وَجُنْدِيَّ الإسْلامِ.

أَمَّا فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ فَقَدْ كَانَ الْوَضْعُ سَيِّئاً بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الْخَلاءِ مِنْ شِدَّةِ الحِصَارِ خَشْيَةَ أَنْ يُقْتَلَ، وَزَادَ الأَمْرُ سُوءًا حِينَمَا أَخْلَفَ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ عَهْدَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَفَتَحُوا الطَّرِيقَ لِلْمُشْرِكِينَ لِلدُّخُولِ إِلَى المدينةِ. فَنَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المسلمينَ: «**مَنْ يَذْهَبُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيُقَاتِلَهُمْ؟**».

وَوَسَطَ هذهِ الْأَجْوَاءِ المليئَةِ بِالْخَوْفِ لَمْ يَشَأْ أَحَدٌ مِنَ المسلمينَ أَنْ يَخرُجَ لِحَرْبِ هَؤلاءِ.

فَقَامَ الزُّبَيْرُ قَائِلًا: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَخْرُجُ.

وَكَرَّرَهَا رَسُولُ اللهِ فَلَمْ يَخرُجْ غَيرُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّا**(١)»،

---

(١) **الحواريّ**: الصاحب المؤمن، الشديد الصداقة لصاحبه.

وَحَوَارِيَّ **الزُّبَيْرُ**». وَمِنْ يَوْمِهَا صَارَ الزُّبَيْرُ [حَوَارِيَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ].

وَخَرَجَ الزُّبَيْرُ لِقِتَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَوَجَدَ أُمَّهُ صَفِيَّةَ قَدْ قَتَلَتْ يَهُودِيًا كَانَ يَتَجَسَّسَ عَلَى نِسَاءِ المسلمينَ وَهَكَذَا كَانَ الابْنُ وَأُمُّهُ فِي خِدْمَةِ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* * *

وَمَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَوَلِيَ الخِلافَةَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه -، وَبَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ - رضي الله عنه -.

وَكَانَ الزُّبَيْرُ - رضي الله عنه - أَحَدَ جُنُودِ الإِسْلَامِ الأَقْوِيَاءِ الَّذِينَ يَقِفُونَ فِي مُقَدِّمَةِ الجُيُوشِ الْغَازِيَةِ لِتَفْتَحَ بِلادَ الشِّرْكِ طَمعاً فِي دُخُولِ أَهْلِهَا في الإِسْلَامِ، وَإِنْقَاذِهِمْ مِنْ نَارِ الْكُفْرِ.

وَانْطَلَقَ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ يَحْصُدُ رِقَابَ المشركينَ، وَيَفْتَحُ الْبُلْدَانَ فَيَدْخُلُ أَهْلُهَا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً.

هَا هُوَ يَتَذَكَّرُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ صَرَخَ قَائِلًا: يَوْمٌ كَيَوْمِ حَمْزَةَ، وَصَعَدَ إِلى الْحِصْنِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَفَتَحَا حُصُونَ الْيَهُودِ، وَظَلَّ مَشْهَدُ مَقْتَلِ حَمْزَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ وَأَسَدِ اللهِ وَرَسُولِهِ،

وَخَالِ الزُّبَيْرِ فِي عَيْنِ الزُّبَيْرِ بَاقِياً حَتَّى مَاتَ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ إِلَى مَعْرَكَةٍ تَذَكَّرَهُ وَهُوَ يُقَاتِلُ المشركينَ قِتَالَ اللُّيُوثِ الْمُهْتَاجَةِ(١).

هَا هُوَ يَوْمَ [الْيَرْمُوكَ] فِي فُتُوح الشَّام تُسَاوِي صَرْخَتُهُ وَحْدَهَا جَيْشاً كَامِلًا فَيَنْهَزِمُ أَعْدَاءُ اللهِ أَمَامَهُ، وَيَفِرُّونَ كَمَا تَفِرُّ الفِئْرَانِ الْمَذْعُورَةِ.

وَمِنْ حُسْنِ الطَّالِعِ أَنَّ الزُّبَيْرَ - رضي الله عنه - كَانَ ضِمْنَ جَيْشِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ الَّذِي جَاءَ لِيَفْتَحَ مِصْرَ، وَيُدْخِلَ الإِسْلامَ فِيهَا.

وَأَمَامَ حِصْنِ بَابِلْيُونَ وَقَفَ المسلمونَ وَقَدْ تَحَطَّمَتْ جُهُودُهُمْ عَلَى صَخْرَةِ هَذَا الْحِصْنِ الْمَنِيعِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى فَتْحِهِ، وَطَالَ الْحِصَارُ شُهُوراً، حَتَّى هَبَّ الزُّبَيْرُ فِي عَمَلٍ بُطُولِيٍّ رَائِعٍ.

فَقَالَ فِي ثَبَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: إِنِّي أَهَبُ(٢) نَفْسِي لِلَّهِ، أَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللهُ بِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَوَضَعَ الزُّبَيْرُ سُلَّماً عَلَى جِدَارِ الْحِصْنِ ثُمَّ صَعَدَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرِي فَكَبِّرُوا.

---

(١) الأسود القوية.

(٢) أعطي وأمنح.

وَصَعَدَ الزُّبَيْرُ عَلَى سُلَّمِ الْحِصْنِ، وَتَبِعَهُ المسلمونَ، ثُمَّ كَبَّرَ(١) الزُّبَيْرُ، وَكَبَّرَ المسلمونَ وَرَاءَهُ، وَدَبَّ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ الرُّومِ فَتَرَكُوا الْحِصْنَ، فَفَتَحَهُ الزُّبَيْرُ - رضي الله عنه - وَحْدَهُ، وَفُتِحَتْ مِصْرُ كُلُّهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةً تِلْوَ الأُخْرَى.

وَلَقَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ تَضْحِيَاتِ الزُّبَيْرِ وَجِهَادَهُ حَتَّى قَالَ أَحَدُ المسلمينَ: لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى صَدْرِ الزُّبَيْرِ، وَفِي صَدْرِهِ مِثْلُ عُيُونِ الماءِ(٢) مِنْ ضَرْبِ السُّيُوفِ، وَطَعْنِ الرِّمَاحِ.

كَانَ الزُّبَيْرُ - رضي الله عنه - يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ وَالْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَثِيراً مَا دَخَلَ الْمَعَارِكَ وَهُوَ يَحْمِلُ رُوحَهُ عَلَى كَفِّهِ، وَلَكِنْ طِيلَةَ مَعَارِكِ الإِسْلامِ لَمْ يُقْتَلِ الزُّبَيْرُ - رضي الله عنه - .

وَمِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ لِلشَّهَادَةِ سَمَّى أَوْلَادَهُ بِأَسْمَاءِ الشُّهَدَاءِ، فَسَمَّى وَلَدَهُ عَبْدَ اللهِ عَلَى اسْمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ أَوَّلِ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ المؤمنينَ، وَهُوَ الشَّهِيدُ الْمُجَدَّعُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ.

أَمَّا وَلَدُهُ [مُصْعَبٌ] فَهُوَ سَمِيّ [مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ]

(١) قال: اللَّه أكبر.

(٢) الآبار.

شَهِيدِ أُحُدٍ وَأَوَّلِ سَفِيرٍ فِي الإِسْلامِ، [وَحَمْزَةُ] هُوَ السَّمِيُّ لِأَسَدِ اللهِ وَرَسُولِهِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وَهَكَذَا كَانَ أَوْلادُهُ جَمِيعاً.

وَلَقَدْ كَانَ الزُّبَيْرُ مِثْلَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ - رضي الله عنه - غَنِيّاً بِمَالِهِ، كَرِيماً فِي عَطَائِهِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، يُوَزِّعُ عَلَى الْفُقَرَاءِ مَالَهُ كُلَّهُ لا يُبْقِي لِنَفْسِهِ شَيْئاً، بَلْ نَفْسُهُ وَمَالُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَعَاشَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرِ أَخَوَيْنِ فِي اللهِ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ**».

وَبَعْدَ مَوْتِ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - حَارَبَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ ضِدَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى الزُّبَيْرِ وَقَالَ لَهُ: - يَا زُبَيْرُ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ لَكَ: «**إِنَّكَ سَتُقَاتِلُ عَلِيّاً وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ**».

فَلَمَّا سَمِعَ الزُّبَيْرُ تَذَكَّرَ قَوْلَ النَّبِيِّ، وَانْسَحَبَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ هُوَ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ.

وَلَكِنَّ أَهْلَ الْفِتْنَةِ أَبَوْا(١) إِلَّا قَتْلَ الزُّبَيْرِ، وَطَلْحَةَ،

(١) رفضوا.

فَقُتِلَ طَلْحَةُ أَوَّلًا.

وَبَيْنَما الزُّبَيْرُ يُصَلِّي إِذْ رَمَاهُ رَجُلٌ يُسَمَّى (ابْنَ جَرْمُوزٍ) بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ.

فَعَادَ (ابْنُ جَرْمُوزٍ) إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - : لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «**بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ - يَعْنِي الزُّبَيْرَ - بِالنَّارِ**».

وَذَهَبَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - لِيَرَى الزُّبَيْرَ قَدْ ضُرِّجَ فِي دِمَائِهِ شَهِيداً، فَانْكَبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: سَيْفٌ وَاللهِ طَالمَا دَافَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَبِجِوَارِ جُثَّةِ طَلْحَةَ، كَانَتْ جُثَّةُ الزُّبَيْرِ، لِيَتَرَافَقَا فِي قَبْرَيْهِمَا كَمَا كَانَا فِي الدُّنْيَا أَخَوَيْنِ وَبَقِيَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ: «**طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ جَارَايَ فِي الْجَنَّةِ**».

وَكَانَ مَقْتَلُهُ - رضي الله عنه - فِي الْعَامِ السَّادِسِ وَالثَّلاثِينَ لِلْهِجْرَةِ.

❀❀❀

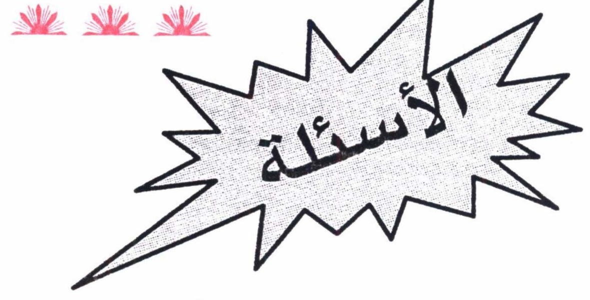


(١) حُبُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ ﷺ.

(٢) التَّضْحِيَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالنَّفْسِ والمالِ.

(٣) الدِّفَاعُ عن رسولِ اللهِ وعنِ الإسلامِ.

(٤) تَمَنِّي الشَّهَادَةِ في سبيلِ الله.



ضع علامة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة:

(١) أسلم الزبير في المدينة وهاجر إلى مكة ( )

(٢) هاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين ( )

(٣) كان الزبير عمَّ رسول الله ﷺ ( )

(٤) اشترك الزبير في فتح مصر مع عمرو بن العاص ( )

❋ ❋ ❋

ضع عنواناً مناسباً لقصة الزبير بن العوام.

اختر الصحيح من بين الأقواس: -

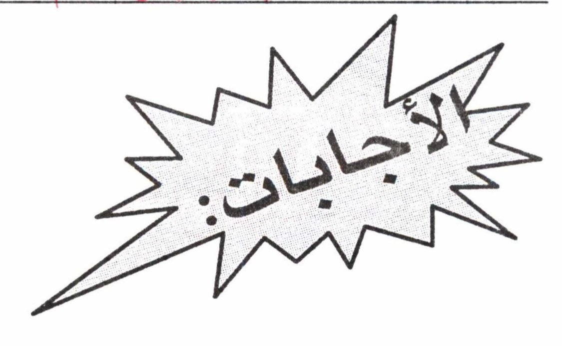
(١) سمي الزبير بن العوام بـ (الشهيد الطائر - أسد الله - حواريّ رسول الله].

(٢) كان الزبير أول من ..... في الإسلام [استشهد - سلَّ سيفاً - مات].

(٣) كان طلحة و... أخوين في الله وهما جارا رسول الله في الجنة [عمر - علي - حمزة - الزبير].

(٤) كان الزبير وطلحة من ... المبشَّرين بالجنة [الخمسة - السبعة - العَشَرَة].

❋ ❋ ❋



(×) (✓) (×) (✓).

حواريُّ رسول الله - سلّ سيفاً - الزبير - العشرة.

***

سيرة عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-

مَا زَالَتْ دَعْوَةُ الإسْلام فِي مَكَّةَ سِرِّيَّةً لَمْ يَسْمَعْ بِهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ التَّقِيَّ النَّقِيَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ حَمَلَ عَلَى عَاتِقِهِ مَسْؤُولِيَّةَ نَشْرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْجَدِيدَةِ.

فَكَانَ يَبْحَثُ عَنِ الرِّجَالِ ذَوِي الأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ، وَالسُّمْعَةِ الْحَسَنَةِ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الإسْلامَ، فَإذَا بِهِمْ يُبَادِرُونَ إلى الإسْلام لَا يَسْبِقُهُمْ إلَيْهِ أَحَدٌ.

وَمِمَّنْ عَرَضَ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِمُ الإسْلامَ فَتًى أَبْيَضُ، طَوِيلُ الْجِسْمِ، رَقِيقُ الْبَشْرَةِ، وَهُوَ عَبْدُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ الحَارِثِ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ أَخْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلَمْ يَتَرَدَّدْ عَبْدُ عَمْرو فِي إعْلانِ إسْلامِهِ، فَكَانَ إسْلامُهُ بَعْدَ إسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ بِيَوْمَيْنِ فَقَطْ.

وَذَهَبَ (عَبْدُ عَمْرٍو) إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُعْلِنُ إسْلامَهُ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلْ اسْمَكَ (عَبْدَ الرَّحْمٰنِ) وَسَعِدَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بِهَذَا الاسْمِ الْجَدِيدِ، وَطَوَى النِّسْيَانُ اسْمَهُ الْقَدِيمَ**».

لِيُصبِحَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ أَحَدَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلامِ وَسَابِعَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

وَحِينَ اخْتَبَأَ رَسُولُ اللهِ فِي دَارِ (الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ) كَانَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ وَاحِداً مِنْ رُوَّادِ هٰذِهِ الدَّارِ، يَتَلَقَّى تَعَالِيمَ الإِسْلامِ، وَيَتَلَقَّفُ شَرِيعَتَهُ، وَيَفْتَحُ قَلْبَهُ لِمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ يَسْمَعُهُ بِأُذُنِهِ، وَيَفْقَهُهُ بِقَلْبِهِ.

حَتَّى صَارَ أَحَدَ الَّذِينَ يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ، وَحِفْظِهِ لِلْقُرْآنِ، وَكِتَابَتِهِ لِلْوَحْيِ حِينَمَا كَانَ يَتَنَزَّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحِينَ اشْتَدَّ الأَذَى بِرَسُولِ اللهِ وَالْمُسْلِمِينَ.

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ وَاحِداً مِمَّنْ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ، وَبَحْثاً عَنِ الْعَدْلِ فِي مَمْلَكَةِ النَّجَاشِي.

لٰكِنْ كَيْفَ لِقَلْبِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَحَمَّلَ الابْتِعَادَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَعَادَ سَرِيعاً يَسْتَقْبِلُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ فَيَحْفَظُهَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ.

وَعَادَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ تَارَةً[١] أُخْرَى مُهَاجِراً وَلٰكِنْ

(١) مرة أخرى.

هٰذِهِ الْمَرَّةَ إِلَى المدينةِ، حَيْثُ أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُنَاكَ دَوْلَتَهُ الَّتِي أَسَّسَهَا عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَآخَى رَسُولُ اللهِ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ وسَعْدِ ابْنِ الرَّبِيعِ أَحَدِ الأَنْصَارِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

وَانْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ إِلَى دَارِهِ، وَكَأَنَّمَا عَادَ بِمَكْسَبٍ وَرِبْحٍ وَخَيْرٍ لِأَهْلِهِ، فَقَدْ كَانَ الْأَنْصَارُ أَهْلَ الْكَرَمِ وَالإِيثَارِ(١)، وَجَاءَ سَعْدٌ بِمَالِهِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَقَالَ لَهُ:

- هٰذَا مَالِي اقْسِمْهُ نِصْفَيْنِ، وَاخْتَرْ نِصْفاً تَأْخُذُهُ لِنَفْسِكَ.

ثُمَّ جَاءَ بِزَوْجَتَيْهِ وَقَالَ: وَهَاتَانِ زَوْجَتَايَ اخْتَرْ إِحْدَاهُمَا فَأُطَلِّقَهَا لَكَ فَتَتزَوَّجَهَا.

ثُمَّ قَالَ: وَهٰذِهِ دَارِي مِنْ طَابِقَيْنِ، اخْتَرِ الطَّابِقَ الَّذِي تُحِبُّهُ وَاسْكُنْ فِيهِ. وَأَمَامَ نَهرِ الْعَطَاءِ الْمُتَدَفِّقِ، تَبَسَّمَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ، وَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ: يَا أَخِي بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ، وَزَوْجَتَيْكَ، وَدَارِكَ، وَلٰكِنْ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ.

---

(١) تفضيل الغير على النفس.

وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ لِيَحْمِلَ عَلَى كَتِفِهِ حَطَباً يَبِيعُهُ لِلنَّاسِ، وَيَبْدَأُ حَيَاةَ الْكَدِّ وَالْجِهَادِ، وَمَعَهَا تَبْدَأُ حَيَاةُ الإيمانِ فِي مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

***

مَضَى قَلِيلٌ مِنَ الْوَقْتِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَهُوَ فِي المدينةِ، وَإِذَا بِرَسُولِ اللهِ يَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ سَيَتَزَوَّجُ.

وَلَمْ يَكُنِ الزَّوَاجُ وَقْتَهَا بِالأَمْرِ الْيَسِيرِ، لأَنَّهُ يَحْتَاجُ الىَ مَا يَدْفَعُهُ مَهْراً لِزَوْجَتِهِ الْجَدِيدَةِ، وَمَا يَدْفَعُهُ ثَمَناً لِلدَارِ الَّتِي سَيَسْكُنُهَا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ مُهَنِّئاً عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ.

فَقَالَ لَهُ: **«تَزَوَّجْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ! وَكَأَنَّهُ يَسْأَلُهُ عَنْ صِحَّةِ هَذا الْخَبَرِ»**.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ تَزَوَّجْتُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَمَا دَفَعْتَ مَهْراً لِزَوْجَتِكَ»**، قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ يَا رَسُولَ اللهِ.

فقال النَّبِيُّ لَهُ: **«اذْبَحْ وَلَوْ شَاةً لِلْمُسْلِمِينَ، بَارَكَ اللهُ**

لَكَ فِي **مَالِكَ**». وَذَبَحَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ هٰذِهِ الشَّاةَ، وَاسْتُجِيبَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَارَكَ اللهُ فِي مَالِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ - رضي الله عنه - فَصَارَ وَاحِداً مِنْ أَغْنَى أَغْنِيَاءِ المدينةِ.

لِيَجْمَعَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بَيْنَ الْعِلْمِ، وَالْجِهَادِ، وَالْغِنَى وَهُوَ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ إِلَّا لِقَلِيلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقْتَهَا.

وَيَوْمَ بَدْرٍ خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي جَيْشِ الإيمانِ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ يَرْجُو إِمَّا النَّصْرَ أَوِ الشَّهادَةَ، وَتَجَلَّتْ بُطُولَتُهُ، وَهُوَ يَقْطَعُ رِقَابَ المشركينَ بِسَيْفِهِ، حَتَّى صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ المسلمينَ مِنْ جُنْدِهِ.

وَبِجِوَارِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ أَحَدَ الْمُدَافِعِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَأَحَدَ الَّذِينَ ثَبَتُوا فِي هٰذِهِ الْمَعْرَكَةِ الَّتِي أَوْشَكَ رَسُولُ اللهِ فِيهَا أَنْ يَقْتُلَهُ المشركونَ، حَتَّى وَجَدُوا فِي جَسَدِهِ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ طَعْنَةَ رُمْحٍ، أَو ضَرْبَةَ سَيْفٍ، حَتَّى أَصَابَهُ عَرَجٌ فِي قَدَمِهِ - رضي الله عنه -.

وَشَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ الْغَزَوَاتِ وَالْمَعَارِكَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَشْغَلْهُ مَالُهُ، وَلَمْ تُلْهِهِ تِجَارَتُهُ عَنِ

الْجِهَادِ، أَوِ الْعِلْمِ، بَلَ كَانَ المالُ عَوْناً لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْجِهَادِ.

وَإِذَا كَانَ عُثْمَانُ - رضي الله عنه - قَدْ تَبَرَّعَ بِمَالٍ وَفِيرٍ حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ عُثْمَان رَضِيتُ عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ**».

فَقَدَ دَفَعَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ نِصْفَ مَالِهِ لِرَسُولِ اللهِ لِكَيْ يُجَهِّزَ بِهِ جَيْشاً خَرَجَ لِقِتَالِ المشركينَ.

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ قَائِلًا: «**بَارَكَ اللهَ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ**».

وَيَظَلُّ يَوْمُ [تبُوكَ] الأَشْهَرَ وَالأَفْضَلَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ - رضي الله عنه -.

فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى تَبُوكَ لِغَزْوِ الرُّومِ فِي بِلادِهِمْ.

وَلَمْ تَكُنِ الثِّمَارُ قَدْ نَضِجَتْ بَعْدُ عَلَى الشَّجَرِ لِيَبِيعَهَا المسلمونَ وَيَتَبَرَّعُوا بِثَمَنِهَا، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْتَكِي الْفَقْرَ وَقْتَهَا، وَلَكِنَّ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ كُلِّهِ، وَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ مَالِهِ.

وَلَكِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَكْفِ لِتَجْهِيزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ الَّذِي سَيُقَاتِلُ الرُّومَ.

فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ يَحْمِلُ فِي صُرَّةٍ لَهُ مِائَتَيْ أُوقِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَوَضَعَهَا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى تَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً، وَظَنَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْباً وَيُرِيدُ التَّوْبَةَ مِنْهُ فَدَفَعَ هَذَا المَالَ.

وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، وَنَقَاءَ قَلْبِهِ فَيَقُولُ لَهُ: «**مَاذَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ؟**» قَالَ: كَثِيراً يَا رَسُولَ اللهِ، أَكْثَرَ مِمَّا أَنْفَقْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «**وَكَمْ أَبْقَيْتَ لَهُمْ**»، فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَمَضَى جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَبُوكَ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَرَسُولُ اللهِ وَقْتَهَا غَائِبٌ.

فَقَدْ كَانَ يَتَطَهَّرُ فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ لِيُصَلِّيَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ، فَصَلَّى خَلْفَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «**أَحْسَنْتُمْ، مَا تَوَفَّى اللهُ نَبِيّاً حَتَّى يُصَلِّيَ وَرَاءَ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ أُمَّتِهِ**».

فَنِعْمَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ - رضي الله عنه - ، يَتَصَدَّق بِمَالِهِ، وَيُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ، وَيُصَلِّي خَلْفَهُ رَسُولُ اللهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ إماماً لِلْعَالَمِينَ.

***

تُوُفِّي النَّبِيُّ ﷺ وَبَقِيَتْ دَعْوَتُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ: «**بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ**».

فَلَا يَزَالُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ يَرْبَحُ الرِّبْحَ الْوَفِيرَ فِي تِجَارَتِهِ، حَتَّى صَارَ مَا فِي بَيْتِهِ مِنَ المالِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً، وَلٰكِنَّهُ مَالُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى المسلمينَ، وَيَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

قَالَ رَسُولُ اللهِ لِزَوْجَاتِهِ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «**لَنْ يَحْنُوَ عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّالِحُونَ**» فَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ (عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ).

فَقَدْ بَاعَ أَرْضاً لَهُ ثَمَنُهَا أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَقَسَمَ المَالَ فِي بَنِي زُهْرَةَ - وَهُمْ قَوْمُهُ - ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أُمَّهَاتِ المؤمنينَ بِمالٍ وَفِيرٍ، وفاءً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَتْ لَهُ أُمُّ المؤمنينَ عَائِشَةُ فَقَالَتْ: سَقَى اللهُ ابْنَ عَوْفٍ مِنَ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ.

لَمْ يَكُنْ مَالُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ مِيرَاثاً مِنْ أَحَدٍ، لٰكِنَّهُ كَانَ يَكْسَبُهُ بِعَرَقِهِ وَكَدِّهِ فِي التِّجَارَةِ، وَكَانَ هَدَفُهُ وَاحِداً دَائِماً: المالُ يُكْتَسَبُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَيَوْماً مِنَ الْأَيَّامِ قَامَتِ المدينةُ كُلُّهَا عَلَى صَوْتٍ قَوِيٍّ، فَظَنَّ الْجَمِيعُ أَنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ قَافِلَةً تِجَارِيَةً لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ قِوَامُهَا سَبْعُمِائَةِ بَعِيرٍ مُحَمَّلَةٍ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ فَاهْتَزَّتِ الْمَدِينَةُ لِذٰلِكَ.

وَهُنَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَبْواً**»(١).

وَلِأَنَّ عَائِشَةَ هِيَ الصَّادِقَةُ الَّتِي لا تَكْذِبُ، وَكَانَتْ أَحَبَّ النّاس إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَقَدْ سَارَعَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ لِيَتَصَدَّقَ بِهٰذِهِ القَافِلَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي أُشْهِدُكِ أَنَّ هَذِهِ الْقَافِلَةَ بِأَحْمَالِهَا وَأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) زحفًا.

عَلَى قَدْرِ هَذَا الثَّرَاءِ لَمْ يَكُنْ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ يَهْتَمُّ بِالدُّنْيَا، وَزِينَتِهَا، بَلْ كُلُّ مَالِهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئاً لِنَفْسِهِ، وَنَالَ بِذَلِكَ احْتِرَامَ الصَّحَابَةِ جَمِيعاً كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ الَّذِي جَعَلَهُ أَحَدُ الْمُرَشَّحِينَ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَلَكِنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ كَانَ زَاهِداً فِي الْخِلَافَةِ فَخَلَعَ نَفْسَهُ مِنْهَا، ثُمَّ كَانَ هُوَ الْقَائِمَ بِمَشُورَةِ المسلمين حَتَّى صَارَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَذَاتَ يَـــوْم كَانَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ صَائِماً، فَجَاؤوا لَهُ بِالطَّعَامِ وَفِيهِ خُبْزٌ وَلَحْمٌ، فَنَظَرَ إِلَى الطَّعَامِ وَهُوَ يَقُولُ:

مَاتَ رَسُولُ اللهِ وَلَمْ يَشْبَعْ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَكُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّي[(١)] رَأْسَهُ بَدَتْ[(٢)] رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّي رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، وإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ عَجَّلَ لَنَا بِحَسَنَاتِنَا.

ثُمَّ بَكَى عَبْدُ الرَّحْمٰنِ، وَتَرَكَ الطَّعَامَ، وَلَمْ يَأْكُلْهُ

(١) غطاء. (٢) ظهرت.

بَعْدَ أَنْ أَخَذَهُ الشَّوْقُ لِلِقَاءِ اللهِ، وَرَسُولِهِ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ إِلَى الْفِرْدَوْسِ الأَعْلَى.

وَلَمْ يَطُلِ الشَّوْقُ بِهِ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ.

فَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَامِ الثَّانِي وَالثَّلاثِينَ لِلْهِجْرَةِ رَقَدَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ فِي فِرَاشِهِ يَنْتَظِرُ قُدُومَ رُسُلِ اللهِ لِيَتَوَفَّوْهُ، حَتَّى يُدْفَنَ بِجِوَارِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَحَسَّ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بِأَنَّ الْجَنَّةَ قَدْ تَزَيَّنَتْ لَهُ.

وَسَمِعَ بِشَارَةَ مَلائِكَةِ الرَّحْمٰنِ لَهُ بِرُضْوَانِ اللهِ تَعَالَى، فَأَسْلَمَ الرُّوحَ للهِ، فَجَاءَ الصَّحَابَةُ يَحْمِلُونَهُ إِلَى قَبْرِهِ، وَيُوَدِّعُونَهُ بِدُمُوعِ عُيُونِهِمْ، وَحُزْنِ قُلُوبِهِمْ.

وَأَرَاحَ اللهُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ مِنَ الْفِتْنَةِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا، فَأَدْرَكَ صَفْوَ الدُّنْيَا، وَلَحِقَ بِرَكْبِ الصَّالِحِينَ فِي الآخِرَةِ.



(١) الإيمانُ باللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

(٢) الأُخُوَّةُ بَيْنَ المسلمينَ، وَإيثارُ الْمُسْلِمِ عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ.

(٣) الأُخُوَّةُ عَطاءٌ تُقَابِلُهُ عِفَّةٌ بَيْنَ المؤمنينَ.

(٤) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنَ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.



لو كان عندك مال مثل عبد الرحمن بن عوف هل كنت ستتصدق به كما فعل؟

(2) أكمل الآتي:

* كان عبد الرحمن بن عوف من بني . . . . .

وأسلم على يد ..... وهاجر إلى ..... ثم إلى .....

* غيَّر ..... اسم عبد الرحمن بن عوف من ..... إلى عبد الرحمن.

* أمَّ عبد الرحمن بن عوف المسلمين في غزوة ... وقال رسول الله ﷺ ...... وصلى خلفه.

(3) من القائل؟.

* اذبح ولو شاة بارك الله لك.

* سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

* هذا مالي، وداري، وزوجتاي، فاختر ما تشاء.

الإجابات: -

[زهرة - أبي بكر الصديق - الحبشة - المدينة] [رسول الله ﷺ - عبد عمرو] [تبوك - أحسنتم].

١ - الرسول ﷺ.

٢ - أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

٣ - سعد بن الربيع - رضي الله عنه - .

سيرة سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-

«كُنْتُ ثَالِثاً فِي الإسْلامِ وَأَنا أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ».

هٰكَذَا يُعَرِّفُنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِنَفْسِهِ أَوَّلًا، إنَّهُ ثَالِثُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ.

عَاشَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصِ بْنِ وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فِي بَنِي زُهْرَةَ أَخْوَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَكَانَ وُهَيْبٌ جَدُّ سَعْدٍ، عَمَّ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُمِّ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَكَانَ النَّاسُ يَعَرِّفُونَ سَعْداً بِأَنَّهُ خَالُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحِينَمَا رآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَ بِهِ لِشَجاعَتِهِ، وَقُوَّتِهِ، وَصِدْق إِيمَانِهِ. فَقَالَ: **«هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ»**.

وَقَدْ كَانَ إِسْلَامُهُ مُبَكِّراً، فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ النَّبِيَّ ﷺ جَيِّداً، وَيَعْرِفُ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ.

وَكَثِيراً مَا الْتَقَاهُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ، وَعَرَفَ عَنْهُ النَّبِيُّ حُبَّهُ لِلْقِتَالِ وَشَجاعَتَهُ.

وَكَانَ سَعْدٌ مُغْرَماً بِالرِّمَايَةِ، فَكَانَ يُدَرِّبُ نَفْسَهُ عَلى الرِّمَايَةِ بِالسِّهَامِ، فَكَانَ إسْلامُ (سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاص) سَهْلًا يَسِيراً وَلَمْ يَكُنْ صَعْباً، بَلْ إنَّهُ أَسْرَعَ لِلْإِسْلامِ فَكَانَ ثَالِثَ ثَلاثَةٍ أَسْلَمُوا، وَكَانَ يَقُولُ:

- لَقَدْ مَكَثْتُ سبْعَةَ أَيَّامٍ وَإنِّي لَثُلُثُ الإسْلامِ.

وَلَمْ تَخْتَلِفِ الحَالُ كَثِيراً مَعَ سَعْدٍ، فَحِينَمَا عَلِمَتْ أُمُّهُ (حَمنَةُ) بإِسْلامِهِ غَضِبَتْ غَضَباً شَدِيداً.

وَقَالَتْ لَهُ: يَا سَعْدُ، أَتَتْرُكُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِكَ، وَتَتْبَعُ دِيناً جَدِيداً؟ وَاللهِ لَا أَذُوقُ طَعاماً وَلَا شَرَاباً حَتَّى تَعُودَ عَنْ هَذَا الدِّينِ. فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللهِ لَا أَدَعُ دِينِي وَلَا أُفَارِقُهُ.

وَصَمَّمَتِ الْأُمُّ عَلَى مَوْقِفِهَا، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ سَعْداً يُحِبُّهَا وَأَنَّهُ سَيَرِقُّ قَلْبُهُ إذَا رَآهَا ضَعِيفَةَ الْجَسَدِ مُعْتَلَّةَ الصِّحَّةِ، وَمَضَتْ فِي طَرِيقِهَا.

وَلَكِنَّ سَعْداً أَحَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ لِأُمِّهِ:

وَاللهِ يَا أُمَّاهُ لَوْ أَنَّ لَكِ سَبْعِينَ نَفْساً خَرَجَتْ نَفْساً وَرَاءَ نَفْسٍ مَا تَرَكْتُ دِينِي أَبَداً، وَأَيْقَنَتِ الأُمُّ أَنَّ وَلَدَهَا قَدْ تَغَيَّرَ وَلَنْ يَعُودَ لِسَابِقِ عَهْدِهِ أَبَداً، فَأَكَلَتْ حَزِينَةً غَاضِبَةً.

وَيَجْعَلُ اللهُ تعالَى سَعْداً آيَةً مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَأَنْزَلَ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ تعالَى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

وَأَمَّا أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ كَانَ المسلمونَ فِي مَكَّةَ يُصَلُّونَ فِي شِعَابِ(١) مَكَّةَ سِرًّا فَرَآهُمْ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ فقاتلوهم، فَقامَ سَعْدُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ فَقَاتَلَهُمْ وَرَمَى أَحَدَهُمْ فَسَالَ دَمُهُ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُرِيقَ فِي الإِسْلامِ.

وَدَخَلَ سَعْدٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ لِيَتَحَمَّلَ الْجُوعَ مَعَهُ ثَلاثَةَ أَعْوَامٍ كَامِلَةً.

فَأَكَلَ وَرَقَ الشَّجَرِ حَتَّى أَذِنَ اللهُ لِهَذِهِ الْمِحْنَةِ أَنْ تَنْجَلِيَ، ثُمَّ هَاجَرَ سَعْدٌ - رضي الله عنه - إِلَى المدينةِ مَعَ مَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

***

هَاجَرَ (عُمَيْرُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ) مَعَ أَخِيهِ سَعْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَدَعَا دَاعِي الْجِهَادِ: حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ.

---

(١) **شعاب**: جمع شعب، وهو الطريق الضيق الذي يمكن للإنسان الاختباء فيه.

فَخَرَجَ سَعْدٌ حَامِلًا سَيْفَهُ وَرُمْحَهُ وَكَانَ سَعْدٌ وَقْتَهَا قَدْ تَعَدَّى الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ.

أَمَّا عُمَيْرٌ فَكَانَ صَغِيراً لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّالِثَةَ أَوِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَمِنْ عَادَةِ رَسُولِ اللهِ أَنْ يَرَى جَيْشَهُ، فَيَرُدَّ الصِّغَارَ الَّذِينَ لَا طَاقَةَ لَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَلَا قُوَّةَ.

وَرَأَى رَسُولُ اللهِ عُمَيْراً وَهُوَ يَتَخَفَّى حَتَّى لَا يَرُدَّهُ النَّبِيُّ، وَلَا يُقَاتِلَ مَعَ المسلمينَ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَآهُ فَرَدَّهُ، فَبَكَى عُمَيْرٌ حَتَّى رَقَّ النَّبِيُّ لَهُ وَأَخْرَجَهُ مَعَ جَيْشِ بَدْرٍ، وَبِجِوَارِ سَعْدٍ وَقَفَ عُمَيْرٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَانْجَلَى الْغُبَارُ عَنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهِيداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ أَصْغَرَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَعَادَ سَعْدٌ يَحْمِلُ النَّصْرَ فِي يَدٍ، وَالْبُكَاءَ عَلَى أَخِيهِ فِي يَدٍ أُخْرَى.

وَمَضَتْ حَيَاةُ الْجِهَادِ سَرِيعَةً تَنْقُلُ الْمسلمينَ مِنْ مَعْرَكَةٍ إِلَى أُخْرَى.

فَجَاءَتْ (أُحُدٌ) وَعَصَى رُمَاةُ نَبِيِّنَا قَوْلَهُ وَتَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ، وَهَجَمَ المشركونَ عَلَى جَيْشِ المسلمينَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ الَّذِي لَمْ يَثْبُتْ بِجِوَارِهِ إِلَّا نَفَرٌ

قَلِيلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص - رضي الله عنه - ، وَرَآهُ النَّبِيُّ فَقَالَ لَهُ: «**ارْدُدْهُمْ - أَيْ صُدَّ الْمُشْرِكِينَ**».

فَقَالَ سَعْدٌ: وَكَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وَحْدِي؟ ثُمَّ أَخْرَجَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ[١]، وَرَمَى بِهِ رَجُلاً مِنَ المشركينَ فَقَتَلَهُ، فَأَخَذَ نَفْسَ السَّهْمِ فَقَتَلَ بِهِ آخَرَ مِنَ المشركينَ.

وَهَكَذَا قَتَلَ هَذَا السَّهْمُ عَدَداً كَبِيراً مِنَ المشركينَ، فَأَخَذَ سَعْدٌ هَذَا السَّهْمَ.

وَقَالَ: هَذَا سَهْمٌ مُبَارَكٌ، وَكَانَ لَا يَخُوضُ مَعْرَكَةً إِلَّا وَمَعَهُ هَذَا السَّهْمُ حَتَّى مَاتَ - رضي الله عنه - .

وَفِي هَذَا الْيَوْم الْحَزِينِ جاءَتْ (أُمُّ أَيْمَنَ) تَسْقِي الْجَرْحَى فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، فَضَرَبَهَا كَافِرٌ بِسَهم فَوَقَعَتْ وَتَكَشَّفَتْ عَوْرَتُهَا، فَضَحِكَ مِنْهَا الْكَافِرُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ سَهْماً وَقَالَ لِسَعْدٍ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

وَهَكَذَا جَمَعَ رَسُولُ اللهِ لِسَعْدٍ بَيْنَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا لِأَحَدٍ سِوَى سَعْدٍ - رضي الله عنه - ، فَلَمَّا رَمَى سَعْدٌ هَذَا السَّهْمَ أَصَابَ بِهِ الْكَافِرَ فِي رَقَبَتِهِ فَمَاتَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

---

(١) **الكِنَانَة**: جَعْبَةُ السِّهام.

وَقَالَ: «**اسْتَقَادَ**(١) **لَهَا سَعْدٌ، أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ**».

وَصَارَ سِلاحَ سَعْدٍ فِي كُلِّ مَعَارِكِهِ (سَهْماً مُبَارَكاً)، (وَدُعَاءً مُتَقَبَّلًا) وَلا زَالَ سَعْدٌ يَذْكُرُ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ:

«**أَطِبْ مَطْعَمَكَ يَا سَعْدُ تَكُنْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ**».

وَيَذْكُرُ تِلْكَ الدَّعْوَةَ الأُخْرَى: **اللَّهُمَّ سَدِّد رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ**. وَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ فَصَارَ سَعْدٌ - رضي الله عنه - صَاحِبَ رَمْيَةٍ سَدِيدَةٍ، وَدُعَاءٍ مَقْبُولٍ.

أَمَّا الرَّمْيَةُ السَّدِيدَةُ، وَالسَّهْمُ الصَّائِبُ فَقَدْ ظَهَرَ وَاضِحاً فِي مَعَارِكِ الإِسْلام الَّتِي خَاضَها سَعْدٌ ضِدَّ جَحافِلِ المشركينَ قَائِداً للمسلمينَ فِي فُتُوحَاتِ فَارِسَ يَنْشُرُ الإِسْلامَ فِي رُبُوعِهَا.

قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ الشَّهِيرَةِ فِي بِلادِ فَارِسَ وَهِيَ [القادِسِيَّةُ]، كَانَ الْفُرْسُ قَدْ جَمَعُوا لِلْمُسْلِمِينَ جُمُوعاً كَثِيرَةً.

وَأَرَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ المؤمنينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْخُرُوجَ بِنَفْسِهِ لِلِقَاءِ الْفُرْسِ، وَقِيادَةِ جَيْشِ المسلمينَ، وَلَكِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - أَقْنَعَه بِالْعُدُولِ عَنْ هَذِهِ الفِكْرَةِ.

(١) اقتصّ وأخذ بالثأر.

وَلَمْ يَكُنْ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ الصَّعْبَةِ إِلَّا رَجلٌ قَوِيٌّ فِي إيمانِهِ، وَجَسَدِهِ، وَهُنَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ لِعُمَرَ: إِلَيْكَ الأَسَدَ فِي بَرَاثِنِهِ(١)، سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَنظَرَ عُمَرُ فَرأى سَعْداً هُوَ الأَسَدُ الَّذِي تُوكَلُ إِلَيْهِ هَذِهِ المهمةُ الشَّاقَّةُ، فَعَيَّنَهُ عَلَى جَيْشِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا سَعْدُ لَا يَغُرَّنَّكَ مِنَ اللهِ أَنْ قِيلَ: خَالُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّءِ، وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، يَا سَعْدُ ... إِنَّ اللهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا الطَّاعَة...

وَخَرَجَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَسَداً للهِ وَرَسُولِهِ يَقُودُ المسلمينَ فِي مَعْرَكَةٍ فَاصِلَةٍ فِي الْقَادِسِيَّةِ.

وَهُنَاكَ أَطْفَأَ اللهُ بِسَعْدٍ نَارَ الْمَجُوسِ، وَطَهَّرَ أَرْضَ فَارِسَ مِنَ النَّجَسِ، وَاتَّخَذَ مِنْ مَعَابِدِ النَّارِ مَسَاجِدَ يُعْبَدُ فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسَقَطَتِ (الْمَدَائِنُ) عَاصِمَةُ الْفُرْسِ فِي يَدِ الْمُسْلِمِينَ، وأَعَزَّ اللهُ جُنْدَهُ.

وَرغْمَ أَنَّ سَعْداً كَانَ يُعَانِي مِنَ الآلام وَقْتَهَا إِلَّا أَنَّهُ تَحَامَلَ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَادَ المسلمينَ إِلَى نَصْرِ اللهِ

---

(١) **براثن**: جمع برثن وهي المخالب، والمقصود أن لسعد مخالب ينتصر بها كما ينتصر الأسد بمخالبه.

الْمَوْعُودِ، وَهُمْ يُرَدِّدُونَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَسَارَ سَعْدٌ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى مِيَاهِ دِجْلَةَ حَتَّى عَبَرُوا إِلَى المشْرِكِينَ، وَقَضَوْا عَلَى الْفُرْسِ تَماماً، وَقَائِدُهُمْ صَاحِبُ السَّهْمِ الصَّائِبِ وَالرَّمْيَةِ السَّدِيدَةِ.

***

أَمَّا الدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ، فَكَانَ سِلاحاً ثَانِياً يَسْتَخْدِمُهُ سَعْدٌ ضِدَ أَعْدَاءِ اللهِ.

فَقَدْ كَانَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ مَفْتُوحَةً لِدُعَاءِ سَعْدٍ، يَسْتَجِيبُ اللهُ لَهُ مَتَى دَعَاهُ ورَجَاهُ.

لَقَدْ كَانَ لِسَعْدٍ صِبْيَةٌ صِغَارٌ وَكَانَ سِنُّهُ كَبِيراً، إِذْ تَأَخَّرَ إِنْجَابُهُ لِلْوَلَدِ فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ، وَمَرِضَ سَعْدٌ، حَتَّى أَوْشَكَ عَلَى الْوَفَاةِ وَلَكِنَّهُ دَعَا اللهَ.

فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ لِي بَنِينَ صِغَاراً، فَأَخِّرْ عَنِّي الْمَوْتَ حَتَّى يَبْلُغُوا، فَأَخَّرَ اللهُ تَعَالَى سَعْداً عِشْرِينَ عَاماً أُخْرَى حَتَّى كَبِرَ أَوْلادُهُ.

***

وَيَوْماً مِنَ الْأَيَّامِ خَاضَ(١) أَحَدُ النَّاسِ فِي عَلِيٍّ

(١) قال قولًا سيئًا.

- رضي الله عنه - ، وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَنَهَاهُ سَعْدٌ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَنْتَهِ الرَّجُلُ، وَكَرَّرَ مَا قَالَ.

فَقَالَ سَعْدٌ: انْتَهِ وَإِلَّا دَعَوْتُ عَلَيكَ. فَقَالَ الرَّجلَ سَاخِراً: كَأَنَّكَ نَبِيٌّ سَتُسْتَجَابُ دَعْوَتُكَ؟

فَقَامَ سَعْدٌ - رضي الله عنه - ، فَتَوَضَّأَ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَدَعَا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا هِيَ إِلَّا لَحظَاتٌ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ عِبْرَةً وَآيَةً تَشْهَدُ لِسَعْدٍ بِأَنَّ اللهَ قَدْ قَبِلَ دَعْوَتَه، لَقَدْ خَرَجَتْ نَاقَةٌ قَوِيَّةٌ، شَارِدَةٌ كَأَنَّهَا تَبْحَثُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي دَعَا عَلَيْهِ سَعْدٌ، فَلَمَّا رَأَتْهُ ضَرَبَتْهُ بِأَقْدَامِهَا حَتَّى أَسْقَطَتْهُ أَرْضاً، وَلا زَالَتْ تَضْرِبُهُ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ.

* * *

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا كَثِيرٌ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ - رضي الله عنهم - ، فَبَقِيَ المسلمونَ يُقَاتِلُ بَعْضُهُم بَعْضاً.

وَاعْتَزَلَ سَعْدٌ - رضي الله عنه - الْفِتْنَة فَلَمْ يُقَاتِلْ مَعَ عَلِيٍّ أَوْ مُعَاوِيَةَ، وَآثَرَ(١) الْبَقَاءَ فِي الْمَدِينَةِ بَعِيداً عَنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَبَقِيَ وَالِياً عَلَيْهَا.

(١) فضّل.

وَجَاءَ يَوْمُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لِأَوْلادِهِ: إنَّ لِي جُبَّةً[١] مِنْ صُوفٍ، لَقِيتُ بِهَا المشركينَ فِي بَدْرٍ، وإنِّي أُريدُ أَنْ أَلْقَى اللهَ فِيهَا، فَكَفِّنُونِي بِهَا إذَا مُتُّ.

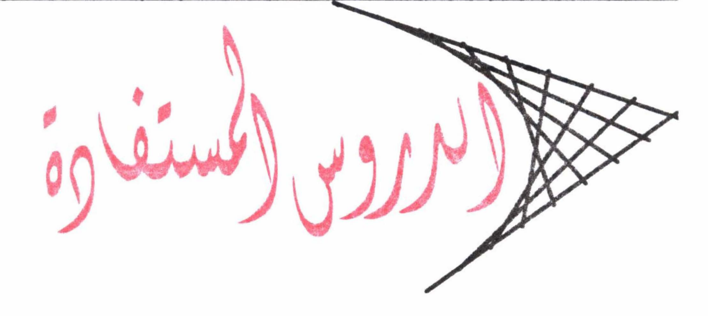
وَفِي صَبِيحَةِ يَوْم مِنْ أَيَّـام الْعَام الْخَامِسِ وَالْخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ، نَعَى المسلمونَ سَعْداً، وَدَفَنُوهُ فِي قَبْرِهِ بِالْبَقِيع بِجِوَارِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَلَّتْ عَلَيْهِ أُمَّهاتُ المؤمنينَ، وَبَكَيْنَهُ بُكَاءً شَدِيداً.

لَقَدْ مَاتَ صَاحِبُ الرَّمْيَةِ السَّدِيدَةِ، وَالدَّعْوَةِ الْمُسْتَجَابَةِ.

فَإلَى جَنَّاتِ اللهِ، وَرِضوانِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، وَبَقِيَتْ كَلِمَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

***

(١) ثوب من صوف.



(١) الإيمانُ بِاللهِ تَعَالَى وَمَحبَّتُهُ، وَتَمَنِّي الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِهِ.

(٢) الشَّجَاعَةُ والإقْدَامُ مِنْ صِفَاتِ المؤمنِ.

(٣) حُبُّ الله تَعَالَى لِصَاحِبِ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ وَاسْتِجَابَتُهُ الدَّعْوَةَ مِنْهُ.

(٤) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مِنَ العشرةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.



اذكر بالضبط ما تفيده هذه الجمل:

(١) فدى رسول الله سعد بن أبي وقاص بأبيه وأمه.

(٢) دعوة دعاها رسول الله لسعد بأن يكون مجاب الدعوة، صائب السهم

(٣) كلمة قالها عبد الرحمن بن عوف لعمر تعبر عن قوة سعد - رضي الله عنه - .

اختر الصحيح من بين الأقواس.

(١) قاد سعد بن أبي وقاص المسلمين في معركة [اليرموك - القادسية - أجنادين].

(٢) كان .... هو شقيق سعد بن أبي وقاص واستشهد يوم بدر [عمر - عمرو - عمير].

(٣) قال النبي ﷺ لسعد «**اللهمَّ أجب دعوته وسدِّد ... [لكمته - بسمته - رميته]**».

(٤) كان سعد بن أبي وقاص المسلم .... بين المسلمين [الأول - الثالث - العاشر].

لو أردت أن تلقِّب سعد بن أبي وقاص بلقَبٍ آخر فما هو؟



١ - ارمِ سعدُ فداك أبي وأمي.

٢ - اللهمَّ أجب دعوته وسدِّد رميته.

٣ - إليكَ الأسد في براثنه.

* القادسية، عمير، رميته، الثالث.

سيرة سعيد بن زيد - رضي الله عنه -

وأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَـهُ الأَرْضُ تَـحْـمِـلُ صَـخْـراً ثـقـالا(١)

دَحَاهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا ... سَـواءً وَأَرْسَـى عَـلَـيْـهَـا الـجـبالا(٢)

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَـهُ الْـمُـزْنُ تَـحْـمِـلُ عَـذْبـاً زُلالا(٣)

إِذَا هِيَ سِيقَتْ إِلَى بَلْدَةٍ ... أَطَاعَتْ فَـصَـبَّـتْ عَـلَـيْـهَا سِجَالا(٤)

بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ كَانَ [زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ] يَتَرَنَّمُ، وَيُنْشِدُهَا، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكَعْبَةِ قَائِلًا للهِ تَعَالَى - لَبَّيْكَ يَا رَبِّي، لَبَّيكَ حَقّاً حَقّاً.

كَانَ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، ابْنَ عَمِّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - ، عَاشَ قَبْلَ الإِسْلام، وَقَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاهْتَدَى إِلَى اللهِ تَعَالَى بِفِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ، فَلَمْ يَعْبُدِ الأَصْنَامَ، أَوْ يَذْبَح لَهَا كَمَا فَعَلَ المشركونَ فِي مَكَّةَ.

(١) أسلم وجهه للّه تعالى وآمن به كما آمنت الأرض وصخورها الثقيلة.

(٢) جعل الأرض كالدحية أي البيضة، وسواها، وجعل الجبال فيها أوتادًا.

(٣) أسلم وجهه للّه الذي سخر السُّحب تحمل الماء العذب.

(٤) إذا ذهبت السُّحب إلى بلد، أمطرت عليها مطرًا شديدًا.

وَكَانَ يَقُولُ لِأَهْلِ مَكَّةَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، يَبْعَثُ اللهُ عَلَيْكُمْ مَطَرَ السَّمَاءِ، وَيُنْبِتُ لَكُمُ الزَّرْعَ، وَيَخْلُقُ لَكُمُ الشَّاةَ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا لِغَيْرِ اللهِ. كَيْفَ هَذَا؟

فَقَامَ الْخَطَّابُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ.

وَقَالَ لَهُ: تَبّاً لَكَ، لَقَدْ صَبَرْنَا عَلَيْكَ كَثِيراً.

ثُمَّ عَذَّبَهُ عَذَاباً شَدِيداً حَتَّى خَرَجَ زَيْدٌ مِنْ مَكَّةَ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا إِلَّا سِرّاً خَوْفاً مِنْ عَمِّهِ الْخَطَّابِ وَالِدِ عُمَرَ - رضي الله عنه - .

وَفِي مَكَّةَ اجْتَمَعَ (زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو) مَعَ (وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ)، (وَعَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ)، وَأُمُّهُ (أُمَيْمَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ) عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُمْ (عُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ).

فَقَالَ زَيْدٌ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللهِ، أَنَّ قَوْمَكُمْ قَدْ أَخْطَأُوا دِينَ (إِبْرَاهِيمَ)، كَيْفَ نَطُوفُ حَوْلَ حَجَرٍ لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ، وَلا يَضُرُّ، وَلَا يَنْفَعُ، يَا قَوْمُ ابْحَثُوا عَنْ دِينٍ لِأَنْفُسِكُمْ، فَوَاللهِ لَسْنَا عَلَى شَيْءٍ.

وَتَفَرَّقُوا فِي البِلادِ يَبْحَثُونَ عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، فَأَمَّا وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ فَقدِ اعْتَنَقَ الْمَسِيحِيَّةَ.

وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَعُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِث فَظَلَّا عَلَى بَحْثِهِمَا حَتَّى جَاءَ الإسْلامُ، فَآمَنَ عَبْدُ اللهِ - رضي الله عنه - حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً يَوْمَ (أُحُدٍ)، وسُمِّيَ (الشَّهِيدَ المُجَدَّعَ).

وَبَقِيَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الَّذِي ذَهَبَ إلَى الشَّام يَبْحَثُ عَنْ دِينِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، حَتَّى لَقِيَ رَاهِباً مِنْ رُهْبَانِ الشَّامِ، ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ.

فَقَالَ الرَّاهِبُ: إنَّك تَطْلُبُ دِيناً لا وُجُودَ لَهُ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إلَى مَكَّة، فَإنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ إلَيْكُمْ مَنْ يُجَدِّدُ دِينَ إبْرَاهِيمَ، فَاذْهَبْ، وَآمِنْ بِهِ وَاتَّبِعْهُ.

وَفِي الطَّرِيقِ إلَى مَكَّةَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بُعِثَ، وَلَمْ يَكُنْ زَيْدٌ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بُعِث بَعْدُ، وَكَانَ الْمَوْتُ أَسْرَع إلَيْهِ مِنَ الإيمانِ، فَقَدْ قَتَلَهُ بَعْضُ الأَعْرَابِ.

وَلَمَّا ذَكَرُوا قِصَّتَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ عَنْهُ: «**إنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وَفِي أَنْفَاسِهِ الأَخِيرَةِ يَجُودُ بِهَا قَالَ زَيْدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ حَرَمْتَنِي هَذَا الْخَيْرَ فَلا تَحْرِمْ مِنْهُ وَلَدِي (سَعِيداً).

وَظَلَّتْ دَعْوَةُ زَيْدٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى كَانَ وَلَدُهُ سَعِيدٌ يَوْماً بِمَكَّةَ، فَعَلِمَ بِبِعْثَةِ رَسُولِ اللهِ فَآمَنَ بِهِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، أُخْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ.

وَكَانَ إِسْلامُهُمَا قَدِيماً وَمُبَكِّراً قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ دَارَ الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ.

وَظَلَّ سَعِيدٌ يُخْفِي إِيمَانَهُ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ، حَتَّى لَا يُطْرَدَ مِنْ مَكَّةَ كَمَا طُرِدَ أَبُوهُ مِنْ ذِي قَبْلُ وَعَلِمَ عُمَرُ بِإِسْلامِهِ فَأَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ، وضَرَبَهُ حَتَّى أَدْمَى وَجْهَهُ.

وَلَكِنْ كَانَ صَبْرُ سَعِيدٍ عَلَى عُمَرَ مِنْ أَسْبَابِ إِسْلامِ عُمَرَ - رضي الله عنه - كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي قِصَّةِ إِسْلامِ عُمَرَ.

وَهَاجَرَ سَعِيدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ، وَقَبْلَ بَدْرٍ اخْتَارَهُ رَسُولُ اللهِ لِيَذْهَبَ مَعَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ

لِيَعْرِفَ عَدَدَ المشركينَ، وَيَسْتَطْلِعَ تَحَرُّكَاتِهِمْ، فَغَابَ سَعِيدٌ عَنْ (بَدْرٍ) وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ أَعْطَاهُ مِنْ غَنَائِمِهَا فَكَانَ كَمَنْ حَضَرَهَا وَشَهِدَهَا.

ثُمَّ شَهِدَ سَعِيدٌ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَاتِلُ بِسَيْفِهِ، وَيُؤْمِنُ بِقَلْبِهِ حَتَّى كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى جَبَلِ حِرَاءَ وَمَعَهُ بَعْضُ المسلمينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَاهْتَزَّ جَبَلُ حِرَاءَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ - أَيِ اسْكُنْ - فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**».

وَلَمَّا سَأَلَ النَّاسُ سَعِيداً مَنْ كَانَ مَعَكَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، وَقَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ**».

فَكَانَ سَعِيدٌ وَاحِداً مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ - رضي الله عنه -، وَظَلَّ عَلَى عَهْدِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ يُقَاتِلُ المشركينَ فِي بِلادِ (فَارِسَ) حَتَّى أَطْفَأَ اللهُ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ نَارَ الْمَجُوسِ، وَآمَنَ أَهْلُ فَارِسَ بِاللهِ تَعَالَى.

وَلَمَّا انْتَهَتِ الْفُتُوحُ فِي بِلادِ فَارِسَ، لَمْ يَهْدَأْ سَعِيدٌ

بَلْ حَملَ سَيْفَهُ وَمَتَاعَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنَ الْبِلادِ الَّتِي غَزَاهَا المسلمونَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرَّةَ هِيَ بِلادُ الشَّام، حَيْثُ كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ الفَاصِلَةُ بَيْنَ المسلمينَ وَالرُّومِ، وَهِيَ مَعْرَكَةُ [الْيَرْمُوكِ].

وَكَانَ انْتِصَارُ الرُّوم فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ قَرِيباً جِدًّا مِنْهُمْ لِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِ المسلمينَ.

أَمَّا هَزِيمَةُ الرُّوم فَكَانَتْ تَعْنِي سُقُوطَ الشَّام كَامِلَةً فِي أَيْدِي المسلمينَ، فَاسْتَعَدَّ الفَرِيقَانِ جَيِّداً لِهَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

وَجَاءَ جَيْشُ الرُّوم وَتَعْدَادُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ ألفاً، وَعَدَدُ المسلمينَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ ألفاً، وَتَرَاءَى الْجَيْشَانِ.

وَجَاءَ الرُّهْبَانُ وَالْقَسَاوِسَةُ يَحْمِلُونَ صُلْبَانَهُمْ وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالصَّلَوَاتِ، عِنْدَئِذٍ قَامَ قَائِدُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ يَخْطُبُ المسلمينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ انْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، اصْبِرُوا فَإِنَّ الصَّبْرَ مَنْجَاةٌ مِنَ الْكُفْرِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ . . وَالْزَمُوا الصَّمْتَ حَتَّى آمُرَكُمْ، وَاذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

عِنْدَئِذٍ خَرَجَ من صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ فقَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ:

- يَا أَبَا عُبَيْدَةَ إِنِّي ذَاهِبٌ لِلشَّهَادَةِ الآنَ، وَخَارِجٌ لِقِتَالِ هَؤُلاءِ، فَهَلْ لَكَ مِنْ رِسَالَةٍ تَبْعَثُها إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

فَقَالَ أَبو عُبَيْدَةَ، نَعَمْ، أَقْرِئْهُ مِنَّا السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: **إِنَّا وَجَدْنَا مَا وَعدنَا رَبُّنَا حَقّاً.**

وَهُنَا يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ - رضي الله عنه - : فَلَمَّا رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ رَكِبَ جَوادَهُ، وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَمَضَى إِلَى أَعْدَاءِ اللهِ يُقَاتِلُهُمْ، أَسْنَدْتُ رُكْبَتِي إِلَى الْأَرْضِ، وَرَمَيْتُ بِرُمْحِي أَوَّلَ فَارِسٍ مِنَ الرُّومِ، ثُمَّ نَزَعَ اللهُ مَا فِي قَلْبِي مِنَ الْخَوْفِ، وَدَخَلْتُ بَيْنَ صُفُوفِ الْأَعْدَاءِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نَصَرَنا اللهُ تَعَالَى.

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَعْلَمُ جَيِّداً صِدْقَ إيمانِ سَعِيدٍ.

فَأَسْنَدَ إِلَيْهِ فَتْحَ (دِمَشْقَ) ثُمَّ جَعَلَهُ وَالِياً عَلَيْهَا وَمَضَى الجميعُ إِلَى اللهِ، وَبَقِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَتَّى عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ.

فِي عَهْدِ الدَّوْلَةِ الأَمَويَّةِ عَاشَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ يَبْكِي صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَهُ، وَبَقِي هُوَ يَشْهَدُ الفِتْنَةَ وَدُخُولَ الدُّنْيَا بِزِينَتِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ، فَفَضَّلَ الْعَوْدَةَ إلَى المدينةِ وَالإِقَامَةَ فِيها، وَكَانَ وَالِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ العَاصِ.

وَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ تُسَمَّى (أَرْوَى بِنْت أُوَيْسٍ).

فَقَالَتْ: إنَّ سَعِيداً سَرَقَ قِطْعَةً مِنْ أَرْضِي، وَأَدْخَلَها فِي أَرْضِهِ. وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ صَاحِب رَسُولِ اللهِ وَأَحَدِ العَشَرَةِ المبشرينَ بِالْجَنَّةِ.

فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَذْهِبْ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا.

وَنَزَلَ المَطَرُ مِن السَّمَاءِ حَتَّى بَيَّنَ الْحَدَّ الَّذِي زَعَمَتِ المرأةُ أَنَّ سَعِيداً قَدْ جَاوَزَهُ، ثُمَّ عَمِيَ بَصَرُهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمَاتَتْ فِيهَا.

وَاسْتَجَابَ اللهُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ المظلومِ، وَالْمدَّعَى عَلَيْهِ كَذِباً وَبُهْتَاناً.

وَذَاتَ صَبَاحٍ، فَزِعَ أَهْلُ المدينةِ عَلَى صَوْتِ النَّاعِي يَنْعي (سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ) - رضي الله عنه - ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فِي الْعَامِ الخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ.

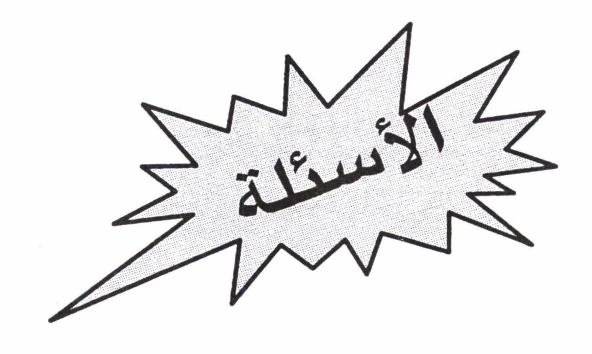
وَدَفَنَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - ، فَسَلامٌ عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ.

الدروس المستفادة

(١) بقاءُ العملِ الصَّالِحِ للأبناءِ بعدَ مَوْتِ الآباء.

(٢) دَعْوَةُ المظلومِ مُسْتَجابَة.

(٣) الإيمانُ بالله تَعالَى، وَالْبَحْثُ عَنْ كُلِّ ما يجعلنا مؤمنين.



اذكر موقفاً أعجبكَ في حياة سعيدِ بن زيدٍ - رضي الله عنه -.

كانت عائلة سعيد بن زيد - رضي الله عنه - **قد أسلم منها الكثير ومنهم:**

(١)

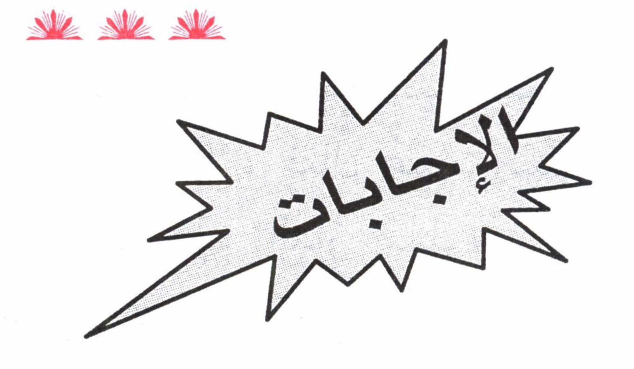
(٢)

(٣)

(٤)

اذكر خمسة من العشرة المبشَّرين بالجنة؟

[أبو بكر - عمر - علي - عثمان - سعيد بن زيد].



(١) زيد بن عمرو بن نُفَيْل.

(٢) فاطمة بنت الخطاب.

(٣) عمر بن الخطاب.

(٤) زيد بن الخطاب.

سيرة أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه-

وَقَفَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ يَقُولُ لِلنَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّكُمْ قَدْ فُجِعْتُمْ بِرَجُلٍ - وَاللهِ - مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا أَبَرَّ صَدْراً، وَلَا أَبْعَدَ غَائِلَةً(١)، وَلَا أَشَدَّ حُبّاً لِلْعَاقِبَةِ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَّةِ مِنْهُ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ يَرْحَمُكُمُ اللهُ.

وَجَلَسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَرّةً مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: تَمَنَّوْا.

فَقَالَ رَجُلٌ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ لِي هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةً ذَهَباً أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: تَمَنَّوْا، فَقَالَ رَجُلٌ، أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ لُؤْلُؤاً وَزَبَرْجَداً أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتَصَدَّقُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: تَمَنَّوْا.

فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا أَمِيرَ المؤمنِينَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ رِجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ.

---

(١) **الغائلة**: هي الشرّ والحقد، وجمعها غوائل، والمقصود أنه لا يحمل حقداً على أحد.

تُرَى مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي امْتَدَحَهُ مُعَاذٌ، وَتَمَنَّى عُمَرُ لَوْ أَنَّ الدَّارَ قَدِ امْتَلَأَتْ بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ مِنَ الرِّجَالِ؟

إِنَّهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَكُنْيَتُهُ [أَبُو عُبَيْدَةَ] أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَمِينُ أُمَّةِ الإِسْلامِ، أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي لإِسْلامِ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - .

فَكَانَ وَاحِداً مِمَّنْ هَدَاهُمُ اللهُ إِلَى الإِسْلامِ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - .

وَكَبَقِيَّةِ إِخْوَانِهِ مِمَّنْ أَسْلَمُوا تَحَمَّلُ أَبُو عُبَيْدَةَ الْعَذَابَ فِي مَكَّةَ صَابِراً رَاضِياً لَا يَصُدُّهُ الْأَذَى عَنْ دِينِ اللهِ، بَلْ يَزِيدُهُ التَّعْذِيبُ إِيمَاناً بِاللهِ، وَاتِّبَاعاً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَكَانَ أَحَدُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ هُنَاكَ مَا يَرْجُوهُ، فَلَئِنْ عَاشَ آمِناً بِدِينِهِ، إِلَّا أَنَّهُ عَاشَ مَحْرُوماً مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَلَمْلَمَ مَتَاعَهُ الْقَلِيلَ وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ يُقَاسِمُ إِخْوَانَهُ أَيَّامَ الْعَذَابِ فِي مَكَّةَ، وَكَأَنَّ الْعَذَابَ صَارَ بَرْداً وَسَلاماً عَلَيْهِمْ جَمِيعاً.

وَنَزَلَ وَحْيُ اللهِ آمِراً نَبِيَّهُ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَفَارَقَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَطَنَهُ وَدِيَارَهُ، وَفَرَّ بِدِينِهِ،

لِيَلْحَقَ بِفِئَةِ المؤمنينَ فِي الْمَدِينَةِ وَيَسْكُنَ الإيمانُ المدينةَ، وَيَسْكُنَ المؤمنونَ المدينةَ حَتَّى كَانَتِ المدينةُ دارَ الإيمانِ والمؤمنينِ سَوِيّاً.

***

كَانَ سَيْفُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاح نِعْمَ السَّيْفُ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَرْفَعُهُ إِلَّا فِي وَجْهِ الْكُفَّارِ حِينَ يَأْبَوْنَ إِلَّا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَلَكِنَّ سَيْفَ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ طِرَازٍ خَاصٍّ.

فَقَدْ كَانَ الْجَمِيعُ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَعْلَمُونَ بَطْشَ هَذَا السَّيْفَ وَقُوَّتَهُ، فَكَانُوا يَبْتَعِدُونَ عَنْهُ خَشْيَةَ الْمَوْتِ تَحْتَ حَدِّهِ، وَلَمْ يَتَصَوَّرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَوْماً أَنَّ سَيْفَ أَبِي عُبَيْدَةَ سَوْفَ يَحْصُدُ رَقَبَةَ أَبِيهِ، نَعَمْ لَقَدْ قَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالِدَهُ وَلَكِنْ كَيْفَ؟

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْجَرَّاحِ وَالِدُ أَبِي عُبَيْدَةَ رَجُلًا كَافِراً، كَثِيراً مَا عَذَّبَ المسلمينَ وَآذَاهُمْ، حَتَّى هَاجَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالمسلمونَ إِلَى المدينةِ.

وَجَاءَتْ مَكَّةُ بِرِجَالِهَا تُرِيد حَرْبَ الإِسْلام فَكَانَ اللِّقَاءَ فِي (بَدْرٍ) وَفِي مُعَسْكَرِ المسلمينَ وَقَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ ابْنُ الجَرَّاحِ خَلْفَ رَايَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

أَمَّا عَبْدُ اللهِ فَقَدْ، وَقَفَ فِي مُعَسْكَرِ الشِّرْكِ تَحت رَايَةِ الأَصْنَام وَالكُفْرِ، وَهَاجَمَ عَبْدُ اللهِ جَيْشَ المسلمينَ بِضَرَاوَةٍ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يرى أَبَاهُ، فَيَخْتَبِئُ مِنْهُ وَيَتَوَارَى، وَلَكِنْ يَعُودُ الرَّجُلُ لِلْهُجُوم مَرَّةً أُخْرَى، وَكُلَّمَا حَاوَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ أَبِيهِ تَعَرَّضَ لَهُ وَالِدُهُ، وَأَرَادَ قَتْلَهُ، وَقَتلَ رِجَالًا مِنَ المسلمينَ.

وَهُنَا تَدَاخَلَتِ الأَفْكَارُ فِي قَلْبِ أَبِي عُبَيْدَةَ، مَنْ يَنْصُرُ؟ ٱللَّهَ أَمْ أَبَاهُ؟

وَجَاءَ الْجَوَابُ سَرِيعاً: اللهَ، فَضَرَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالِدَهُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ الكَافِرُ المُشْرِكُ الَّذِي انْتَهَى نَسَبُهُ بِوَلَدِهِ يَوْمَ اخْتَارَ وَلَدُهُ الإيمانَ وَرَفَضَهُ أَبُوهُ.

وَيَظَلُّ أَبُو عُبَيْدَةَ حَزِيناً حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وَفِي (أُحُدٍ) كَانَ المشركونَ قَدْ أَحَاطُوا بِرَسُولِ اللهِ

ﷺ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ وَالخَلاصَ مِنْهُ، وَأُصِيبَ رَسُولُ اللهِ بَعْدَ انْكِشَافِ المسلمينَ وَتَفَرُّقِهِمْ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رَسُولِ اللهِ، وَشُجَّ رَأْسُهُ.

وَاقْتَرَبَ أَحَدُ المشْرِكِينَ وَاسْمُهُ (ابْنُ قَمِئَةَ) فَضَرَبَ رَسُولَ اللهِ بِسَيْفِهِ، وَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ دِرْعِ الرَّسُولِ فِي وَجْنَتَيْهِ.

وَاقْتَرَبَ أَبُو بَكْرٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَنْتَزِعَ الحلْقَتَيْنِ مِنْ وَجْنَتَيْ رَسُولِ اللهِ وَلَكِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَكْرُمَةٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ:

- أُقْسِمُ بِاللهِ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ لِي.

وَبِثَنِيَّتَيْهِ، انْتَزَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَلْقَتَيْنِ مِنْ وَجْنَتَيْ رَسُولِ اللهِ، فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتَاهُ فَأَصَابَهُ الْهَتْمُ حَتَّى صَارَ كَمَا قَالَ عَنْهُ أَبو بَكْرٍ - رضي الله عنه -: كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَحْسَنَ النَّاسِ هَتْماً.

* * *

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَبَا عُبَيْدَةَ حُبّاً شَدِيداً حَتَّى قَالَ: **«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»**.

وَجَاءَ وَفْدٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَكُونُ مَعَهُمْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَبَعَثَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ**».

وَفِي وَاحِدَةٍ مِنْ رَوَائِعِ الْقِصَصِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ - رضي الله عنه -.

رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ بَعَثَهُ قَبْلَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ لِيَعْتَرِضَ عِيراً[(١)] لِقُرَيْشٍ وَكَانَ أَمِيرَ المسلمينَ وَمَعَهُ ثَلاثُمائَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَأَثْنَاءَ الْغَزْوَةِ أَصَابَهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ، حَتَّى أَكَلُوا الخَبَطَ[(٢)]، فَسُمِّيَ الْجَيْشُ: جَيْشَ الْخَبَطِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْجَيْشِ سِوَى التَّمْرِ الَّذِي كَانَ مَعَهُمْ يَأْكُلُونَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِي الرَّجُلَ تَمْرَةً وَاحِدَةً كُلَّ يَوْم يَمُصُّهَا الرَّجُلُ ثُمَّ يَشْرَبُ بَعْدَهَا الماءَ فَتَكْفِيهِ إِلَى اللَّيْلِ.

وَيَمُنُّ اللهُ عَلَى المسلمينَ، وَإِذا هُمْ في سَاعَةِ جُوعٍ شَدِيدٍ يَقْذِفُ الْبَحْرُ عَلَيْهِمْ حَيَواناً اسْمُه [الْعَنْبَرُ] وَهُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الحِيتَانِ، يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الْعَنْبَرُ.

---

(١) قافلة.

(٢) **الخَبط**: هو ورق الشجر الذي يسقط حينما يهزّ الإنسان الشجرة.

فَأَخَذَهُ المسلمونَ وَانْتَفَعُوا بِلَحْمِهِ، وَدَهَنُوا أَجْسَامَهُمْ بِزَيْتِهِ، فَطَعِمُوا وَشَبِعُوا بَعْدَ الجُوعِ، وَلَما عَادُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ذَكَرُوا لَهُ قِصَّةَ هَذَا الْعَنْبَرِ.

فَقَالَ لَهُمْ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكم مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ**»؟

فَأَخْرَجَ أَبو عُبَيْدَةَ لَحْمَ الْعَنْبَرِ فَأَكَلَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَحَابَتُهُ، وَهَكَذَا أَطْعَمَ الْجَوْعَى مِنْ أَصْحَابِ سَرِيَّةِ (الْخَبَطِ) أَهْلَ المدينةِ مِنْ رِزْقِ اللهِ عَزَّ وَجلَّ.

* * *

وَبعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ سَيْفُ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي خِدْمَةِ الإِسْلامِ، فَكَانَ قَائِداً لِجَيْشِ المسلمينَ فِي فُتُوحَاتِ الشَّامِ، بَلْ كَانَ هُوَ قَائِدَ جَيْشِ [الْيَرْمُوكِ] الَّذِي قَضَى عَلَى وُجُودِ الرُّوم فِي الشَّام وَرَدَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِلَى مُلْكِ المسلمينَ، وَوَلَّاهُ عُمَرُ حُكْمَ الشَّامِ فَكَانَ وَالِياً عَلَيْهَا.

وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَخْتَبِرَ وَالِيَهُ أَمِينَ الأُمَّةِ وَصَحَابِيَّ رَسُولِ اللهِ، فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَى الشَّام، وَخَرَجَ الْجَمِيعُ يَتَلَقَّاهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ.

فَقَالَ عُمَرُ: أَيْنَ أَخِي؟ فَقَالُوا: مَنْ أَخُوكَ يَا أَمِيرَ

المؤمنين؟ قَالَ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ. فَقَالُوا: يَأْتِيكَ الآنَ.

وَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَتَعَانَقَ مَعَ عُمَرَ - رضي الله عنه -، وَذَهَبَ عُمَرُ إِلَى دَارِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَنَظَرَ فِيهَا، فَلَمْ يَجِدْ سِوَى السَّيْفِ، وَالتُّرْسِ، وَسَرْجِ الدَّابَّةِ.

فَقَالَ عُمَرَ: أَلا اتَّخَذْتَ مَا اتَّخَذَ أَصْحَابُكَ؟ يَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنْ يُجَهِّزَ بَيْتَهُ بِالمَتَاعِ.

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هَذَا يُبَلِّغُنِي المَقِيلَ.

فَعَلِمَ عُمَرُ صِدْقَ أَخِيهِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ مُجَاهِدٌ لا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى السَّيْفِ يَضْرِبُ بِهِ الْعَدُوَّ، وَالتُّرْسِ يَصُدُّ بِهِ، وَالْفَرَسِ يَرْكَبُهَا، وَلَا شَيْءَ آخَرَ لِأَنَّهُ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ.

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ أَحْمَرَ وَلا أَسْوَدَ، وَلَا حُرٍّ وَلا عَبْدٍ، وَلَا عَجَمِيٍّ وَلا عَرَبِيٍّ، أَعْلَمُ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنِّي بِتَقْوَى إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَهُ.

فَهُوَ يَسِيرُ عَلَى قَوْلِ الحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَفِي الشَّام كَانَتْ حَيَاةُ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ يَوْم فَتَحَهَا حَتَّى مَاتَ، وَفِي أَوَاخِرِ حيَاةِ أَبِي عُبَيْدَةَ نَزَلَ بِالمسلمين طَاعُونٌ شَهِيرٌ حَصَدَ أَرْوَاحَ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَهُوَ طَاعُونٌ سُمِّي بِـ[طَاعُونِ عَمَوَاس].

وَلَما وَقَعَ هَذَا الطَّاعُونُ، تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُ غَضَبٌ مِنَ اللهِ عَلَى المسلمينَ، فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَة خَطِيباً فِي المسلمينَ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَإنَّ أبا عُبَيْدَة يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ.

وَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَاءِ أَمِينِ الأُمَّةِ فَمَا لَبِثَ إلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَوَفَّاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي العَامِ الثَّامِنَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَحِينَمَا حَضَرَتِ الوَفَاةُ عُمَرَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ حَيّاً لاسْتَخْلَفْتُهُ، فَإذا سَأَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَ اسْتَخْلَفْتَهُ؟ قُلْتُ: إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَمِيناً وَأَمِينِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ.

سَلامٌ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فِي الآخِرِينَ.

الدروس المستفادة

(١) نَسَبُ الناس بالتقوى والإيمان والعمل الصالح.

(٢) أبو عبيدة واحد من العشرة المبشَّرين بالجنة.

(٣) الصبر على ما أصاب الله به المؤمنين من الجوع والعطش.

(٤) الثبات على الإيمان والصبر على أذى العاصين.



لكل واحد من العشرة المبشَّرين بالجنة صفات تختلف عن الآخر، فما هو الذي يميز أبا عبيدة عن الباقين؟

ضع علامة ( ) أو ( ) أمام العبارات التالية.

(١) أسلم أبو عبيدة قبل أبي بكر الصديق ( )

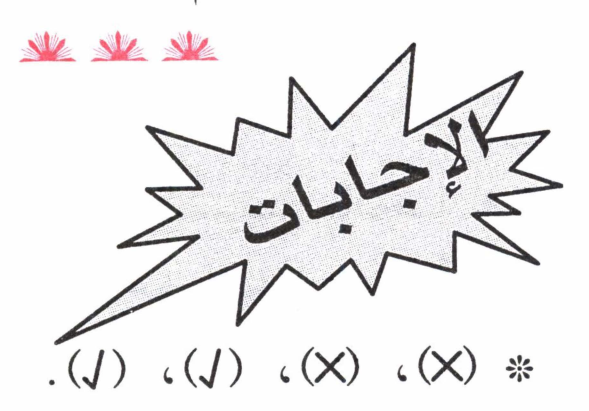
(٢) تولى أبو عبيدة حكم الشام في عهد عثمان بن عفان ( )

(٣) كان أبو عبيدة أمين الأمة ( )

(٤) أحبَّ عمرُ أبا عبيدة وأراد أن يجعله خليفةً من بعده ( )

ما هو لقبُ كل واحد من هؤلاء؟

* عثمان بن عفان.
* عمر بن الخطَّاب.
* أبو عبيدة بن الجرّاح.
* الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام.



* (X)، (X)، (✓)، (✓).

* ذو النُّورين - الفاروق - أمين الأمَّة - حواريّ رسول الله ﷺ.



سيرة معاذ بن جبل - رضي الله عنه -

هَا هُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يَطْرُقُ الأبوابَ بَحْثاً عَنْ مُؤْمِنِينَ جُدُدٍ، وَيَمْشِي فِي طُرُقاتِ المدينةِ دَاعِياً إِلَى اللهِ، فَلَمْ يَبْقَ فِي المدِينةِ بيتٌ إِلَّا وَدَخَلَهُ الإِسْلامُ.

لَقَدْ كانَ مُصْعَبُ شَدِيدَ التَّأْثِيرِ فِيمَنْ حَوْلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكنْ سَاحِراً، أَوْ يَمْلِكُ عَصاً سِحْرِيَّةً، لٰكِنَّهُ صَاحِبُ قَلْبٍ تَقِيٍّ نَقِيٍّ أَخْلَصَ للهِ فِي إيمانِهِ، فَصَدَقَهُ رَبُّهُ تَعالى.

وَحَوْلَ مُصْعَبٍ الْتَفَّ شَبابُ المَدِينَةِ وَفِتْيَانُها يَسْتَمِعُونَ إلى آياتِ القُرآنِ تَخْرُجُ عَذْبَةً رَقِيقَةً مِنْ فَمِهِ، فَيَزْدَادُونَ إعْجاباً بِمُصْعَبٍ، ويزدَادُونَ بِاللهِ إيماناً، فاسْتَطَاعَ مُصْعَبٌ أَنْ يُوَجِّهَ قُلُوبَهُمْ إلى الإيمانِ.

لَقَدْ مَضَى عامٌ مُنْذُ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ، وَمَا مِنْ بَيْتٍ إِلَّا وَدَخَلَهُ الإِسْلامُ.

وَتَمَنَّى أَهْلُ المدينةِ لَوْ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا كَانَ سَفِيرُهُ إِلَيْهِمْ بِهٰذَا الْجَمالِ الإيمانِيِّ، فَكَيْفَ بِهِ هُوَ؟

لَقَدْ حَرَّكَ مُصْعَبُ الأَفْئِدَةَ[١] نَحْوَ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَاشْتَاقُوا لِرُؤْيَةِ هَذَا النُّورِ، وَنَادَى مُنَادِي الرَّحِيلِ فِي أَهْلِ المدينةِ: إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

فَأَسْرَعَ الجَمِيعُ لِتَجْهِيزِ مَا يَلْزَمُ لِلرِّحْلَةِ الْمُبارَكَةِ، لَقَدْ تَجَمَّعَ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَهم امْرَأَتانِ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَمَعَ كِبَارِ رِجَالِ المدينةِ كَانَ فَتَى الْخَزْرَجِ:

مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ بْنِ [عَمْرِو] بْنِ أَوْسٍ الْخَزْرَجِيُّ، ذَهَبَ مَعَهُمْ وَقَدْ كَانَ الشَّوْقُ يَقْتُلُهُ لِلِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ويَرَاهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ بَعْدَ أَنْ رَآهُ بِعَيْنِ الْقَلْبِ.

وَمَا أَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى شَعَرَ بالإِيمانِ يَسْكُنُ قَلْبَهُ، وَبِالنُّورِ الَّذِي لا يَحْجُبُهُ عَنْ قَلْبِهِ شَيْءٌ.

وَعَادَ مُعَاذٌ بِأَضْعَافِ أَضْعَافِ مَا قَدْ ذَهَبَ بِهِ مِنَ الإِيمانِ يَنْتَظِرُ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى المدينةِ لِيُقِيمَ مَعَهُمْ حَتَّى آخِرِ الزَّمَانِ.

* * *

هَلْ تَتَصَوَّرُ أَنَّ عُمْرَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - حِينَمَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَاماً فَقَطْ؟

---

(١) **الأفئدة**: جمع فؤاد وهو القلب.

وَلَكِنَّ أَعْمَارَ النَّاسِ لَا تُقَاسُ بِسِنِي حَيَاتِهِمْ قَدْرَ مَا تُقَاسُ بِأَعْمَالِهِمُ الْجَلِيلَةِ.

وَلَقَدْ كَانَـتْ حَيَاةُ مُعَاذٍ قَصِيرَةً لِلْغَايَةِ، فَلَقَدْ تُوُفِّي - رضي الله عنه - وَعُمْرُهُ ثَمَانِيَةٌ وَثَلاثُونَ عَاماً فَقَطْ.

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُحَدِّدَ عُمْرَهُ الإيمانِيَّ لَوَجَدْنَاهُ عِشْرِينَ عاماً فَقَطْ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإِنَّنَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَمْلأَ كُتُباً عَنْ مُعَاذٍ لَفَعَلْنَا.

لَمْ يَكُنْ مُعَاذٌ لِيُضِيعَ لَحْظَةً وَاحِدَةً مِنْ حَيَاتِهِ بِجِوَارِ النَّبِيِّ، فَالْتَزَمَهُ يَحْضُرُ جَلَسَاتِهِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْفَظَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ حَفَظَةُ القرآن إلا قِلَّةً.

وَكَانَ مُعَاذٌ إِذَا سَمِعَ شَيْئاً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَاهُ وَحَفِظَهُ حَتَّى قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»**.

وَفِي مَرَّةٍ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّكَ فَلَا تَنسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**.

وَأَيُّ فَخْرٍ وَوِسَامٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ لِأَحَدٍ

صَحَابَتِهِ: **إنِّي أُحِبُّكَ وَاللهِ**، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ يَعْلَمُ الْخَيْرَ فِي مُعَاذٍ، وَيُدْرِكُ جَيِّداً أَنَّهُ أَرَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلِذَا أَحَبَّهُ وَقَدَّرَهُ بَيْنَ صَحَابَتِهِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنّاً وَأَسْبَقُ مِنْهُ إسْلاماً، **وَلَكِنَّهُ الإيمانُ يَرْفَعُ الصِّغَارَ لِيَضَعَهُمْ بَيْنَ الْكِبارِ.**

وَيَوْمَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى الْيَمَنِ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوصِي مُعاذاً.

بَلْ إنَّ مُعَاذاً كَانَ رَاكِباً عَلَى دَابَّتِهِ، وَرَسُولُ اللهِ يَمْشِي، وَهُوَ شَرَفٌ عَظِيمٌ لمعاذٍ، لَمْ يَتَحَقَّقْ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ صَحَابَةُ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلامُ - إذَا تَكَلَّمَ مُعَاذٌ نَظَرُوا إلَيْهِ تَعْظِيماً وَإجْلالاً لِعِلْمِهِ.

وَكَثِيراً مَا قَرَّبَ رَسُولُ اللهِ مُعَاذاً إلَى جِوَارِهِ، وَقَدَّمَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَصْحَابِ الْكِرَامِ **وَلَكِنَّ الحَيَاةَ لا تَدُومُ لأحَدٍ.**

فَإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا وَدَّعَ مُعَاذاً وَهُوَ ذَاهِبٌ إلَى الْيَمَنِ لِيُعَلِّمَ أَهْلَهَا الإسْلامَ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ إنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ تَمُرُّ بِمَسْجِدِي هَذَا وَقَبْرِي**»، فَبَكَى مُعَاذٌ - رضي الله عنه - لِفِرَاقِ رَسُولِ اللهِ.

ثُمَّ الْتَفتَ يَنْظُرُ إِلَى المدينةِ بِوَجْهِهِ، فَمَا إِنْ رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى قَالَ: **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي المتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا؟**

وَتَحقَّقَ مَا أَحسَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ فَقَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا، وَكَانَ مُعَاذٌ غَائِباً عَنِ المدينةِ، وَلَمَّا وَصلَ الخَبَرُ إِلَيْهِ بَكَى بُكَاءَ الأُمِّ عَلَى وَلَدِهَا، وَبُكَاءَ الْيَتِيم عَلَى أُمِّهِ، فَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ، وَمَضَتِ الحَيَاةُ بَعْدَ ذَلِكَ.

* * *

ذَاتَ مَرَّةٍ بَعَثَ عُمَرُ غُلامَهُ بِأَرْبَعِمائَةِ دِينارٍ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِهَذَا المالِ إِلَى بَيْتِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَانْتَظِرْ مَاذَا سَيَفْعَلُ بِهَذَا المالِ؟

وَذَهَبَ الغُلامُ بِالمالِ، فَأَخَذَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَنَادَى جَارِيَتَهُ قَائِلًا لَهَا: اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ دَنَانِيرَ إِلَى فُلانٍ.

وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلانٍ حَتَّى انْتَهَتِ الدَّنَانِيرُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ. وَعَادَ الْغُلامُ إِلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِمَا كَانَ، فَوَجَدَ الغُلامُ عُمَرَ قَدْ جَهَّزَ لَهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ أُخْرَى

وَقالَ لَهُ: اذْهَبْ إلَى مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَانْتَظِرْ ماذَا سَيَفْعَلُ بِهَذا المالِ؟

وَأَخَذَ مُعاذٌ الدَّنانِيرَ مِنَ الْغُلام وَنَادَى جَارِيَتَهُ فَأَمَرَهَا أَنْ تُوَزِّعَ هَذَا المالَ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إلَّا دِينارَانِ.

فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: نَحْنُ وَاللهِ فُقَرَاءُ يَا مُعاذُ فَأَعْطِنَا. فَأَعْطَاهَا الدِّينارَيْنِ.

وَرَجَعَ الْغُلامُ إلَى عُمَرَ يُخْبِرُهُ بِمَا كَانَ، فَتَبَسَّمَ عُمَرُ قَائِلًا: إنَّهُمْ إخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

كَانَ مُعاذٌ كَبَقِيَّةِ الصَّحابَةِ، يَنْظُرُ إلَى المالِ أَنَّهُ مَالُ اللهِ وَإنَّمَا أَعْطَاهُ لَهُ لِكَيْ يُنْفِقَهُ فِي الْخَيْرِ دَائِماً، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ يُعْطِي النَّاسَ مِنْ مَالِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ مَالٌ فِي دَارِهِ يُنْفِقُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

قَالَ أَحَدُ التَّابِعِينَ وَاسْمُهُ أَبُو بَحْرِيَّةَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمْصَ - بِالشَّامِ -.

فَإذَا أَنَا بِفَتًى حَوْلَهُ النَّاسُ جَعْدٍ(١) قَطَطٍ(٢) فَإذَا تَكَلَّمَ كَأَنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ(٣) نُورٌ وَلُؤْلُؤٌ.

(١) أجعد الشعر. (٢) الشديد الجعودة. (٣) فمه.

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، لَقَدْ كَانُوا جَمِيعاً يَعْرِفُونَ الْفَضْلَ لِمُعَاذٍ - رضي الله عنه - فِي عِلْمِهِ الَّذِي اسْتَقَاهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلْيَسْأَلْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ.

وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: لَوْ كَانَ مُعاذٌ حَيّاً لاسْتَخْلَفْتُهُ. فَإِذَا سَأَلَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لِماذَا اسْتَخْلَفْتَهُ؟

قُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهَ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا حَضَرُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ مُعَاذٌ أَمَامَهُمْ يَسْبِقُهُمْ بِمِقْدَارِ رَمْيَةِ حَجَرٍ»**.

أَمَّا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً، فَقَالَ أَحَدُ جُلَسَائِهِ، هَذَا إِبْراهِيمُ يَا صَحَابِيَّ رَسُولِ اللهِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: هَلْ تَدْرِي مَا الْأُمَّةُ؟ وَمَا القَانِتُ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْأُمَّةُ هُوَ الَّذِي يُعَلِّمُ الخَيْرَ.

وَالْقَانِتُ: هُوَ الْمُطِيعُ للهِ عَزَّ وَجلَّ. وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - رضي الله عنه - يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَكَانَ مُطِيعاً للهِ عَزَّ وَجلَّ وَرَسُولِهِ.

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - قَدْ مَنَعَ كِبَارَ الصَّحَابَةِ الْخُرُوجَ مِنَ المدينةِ إلَّا بإذْنِهِ، وَذَلِكَ لِحَاجَتِهِ الشَّدِيدَةِ إِلَيْهِمْ يَسأَلُهُمْ فِيمَا يَخُصُّ أُمورَ الْمسلمينَ، وَيَسْتَشِيرُهُمْ فِيمَا يَحْدُثُ مِنْ أُمُورٍ جَدِيدَة، وَكَانَ مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ أَحَدَ الْمُفَضَّلِينَ لَدَى عُمَرَ - رضي الله عنه - .

وَلَكِنَّ المسلمينَ يَزْدَادُونَ يَوْماً بَعْدَ يَوْم، فَأَرْسَلَ عُمَرُ بِمُعَاذٍ إِلَى الشَّامِ لِكَيْ يُعَلِّمَهُمْ دِينَهُمْ وَيُفَقِّهَهُمْ فِيهِ.

وَفِي (حِمْصَ) كَانَتْ حَلْقَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - تَمْتَلِئُ بِالْوَافِدِينَ مِنْ أَنْحَاءِ الشَّامِ لِيَأْخُذُوا الْعِلْمَ مِنْ أَعْلَمِ الأُمَّةِ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَأَحَبَّهُ أَهْلُ الشَّامِ حُبّاً جَمًّا.

إِلَّا أَنَّ أَيَّامَ الدَّهْرِ السَّعِيدَةَ قَلِيلَةٌ، فَقَدْ هَجَمَ طَاعُونُ (عَمَوَاسٍ) عَلَى المسلمينَ.

وَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَالِي الشَّامِ وَأَمِيرُهَا

ذَلِكَ الْوَقْتِ ثُمَّ جعَلَ (مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ) وَالِياً حَتَّى يَبْعَثَ عُمَرُ بِوَالٍ آخَرَ، فَقَامَ مُعَاذٌ خَطِيباً فِي المسلمينَ يَحُثُّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ.

فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَقَبَضَ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، اللَّهُمَّ آتِ آلَ مُعَاذٍ النَّصِيبَ الأَوْفَرَ من هَذِهِ الرَّحْمَةِ.

* * *

وَعَادَ مُعَاذٌ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ وَلَدَهُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ أَحَبَّ أَوْلادِهِ إِلَيْهِ قَدْ طُعِنَ (١).

فَقَالَ مُعَاذٌ - رضي الله عنه - لَهُ: - يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ كَيْفَ أَنْتَ؟ قَالَ: يَا أَبِي إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

فَقَالَ مُعَاذٌ: «**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**».

وَمَاتَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ، ثُمَّ مَاتَ أَخُوهُ الآخَرُ، وَبَعْدَهَا مَاتَتْ زَوْجَتَا مُعَاذٍ، وَبَقِي هُوَ - رضي الله عنه - حَتَّى أَصَابَهُ الطَّاعُونُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ، وَرَقَدَ فِي فِرَاشِهِ، فَكَانَ يُغْمَى عَلَيْهِ وَيُفِيقُ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: «رَبِّ

(١) أصابه الطاعون.

اقْبِضْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ».

ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: هَلْ أَصْبَحْنَا(١)؟ فَقَالُوا: نَعَمْ أَصْبَحْنَا يَا مُعَاذُ. فَقَالَ: **أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا النَّارُ**، مَرْحَباً بِالْمَوتِ مَرْحَباً، زَائِرٌ قَدْ غَابَ عَنَّا، وَحَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ(٢)، **اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَخَافُكَ**.

وَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُحِبَّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكَرْيِ(٣) الأَنْهَارِ، وَلاَ لِغَرْسِ الأَشْجَارِ، وَلَكِنْ لِظَمَإِ الْهَوَاجِرِ(٤)، وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ(٥)، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ.

ثُمَّ أَسْلَمَ مُعَاذٌ رُوحَهُ لِمَوْلاهُ بَعْدَ حَيَاةٍ قَصِيرَةِ السِّنِينَ، طَوِيلَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْمَوَاقِفِ الرَّائِعَةِ، وَبِالْعِلْمِ الْغَزِيرِ.

---

(١) هل طلع الصبح؟

(٢) فقر وشوق وحاجة.

(٣) حفر الآبار.

(٤) الصيام في الحر الشديد حتى العطش.

(٥) الصبر على الطاعة.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعَامِ الثَّامِنَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ. وَعِنْدَ قَبْرِ مُعَاذٍ لا بُدَّ أَنَّكَ سَتَسْمَعُ دُعَاءَهُ وَهُوَ يَتَرَنَّمُ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ دَاعِياً مَوْلَاهُ، **اللَّهُمَّ قَدْ نَامَتِ الْعُيُونُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، اللَّهُمَّ طَلَبِي لِلْجَنَّةِ بَطِيءٌ، وَهَرَبِي مِنَ النَّارِ ضَعِيفٌ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ هُدًى تَرُدُّهُ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادِ.**

الدروس المستفادة

(١) الْعِلْمُ يَرْفَعُ مَقامَ الإنسانِ حَتَّى يَجْعَلَهُ بينَ الكِبارِ.

(٢) حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لمعاذٍ - رضي الله عنه - .

(٣) الحياةُ لا تُقَاسُ بالسِّنِينَ بَلْ بإنجازاتِ الإنْسانِ فِي عُمُرِهِ.

(٤) الاجْتِهَادُ في طَلَبِ الْعِلْمِ، والاجتهادُ في العِبادَةِ.



أكمل الآتي: -

* كان معاذ بن جبل أعلم الأمة بـ.....، و...، وقال عمر بن الخطاب من أراد أن يسأل عن .... فليأت معاذ بن جبل، وكان قد أسلم، ولاقى رسول الله في .... الثانية، وحينما أسلم كان عمره ... عاماً، وهو من قبيلة.....

* صف لنا معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كما فهمت من هذه القصة.

اذكر ما قيل بالضبط، وما تدل عليه هذه العبارات:-

* وصية من الرسول لمعاذ أبلغه فيها بحبه له.

* عمر كان مسروراً من أبي عبيدة ومعاذ حتى قال: إنهما يشبهان بعضهما البعض.

* كلمة قالها عبد الله بن مسعود يوضح فيها أن معاذاً كان معلِّم الناس الخير؟

الإجابات: -

* الحلال، والحرام، الفقه، العقبة، ثمانية عشر، الخزرج.

* **«والله! إني لأحبك يا معاذ فلا تنسَ أن تقول دُبُرَ كل صلاة اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك»**.

* إنهم إخوة بعضهم من بعض.

* إن معاذ بن جبل كان أمةً قانتاً لله حنيفاً.

سيرة حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -

عاشَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ فِي قَبِيلَتِهِ [عَبْسٍ] مَعَ أَوْلادِهِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ آمِناً مُطْمَئِنًّا.

لَكِنَّ حَيَاةَ الْعَرَبِ قَبْلَ الإسْلام كَانَتْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَنْقَلِبَ سَعَادَتُهَا إِلَى جَحِيم مِنْ أَجْلِ سَبَبٍ تَافِهٍ بَسِيطٍ، لا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ جَمَلًا رَعَى فِي غَيْرِ أَرْضِ صَاحِبِهِ، أَوْ شُرْبَةَ مَاءٍ شَرِبَهَا رَجُلٌ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِ الْبِئْرِ.

وَتَعَكَّرَ صَفْوُ حَيَاةِ حُسَيْلِ بْنِ جَابِرٍ فَقَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ، وَحَكَمَتِ الْقَبِيلَةُ بِقَانُونِهَا، فَقَرَّرُوا إِبْعَادَهُ عَنْ قَبِيلَتِهِ، وَرَحَلَ حُسَيْلٌ إِلَى (يَثْرِبَ)، وَأَقَامَ هُنَاكَ عِنْدَ قَوْمٍ يُسَمَّوْنَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، وَيَنْتَمُونَ إِلَى قَبَائِلِ الْيَمَنِ، فَكَانُوا يُعْرَفُونَ بِـ [اليَمَانِيِّينَ](١).

وَبَعْدَ نُزُولِ حُسَيْلٍ يَثْرِبَ تَزَوَّجَ مِنْ أَهْلِهَا، وَهُنَاكَ تَغَيَّرَتْ حَيَاتُهُ تَمَاماً فَقَدْ سَمَّوْهُ [اليَمَانَ] نِسْبَةً إِلَى قَبَائِلِ اليَمَانِيَةِ، وَأَنْجَبَ الرَّجُلُ وَلَداً سَمَّاهُ حُذَيْفَةَ.

(١) الفرع الثاني من العرب هم القيسية.

وَكَبَقِيَّةِ الْعَرَبِ كَانَ [اليَمانُ] يَشْتَاقُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَإِلَى الطَّوَافِ بِهَا، فَكَانَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مَكَّةَ وَيَثْرِبَ، وَفِي مَكَّةَ كَانَ الإِسْلامُ يَشُقُّ الطَّرِيقَ إِلَى الْقُلُوبِ.

حَتَّى أَصَابَ قَلْبَ [اليَمانِ] فَآمَنَ باللهِ وَرَسُولِهِ، وَعَادَ إِلَى المدينةِ، فَأَسْلَمَ أَهْلُ بَيْتِهِ جَمِيعاً وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ [حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمانِ].

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ سَرِيعاً، وَاليَمَانُ يُحَدِّثُ وَلَدَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَحَبَّ حُذَيْفَةُ رَسُولَ اللهِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ حَتَّى لَقِيَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ فَعَرَفَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا حُذَيْفَةُ أَمُهَاجِرِيٌّ أَنْتَ أَمْ أَنْصَارِيٌّ**»؟

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: بَلْ أَنْصَارِيٌّ يَا رَسُولَ اللهِ.

وَاخْتَارَ حُذَيْفَةَ الأَنْصَارَ الَّذِينَ لَبَّوْا نِدَاءَ الإيمانِ أَوَّلَ مَا سَمِعُوهُ، فَكَانَ سَابِقاً مَعَهُمْ للهِ وَرَسُولِهِ وَصَارَ هُوَ [حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمانِ الأَنْصَارِيَّ].

***

وَحِينَمَا تَقْرَأُ أَوْ تَسْمَعُ عَنْ حُذَيْفَةَ فَلَا بُدَّ أَنْ تَفْتَحَ قَلْبَكَ وَعَقْلَكَ لِأَنَّكَ سَتَسْمَعُ الأَعَاجِيبَ، وَسَتَرَى رَجُلاً مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ لا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ فِي طَرِيقَتِهِ الَّتِي يَعِيشُ

بِهَا، وَيَتَصَرَّفُ عَلَى أَسَاسِهَا فِي الْحَيَاةِ.

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ تَخَلَّفَ حُذَيْفَةُ وَوَالِدُهُ عَنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي كَانَتْ فُرْقَاناً بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَقَدْ كَانَ حُذَيْفَةُ وَالْيَمَانُ خَارِجَ المدينةِ حِينَمَا خَرَجَ جَيْشُ المسلمينَ إِلَى بَدْرٍ.

وَفِي طَرِيقِ عَوْدَةِ حُذَيْفَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَقِيَهُمَا المشركونَ، فَقَالُوا: إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ قَالَا: إِلَى المدينةِ.

فَقَالُوا: لَا إِنَّكُمَا تُرِيدَانِ مُحَمَّداً لِقِتَالِنَا، وَاحْتَجَزَ المشركونَ حُذَيْفَةَ وَوَالِدَهُ، وَلَمْ يَتْرُكَاهُمَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَخَذُوا العَهْدَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يُقَاتِلَا مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَوَصَلَا إِلَى رَسُولِ اللهِ وَقَصَّا عَلَيْهِ القِصَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**بَلْ نَفِي بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَيْهِمْ**».

وَهَذِهِ أُولَى الْعَجَائِبِ فِي حَيَاةِ حُذَيْفَةَ وَوَالِدِهِ، وَفَاءٌ بِالْعَهْدِ حَتَّى مَعَ المشركينَ. وَفِي أُحُدٍ خَرَجَ حُذَيْفَةُ وَاليَمَانُ لِقِتَالِ المشركينَ.

وَكَانَ اليَمَانُ شَيْخاً طَاعِناً فِي السِّنِّ وَلَكِنَّهُ تَمَنَّى الشَّهَادَةَ، وَالموتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَلَمْ تَمْنَعْهُ شَيْخُوخَتُهُ

مِنَ الْجِهَادِ. وَلَكِنْ كَانَ اليَمَانُ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى، فَحِينَمَا انْكَشَفَ المسلمونَ، فَرَّ بَعْضُهُمْ أَمَامَ المشركينَ، وَثَبَتَ الآخَرُونَ، وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ دَخَلَتْ وَسَطَ جَيْشِ المشركينَ، وَاخْتَلَطَ الجَيْشَانِ فَلَمْ يَتَمَيَّزُوا، فَوقَعَ الْقَتْلُ فِي المسلمينَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ.

وَانْتَهَزَ الشَّيْطَانُ هَذِهِ الفُرْصَةَ فَصَاحَ، أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ، يَعْنِي احْتَرِسُوا مِمَّنْ وَرَاءَكُمْ.

فَرَجَعَ المسلمونَ فَقَاتَلُوا بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ دُونَ قَصْدٍ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ، فَإذا هُوَ بِأَبِيهِ اليَمَانِ.

فَنَادَى فِي المسلمينَ: أَيْ عِبَادَ اللهِ أَبِي أَبِي، وَلَكِنَّ سَيْفَ الْقَدَرِ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ دِرْعِ الْحَذَرِ، فَقَتَلَ المسلمونَ الْيَمَانَ خَطَأً، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ.

وَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْفَعَ الدِّيَةَ لِحُذَيْفَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: تَصَدَّقْتُ بِهَا عَلَى المسلمينَ، فَزَادَ حُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ، وَقَرَّبَهُ مِنْهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْعَجِيبَةَ الثانِيَةَ لِحُذَيْفَةَ.

* * *

وَأَمَّا يَوْمُ الْخَنْدَقِ فَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ حُذَيْفَةَ

الْمَشْهُودَةِ، فَقَدْ أَسْنَدَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِ مُهِمَّةً صَعْبَةً.

وَهُنَا نَتْرُكُ حُذَيْفَةَ يُحَدِّثُنَا عَنْها كَمَا يَرْوِي الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ قَالَ:

لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ [الخَنْدَق]، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ(١)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

وَلَكِنْ مَنِ الَّذِي سَيَقُومُ فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، شَدِيدَةِ الظُّلْمَةِ؟

لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ وَسَكَتَ المسلمونَ جَمِيعاً.

وَرَدَّدَ رَسُولُ اللهِ النِّدَاءَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**قُمْ حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، يَقُولُ حُذَيْفَةُ: فَلَمْ أَجِدَ بُدّاً(٢) إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي وَأَمَرَنِي بِالْقِيَامِ.

فَقُمْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: «**اذْهَبْ وَائْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ** - يَقْصِدُ جَيْشَ المشركينَ - **وَلا تُذْعِرْهُم**

---

(١) برد.

(٢) مفرًا.

عَلَيَّ»[١].

فَقَامَ حُذَيْفَةُ كَأَنَّما يَمْشِي فِي حَمَّام مَلِيءٍ بِالماءِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُعَسْكَرِ الْمُشرِكِينَ.

فَرَأَى أَبَا سُفيانَ وَكَانَ كَافِراً وَقْتَهَا يُدَفِّئُ يَدَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعَ حُذَيْفَةُ سَهْماً يُرِيدُ قَتْلَهُ، وَلٰكِنْ تَذَكَّرَ وَصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَدَمِ تَهْييجِ الْقَوْمِ عَلَيْهِ، فَلَم يَرْمِ بِسَهْمِهِ.

وَدَخَلَ حُذَيْفَةُ بَيْنَ المشركينَ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّنِي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا غَرِيبٌ، فَلْيَسْأَلْ كُلُّ رَجُلٍ مَنْ بِجِوَارِهِ عَنِ اسْمِهِ؟ وَبِسُرْعَةٍ لَجَأَ حُذَيْفَةُ - رضي الله عنه - إِلَى حِيلَةٍ ذَكِيَّةٍ، فَأَسْرَعَ إِلَى مَنْ بِجِوَارِهِ وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟

فَقَالَ: فُلانُ بْنُ فلانٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: صَدَقْتَ.

وَهَكَذَا نَجَا حُذَيْفَةُ - رضي الله عنه - مِنْ مَكِيدَةِ أَبِي سُفْيَانَ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ الذَّكِيَّةِ.

وَعَادَ حُذَيْفَةُ يُخبِرُ رَسُولَ اللهِ بِمَا حَدَثَ، ثُمَّ كَسَاهُ رَسُولُ اللهِ ثَوْباً مِنْ عِنْدِهِ كَانَ يُصَلِّي فِيهِ، فَنَامَ حُذَيْفَةُ حَتَّى الصَّبَاحِ، فَرَآهُ رَسُولُ اللهِ.

---

(١) لا تهيجهم على جيش المسلمين.

فَقَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**».

فَانْظُر إِلَى الطَّاعَةِ، وَالذَّكَاءِ فِي حُذَيْفَةَ تَجِدْهُمَا عَلَى أَكْمَلِ مَا يَنْبَغِي، وَهٰذِهِ مِنْ عَجَائِبِهِ - رضي الله عنه - .

عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَدْ نَصَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ.

وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ كَانَ رَسُولُ اللهِ رَاكِباً عَلَى نَاقَتِهِ، وَقَدْ أَمْسَكَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِزِمَامِهَا، وَحُذَيْفَةُ يَسُوقُ الدَّابَّةَ، وَدَخَلَ المسلمونَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى وَادٍ مِنَ الأَوْدِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ رَسُولِ اللهِ إِلَّا عَمَّارٌ وَحُذَيْفَةُ، وَالمسلمونَ يَعْبُرُونَ الطَّرِيقَ فِي بَطْنِ الْوَادِي.

وَانْتَهَزَ المنَافِقُونَ وَكَانُوا - اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا - هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَأَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَغَطَّوْا وُجُوهَهُمْ وَهَجَمُوا هَجْمَةً وَاحِدَةً مِنْ وَرَاءِ رَسُولِ اللهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «**اذْهَبْ وَرَاءَهُمْ**»، فَجَرَى حُذَيْفَةُ وَرَاءَهُم لَكِنَّهُمُ اخْتَفَوْا حَتَّى دَخَلُوا فِي الْجَيْشِ وَاخْتَبَأُوا فِيهِ، وَأَخْبَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِهَذِهِ المؤامَرَةِ، وَبِأَسْمَاءِ المنافقِينَ جَمِيعاً.

فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ حُذَيْفَةَ بِذَلِكَ وَلَمْ يُخْبِرْ أَحَداً غَيْرَهُ، وَهُنَا جَاءَ الاسْمُ الْجَدِيدُ لِحُذَيْفَةَ [صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللهِ]، أَوْ [كاتِمُ سِرِّ رَسُولِ اللهِ].

وَظَلَّ حُذَيْفَةُ يَحْفَظُ سِرَّ النَّبِيِّ حَتَّى تُوُفِّيَ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ - رضي الله عنه - يَخْشَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المنافقينَ فَيَقُولُ لِحُذَيْفَةَ: هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ فِي المنافقينَ؟

وَحُذَيْفَةُ يَقُولُ لَهُ: لَا يَا عُمَرُ لَستَ مِنْهُمْ.

وَكَانَ عُمَرُ يَنْظُرُ فِي الجَنَازَةِ، فَإِذَا وَجَدَ حُذَيْفَةَ غَائباً عَلِمَ أَنَّ المَيِّتَ مِنَ المنافقينَ، وَإِنْ وَجَدَهُ حَاضِراً صَلَّى عَلَى الجنازةِ مَعَهُ، وَيَا لَلْعَجَبِ مِنْ رَجُلٍ يَحْفَظُ سِرًّا مَا امْتَدَّتْ بِهِ الحَيَاةُ.

أَمَّا آخِرُ الْعَجَائِبِ عَنْ حُذَيْفَةَ فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ فَلْسَفَةٍ خَاصَّةٍ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ السَّائِلِينَ عَنِ الْخَيْرِ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ السَّائِلِينَ عَنِ الشَّرِّ قَلِيلٌ، فَقَالَ عَنْ نَفْسِهِ:

- كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، وَهَكَذَا لَا تَرَى حَدِيثاً فِيهِ عَلامَاتُ السَّاعَةِ، أَوْ مَا يَحْدُثُ فِي آخِرِ

فَقَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**».

فَانْظُر إِلَى الطَّاعَةِ، وَالذَّكَاءِ فِي حُذَيْفَةَ تَجِدْهُمَا عَلَى أَكْمَلِ مَا يَنْبَغِي، وَهٰذِهِ مِنْ عَجَائِبِهِ - رضي الله عنه - .

❋ ❋ ❋

عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَدْ نَصَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ.

وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ كَانَ رَسُولُ اللهِ رَاكِباً عَلَى نَاقَتِهِ، وَقَدْ أَمْسَكَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِزِمَامِهَا، وَحُذَيْفَةُ يَسُوقُ الدَّابَّةَ، وَدَخَلَ المسلمونَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى وَادٍ مِنَ الأَوْدِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ رَسُولِ اللهِ إِلَّا عَمَّارٌ وَحُذَيْفَةُ، وَالمسلمونَ يَعْبُرُونَ الطَّرِيقَ فِي بَطْنِ الْوَادِي.

وَانْتَهَزَ المنَافِقُونَ وَكَانُوا - اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا - هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَأَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَغَطَّوْا وُجُوهَهُمْ وَهَجَمُوا هَجْمَةً وَاحِدَةً مِنْ وَرَاءِ رَسُولِ اللهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «**اذْهَبْ وَرَاءَهُمْ**»، فَجَرَى حُذَيْفَةُ وَرَاءَهُم لَكِنَّهُمُ اخْتَفَوْا حَتَّى دَخَلُوا فِي الْجَيْشِ وَاخْتَبَأُوا فِيهِ، وَأَخْبَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِهَذِهِ المؤامَرَةِ، وَبِأَسْمَاءِ المنافقينَ جَمِيعاً.

بِرَغِيفٍ يَأْكُلُهُ وَمَعَهُ قِطْعَةُ لَحْمٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَيْنَ الأَمِيرُ؟ فَقَالَ الآخَرُونَ: إِنَّهُ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ عَلَى حِمَارِهِ الآنَ.

فَجَرَى النَّاسُ وَرَاءَهُ حَتَّى أَدْرَكُوهُ فَقَالُوا: بِمَاذَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: عَلَفٌ لِحِمَارِي هَذَا، ثُمَّ مَضَى إِلَى دَارِهِ الْفَقِيرَةِ لَا شَيْءَ فِيهَا سِوَى طَبَقٍ يَأْكُلُ فِيهِ، وَكُوبٍ يَشْرَبُ فِيهِ المَاءَ، فَلَا حَاجَةَ لِمِثْلِهِ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا.

وَعَلَى عَادَةِ عُمَرَ، كَانَ يُرَاقِبُ الوُلَاةَ وَالْأَمَرَاءَ، وَيُرَاجِعُ مَا قَدْ جَمَعُوهُ مِنَ المَالِ، وَيُقَارِنُ بَيْنَ حَالِهِمْ قَبْلَ الإِمَارَةِ، وَبَعْدَهَا، فَإِنْ وَجَدَ خَيْراً تَرَكَ الوَالِيَ، وَإِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَعَزَلَهُ.

وَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى حُذَيْفَةَ لِيَعُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ اخْتَبَأَ عُمَرُ لِيَرَى حُذَيْفَةَ كَيْفَ صَارَتْ حَالَتُهُ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ وَالِياً، فَإِذَا بِهِ يَرَاهُ قَدْ دَخَلَ عَلَى حِمَارِهِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ، وَبِيَدِهِ رَغِيفٌ يَأْكُلُهُ، فَالْتَزَمَهُ وَعَانَقَهُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ، وَهَا هُوَ - رضي الله عنه - فِي سَاعَاتِهِ الأَخِيرَةِ يَدْعُو اللهَ قَائِلًا:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ الْفَقْرَ عَلَى الْغِنَى،

وَأُحِبُّ الذِّلَّةَ عَلَى الْعِزِّ، وَأُحِبُّ الْمَوْتَ عَلَى الحَيَاةِ، أَهْلًا بِالْمَوْتِ حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ.

وَجَاؤوهُ بِالْكَفَنِ، فَرَآهُمْ قَدْ غَالَوْا فِيهِ، فَرَدَّ هَذَا الْكَفَنَ وَاخْتَارَ كَفَناً رَخِيصاً وَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَرَادَ اللهُ بِي خَيْراً أَبْدَلَنِي خَيْراً مِنْهُ. ثُمَّ مَاتَ كَاتِمُ سِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَاتَ مَعَهُ سِرُّ رَسُولِ اللهِ لِيُدْفَنَ السِّرُّ وَصَاحِبُهُ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

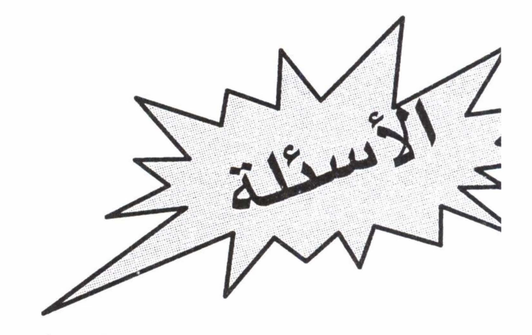
الدروس المستفادة

(١) الحرصُ على الخَيْرِ، وَالحِرْصُ عَلى الطَّاعَة.

(٢) التَّصَدُّق عَلَى المسلمينَ بكلِّ ما نملك.

(٣) طاعة الله ورسوله ولو في أشدِّ الظُّرُوفِ وَأَضْيَقِهَا.

(٤) حفظُ السِّرِّ وَكِتْمَانُهُ لأَنَّهُ أَمَانَةٌ.



* لماذا سمي حُذَيْفَةُ كاتمَ سرّ رسول الله ﷺ؟

* هل لو استودعك أحد سرّاً ستفعل مثل حذيفة وتكتمه أم تذيعه وتنشره؟

ضع علامة (صح) أو (خطأ) أمام هذه العبارات: -

(١) حذيفة عاش في مكة ثم هاجر إلى المدينة

( )

(٢) أخذ حذيفةُ الدِّيَةَ من رسول الله بعد أن قتل المسلمون أباه ( )

(٣) كان حذيفة كاتماً لسرٍّ عمر بن الخطاب

( )

(٤) تغيَّر حذيفة كثيراً بعد أن تولى إمارة المدائن

( )



* (X)، (X)، (X)، (X).

سيرة عبد اللّه بن رواحة - رضي الله عنه -

شَاعِرٌ ... زَاهِدٌ ... عَابِدٌ ... مُجَاهِدٌ ... كَثِيرُ الصَّدَقَةِ ... غَزِيرُ الدَّمْعَةِ ... شَهِيدٌ.

هَذِهِ هِيَ أَوْصَافُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ - رضي الله عنه - كَمَا تَرْوِيهَا كُتُبُ التَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ.

وَرَجُلٌ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ جَدِيرٌ أَنْ نَنْظُرَ فِي تَارِيخِهِ، وَنُطَالِعَ سِيرَتَهُ.

إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ قَبِيلَةِ الْخَزْرَجِ الْفَرْعِ الثَّانِي مِنْ أَهْلِ المدينةِ.

وَبِدَايَتُهُ مَعَ الإِسْلامِ كَانَتْ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، حَيْثُ كانَ أَحَدَ أَفْرَادِ رِحْلَةٍ قِوَامُهَا سَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ ذَهبُوا لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ وَبَيْعَتِهِ فِي مَكَّةَ بَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ المشركينَ.

وَكَانَ مَوْعِدُ اللِّقَاءِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ حِينَ تَنَامُ قُرَيْشٌ وَتَغْفَلُ عُيُونُهَا وَوَسْطَ حَلْكَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، إِذَا بِأَهْلِ المدينةِ الَّذينَ جَاؤوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللهِ يَـــرَوْنَ

نُوراً يُضِيءُ الْعَقَبَةَ كُلَّهَا وَرَأَوْا قَمراً مُنِيراً قَدِ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ فَعَلِمُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَبِعُيُونٍ قَدْ فَاضَتْ بِالدُّمُوعِ وَقُلُوبٍ قَدِ امْتَلأَتْ بِالْخُشُوعِ بَايَعَ الأَنْصَارُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

وَامْتَدَّتْ يَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ لِيُصَافِحَ رَسُولَ اللهِ وَيُبَايِعَهُ وَعِنْدَهَا أَحَسَّ بِحَرَارَةِ الإِيمانِ تَسْرِي فِي جَسَدِهِ، وَبِدِفْءِ الطَّاعَةِ يَمْلأُ قَلْبَهُ، وَمَلَّى نَاظِرَيْهِ مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَبَعْدَ الْبَيْعَةِ اخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً - أَيْ قَائِداً وَنَائِباً عَنْهُ - مِنَ الحَاضِرِينَ لِيَكُونُوا نُقَبَاءَ عَلَى قَوْمِهِمْ حَتَّى يَذْهَبَ هُوَ إِلى المدينةِ وَيُهَاجِرَ إِلَيْهَا، وَيَا لَشِدَّةِ السَّعَادَةِ حِينَ اخْتَارَ رَسُولُ اللهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ نَقِيباً عَلَى الْخَزْرَجِ، فَكَانَتْ بِدَايَتُهُ مَعَ الإِسْلامِ بِدَايَةً قَوِيَّةً وَانْطَلَقَ يَخْدمُ الإِسْلامَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

***

شَهِدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَعَارِكَ الإِسْلامِ كُلَّهَا حَتَّى غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، فَكَانَ فَارِساً شُجَاعاً مِقْدَاماً يَخْشَاهُ الْعَدُوُّ، وَكَثِيراً مَا ظَهَرَتْ بُطُولاتُهُ دَاخِلَ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ مُجَاهِداً وَغَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَاسْتَخْلَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المدينةِ حِينَ خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ بَدْرٍ الثَّانِيَةِ، فَحَلَّ عَبْدُ اللهِ مَحَلَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَأَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنَ السَّرايا فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، فَهَزَمَ الْيَهُودَ وَفَتَحَها.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ - رضي الله عنه - فِي جِهَادِهِ لا يَنْسَى طَاعَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ الصَّحابَةُ عَنْهُ: لَقَدْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي الْيَوْمِ الحَارِّ الشَّدِيدِ الحَرِّ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، وَمَا فِي الْقَوْمِ صَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ.

فَهُوَ الَّذِي يُشَارِكُ رَسُولَ اللهِ عِبادَتَهُ، لا يَشْعُرُ بِتِلْكَ الشَّمْسِ الَّتِي تَكَادُ تحرقُ وُجوهَ المسلمينَ.

وَلَكِنَّهُ يَشْعُرُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى رَاضٍ عَنْهُ، فَلا عَطَشَ وَلا جُوعَ وَلَكِنَّ رِضَا اللهِ نَعِيمٌ لَا يَزُولُ.

وَكَثِيراً مَا فَاضَتْ عَيْنُهُ بِالْبُكَاءِ خَوْفاً مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ مَرَّةً فَرَأَتْهُ يَبْكِي، فَبَكَتْ مَعَهُ.

فَقَالَ لَهَا: لِماذَا بَكَيْتِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَيْتُ مَعَكَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّما بَكَيْتُ لِأَنِّي عَرَفْتُ أَنِّي سأَمُرُّ عَلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَدْرِي هَلْ أَنْجُو مِنَ النَّارِ أَمْ لا؟

أَمَّا شِعْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّهُ وَيأْمُرُهُ أَنْ يُرَدِّدَهُ فِي حَضْرَتِهِ، فَهُوَ صَاحِبُ الأَبْياتِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي رَدَّدَهَا الصَّحَابَةُ فِي الْخَنْدَقِ وَعُمْرَةِ الْقَضَاءِ.

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إنْ لاَقَيْنَا
إنَّ الأُلَى(١) قَدْ بَغَوْا(٢) عَلَيْنَا إذا أَرادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا(٣)

وَهُوَ أَيْضاً صَاحِبُ الشِّعَارِ الشَّهِيرِ:

يَا نَفْسُ إلاَّ تُقْتَلِي تَمُوتِي هٰذا حِياضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ

وَهُوَ الَّذِي يُنَادِي فِي الكَافِرِينَ.

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبيلِهِ خَلُّوا، فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ

فِي الْعَامِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَدَ أَصْحَابِهِ رَسُولًا إلى مَلِكِ بُصْرَى لِيَدْعُوَهُ إلى الإِسْلامِ،

---

(١) **الأُلى**: الذين.

(٢) **بغوا**: ظلموا.

(٣) **أبينا**: رفضنا.

وَلَكِنَّ مَلِكَ بُصْرَى قَتَلَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ إِلَيْهِ، وَكَانَ قَتْلُ السُّفَرَاءِ جَرِيمَةً عُظْمَى، مِنْ أَجْلِ هَذَا جَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشاً عَظِيماً قِوَامُهُ ثَلاثَةُ آلافِ مُقَاتِلٍ.

وَقَبْلُ خُرُوجِ هَذَا الجَيْشِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمِيرُ النَّاسِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ المسلمونَ رَجُلًا مِنْهُمْ**».

وَخَرَجَ المسلمونَ يُوَدِّعُونَ هَذَا الْجَيْشَ فَقَالُوا: صَبَّحَكُمُ اللهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَلَكِنَّ السَّلامَةَ وَالْعَوْدَةَ لَيْسَتَا بِأَمَانِيِّ عَبْدِ اللهِ، وإِنَّما يَبْتَغِي الشَّهَادَةَ، وَالْموتَ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ، فَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[١]

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا[٢]

حَتَّى يُقَالَ إذا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[٣]

وَيَبْكِي عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَيَقُولُ أَحَدُ المسلمينَ لَهُ: تَبْكِي خَوْفاً مِنَ الموتِ؟

---

(١) يسأل اللّه المغفرة وضربة بسيف ليكون شهيدًا بعدها.

(٢) أو طعنة برمح أو حربة تنفذ في أحشائه وأمعائه وكبده.

(٣) فإذا مر الناس على جثته دعوا له بالرشد، وأن يتقبله اللّه شهيدًا.

فَقَالَ: لا، لَكِنِّي تَذَكَّرْتُ قَوْلَ اللهِ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

فَقَدْ نَبَّأَنِي اللهُ بِالمُرُورِ عَلَى النَّارِ، وَلَمْ يُخبِرْنِي أَنِّي لَنْ أَسْقُطَ فِيهَا.

وَوَصَلَ المسلمونَ إِلَى مُؤْتَةَ، فَعَرَفُوا أَنَّ هِرَقْلَ مَلِكَ الرُّوم قَدْ جَهَّزَ لَهُمْ جَيْشاً عَدَدُهُ مِائَةُ أَلْفِ رَجُلٍ، ثُمَّ انْضَمَّ إِلَى هَذَا الجَيْشِ مِائَةُ أَلْفٍ أُخْرَى.

فَصَارَ لِزَاماً عَلَى المسلمينَ أَنْ يُوَاجِهُوا جَيْشاً عَدَدُهُ مِائَتَا أَلْفِ مُقَاتِلٍ مُجَهَّزِينَ بِأَحْدَثِ الأَسْلِحَةِ فِي وَقْتِهَا.

وَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْحَرْبِ لِيَتَشَاوَرَ الْقُوَّادُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَرَأَى المسلمونَ أَنَّ هَذِهِ مَعْرَكَةٌ صَعْبَةٌ فَعَدَدُهُمْ ثَلاثَةُ آلافِ رَجُلٍ مَقَابِلَ مِائَتَيْ أَلْفٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَبْعَثُ إِلَى رَسُولِ اللهِ نُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا، فَيُرْسِلُ إِلَيْنَا مَدَداً.

وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ كَانَ لَهُ رَأْيٌ آخَرُ، فَإِنَّهُ خَرَجَ لِلشَّهَادَةِ، لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، فَقَامَ يُحَمِّسُ المسلمينَ وَيُشَجِّعُهُمْ فَقَالَ:

وَاللهِ يَا قَوْمُ إِنَّ الَّذِي تَكرَهُونَ هُوَ الَّذِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ: إِنَّهَا الشَّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلا قُوَّةٍ،

وَلا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ فَانْطَلِقُوا، فَإِنَّما هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا النَّصرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ.

وَوَجَدَتْ كَلِمَاتُ عَبْدِ اللهِ قَبُولًا فِي قُلُوبِ المسلمينَ فَصَاحُوا:

صَدَقَ وَاللهِ ابْنَ رَوَاحَةَ وَوَقَفَ ثَلاثَةُ آلافِ مُؤْمِنِ إِذَا أَرَادُوا تَحْرِيكَ الْجِبَالِ مِنْ مَكانِهَا لَفَعَلُوا، رَايَتُهُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَشِعَارُهُمْ:

الموتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَصِيَاحُهُمْ وَهُتَافُهُمْ: اللهُ أَكْبَرُ. وَوَقَفَ مِائَتَا أَلْفِ كافِرٍ يُرِيدُونَ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ، وَقَتْلَ أَوْلِيَائِهِ مِنَ المسلمينَ، وَالْتَحَمَ الْفَرِيقَانِ فِي مَعْرَكَةٍ قَدْ تَبْدُو لِلنَّاظِرِينَ غَيْرَ مُتَكَافِئَةٍ وَلَكِنَّ الإيمانَ حِينَ يَسْكُنُ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ الْعَجَبَ بِأَصْحَابِهِ، لَقَدِ اسْتَمَرَّ القِتَالُ حَامِياً حَتَّى سَقَطَ الشَّهِيدُ الأَوَّلُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ - رضي الله عنه -.

ثُمَّ سَقَطَ الْقَائِدُ الثَّانِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - بَعْدَ قِتَالٍ دَامٍ، وَكِفَاحٍ مَرِيرٍ.

وَاتَّجَهَتِ الأَنْظَارُ إلى عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ لِيَقُودَ المسلمينَ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمَلَ عَبْدُ اللهِ الرَّايَةَ.

وَلَمْ يَكُنْ قَدْ ذَاقَ طَعَاماً قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاثِ لَيَالٍ، فَجَاءَهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِقِطْعَةِ لَحْمٍ وَقَالَ لَهُ: كُلْ مِنْهَا، فَإِنَّكَ لَمْ تَأْكُلْ مُنْذُ ثَلاثٍ.

فَنَهَشَ عَبْدُ اللهِ نَهْشَةً مِنَ اللَّحْمِ ثُمَّ رَمَاهُ وَهُوَ يُرَدِّدُ:

يَا نَفْسُ إلاَّ تُقْتَلِي تَمُوتِي هٰذَا حِيَاضُ الْمَوتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ لَقِيتِ إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ[1]
وَإنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ

ثُمَّ قَالَ لِنَفْسِهِ: إلى أيِّ شَيْءٍ تَشْتَاقِينَ؟ إلى زَوْجَتِي فُلانَةَ؟ هِيَ طَالِقٌ. أَمْ إلى فلانٍ وَهُو عَبْدٌ لَهُ، أَمْ إِلَى بُسْتَانِي؟ كُلُّهُ للهِ وَلِرَسُولِهِ. ثُمَّ دَخَلَ غِمَارَ الْمَعْرَكَةِ يخوضها وهو يردد:

يا نَفْسُ مَا لَكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ أُقْسِمُ بِاللهِ لَتَنْزِلُنَّهْ
طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ قَدْ طَالَ مَا كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ
هَلْ أَنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ قَدْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ[2]

(١) يقصد أن يفعل مثلما فعل جعفر وزيد - رضي الله عنهما -.

(٢) يقصد اشتداد صياح الناس في المعركة.

وَتَحْتَ سَنابِكِ الخُيُولِ، وَفِي ظِلالِ السُّيُوفِ كانَ عَبْدُ اللهِ أَحَدَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا لَقُوا رَبَّهُمْ شُهَدَاءَ لِيَسْكُنُوا جَنَّاتِ النَّعِيم.

الدروس المستفادة

(١) المؤمنُ رقيقُ القَلْبِ، غَزِيرُ الدَّمْعَة.

(٢) تَذَكُّرُ القرآنِ الكريمِ في كلِّ وقتٍ والتَّفَكُّرُ في آياته.

(٣) عَدَمُ الانشغالِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

(٤) استغلالُ المواهِبِ في خِدْمَةِ الإسْلامِ.



أكمل الآتي: -

(١) كان عبد الله بن .... أحد .... الاثني عشر في بيعة .... الثانية.

(٢) وكان ....، مجاهداً، ... القلب، يحب .... ورسوله.

(٣) وكان القائد .... في معركة .... في العام .... الهجري.

ماذا تستفيد من قصة عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه -؟

من هو؟

(١) نقيب من نقباء الخزرج في العقبة الثانية وصام مع رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ؟

(٢) قائد المسلمين الأول في غزوة مُؤْتَة.

(٣) ملك كافر قاتل المسلمين في غزوة مُؤْتَة.

اكتب بيتاً من أشعار عبد الله بن رواحة.



* رواحة، النقباء، العقبة، شاعراً، رقيق، الله، الثالث، مؤتة، الثامن.

* عبد الله بن رواحة، زيد بن حارثة، هرقل ملك الروم.

سيرة مصعب بن عمير - رضي الله عنه -

بَنُو عَبْدِ الدَّارِ حَمَلَةُ لِوَاءِ قُرَيْشٍ فِي مَعَارِكِهَا، وَالأَغْنِيَاءُ بِشَبَابِهِمْ وَأَموالِهِمْ، لَمْ يَعْرِفُوا فَتًى أَغْنَى وَلا أَنْعَمَ مِنْهُ، فَكَانُوا يَتَفَاخَرُونَ بِهِ وَبِسَبْقِهِ لِلْجَمِيعِ.

فَكَانَ شَامَةً أَحبَّتِ الْحَيَاةَ، وَزَهْرَةً تَنَفَّسَتْ رَوَائِحَ الْعَبِيرِ، إِنَّهُ (مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْعَبْدَرِيُّ)، فَتَى مَكَّةَ، وَفَتَى قُرَيْشٍ الْمُنَعَّمُ الَّذِي كَانَتْ تُشَمُّ رَائِحَتُهُ مِنْ أَمْيَالٍ بَعِيدَةٍ.

حَتَّى كَانَ عِطْرُهُ الَّذِي يَضَعُهُ لَا يُشَارِكُهُ غَيْرُهُ فِيهِ، فَمَا مِنْ فَتَاةٍ فِي قُرَيْشٍ إِلَّا تَمَنَّتْهُ زَوْجاً لَهَا، وَمَا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا تَمَنَّى صَدَاقَتَهُ.

وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتِ المَلامِحُ، وَانْقَلَبَتِ الْحَيَاةُ، لَقَدْ طَالَ صَمْتُ مُصْعَبٍ، وَسُكُوتُهُ، وَرَأَتْهُ أُمُّهُ الَّتِي كَانَتْ تَعْتَنِي بِهِ، وَتُدَلِّلُهُ، وَتُغْدِقُ عَلَيْهِ المالَ، وَتَخُصُّهُ عَنْ غَيْرِهِ بِجَنَانِهَا، لَكِنَّهَا تَرَاهُ الآنَ قَدْ تَغَيَّرَ تَمَاماً فَذَهَبَتْ إِلَى أَبِيهِ كَأَنَّهَا تَقُولُ لَهُ:

صَغِيرُنَا يَا عُمَيْرُ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيراً، لَعَلَّهُ يُحِبُّ. فَقَامَ

عُمَيْرٌ يُدَاعِبُ وَلَدَهُ وَيَقُولُ لَهُ:

هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا مُصْعَبُ، لَوْ أَنَّ مَنْ تُحِبُّهَا تُقِيمُ فِي الْقَمَرِ، لَوْ أَنَّ دَارَها بَعِيدَةُ السَّفَرِ، لَوْ كَانَتْ تُقِيمُ فِي جَنَاحِ طَائِرٍ لَجِئْتُكَ بِهَا إِذَا أَمَرْتَنِي.

وَضَحِكَ الْأَبُ وَالأُمُّ، إِلَّا أَنَّ مُصْعَباً - رضي الله عنه - ظَلَّ صَامِتاً، حَتَّى انْكَشَفَ سِرُّهُ لِلْجَمِيعِ.

لَقَدْ أَسْلَمَ مُصْعَبٌ - رضي الله عنه - حِينَ ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ فِي دَارِ الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ وَكَتَمَ إِسْلامَهُ، إِلَّا أَنَّ مَكَّةَ لا يَخْتَبِئُ فِيهَا سِرٌّ، فَقَدْ عَلِمَ الْجَمِيعُ بِإِسْلامِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، لِتَبْدَأَ حَيَاةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَجْلِ رِفْعَةِ هَذَا الدِّينِ.

***

كَانَ مُصْعَبٌ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَكَثِيراً مَا وَجَدَ فِي كَلِمَاتِ رَسُولِ اللهِ الحَيَاةَ لِقَلْبِهِ، وَالنُّورَ لِعَيْنَيْهِ، فَكَأَنَّمَا حَرَّرَ قَلْبَهُ مِنْ رِقِّ الْكُفْرِ إِلَى عَدَالَةِ الإِسْلامِ.

وَسَكَنَ الإِيمانُ قَلْبَ مُصْعَبٍ، وَفِي مَكَّةَ أَعْلَنَتْ أُمُّهُ غَضَبَهَا عَلَيْهِ، فَحَبَسَتْهُ، وَأَغْلَقَتِ الدَّارَ عَلَيْهِ، وَمَنَعَتِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عَنْهُ.

فَقَدْ كَانَتْ أُمُّهُ [خُنَاسُ] ذَاتَ شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَأَمْرٍ نَافِذٍ، وَعَاوَنَهَا فِي ذَلِكَ أَهْلُ مُصْعَبٍ جَمِيعاً، وَالَّذِينَ كَانُوا ضِدَّ الإِسْلامِ وَضِدَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّ هَذَا وَمُصْعَبٌ ثَابِتٌ ثَبَاتَ الْجِبَالِ فِي مَكَانِهَا، صَابِرٌ عَلَى الإِيذَاءِ.

وَظَلَّ - رضي الله عنه - حَبِيسَ دَارِ أُمِّهِ، حَتَّى اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ، وَالْهِجْرَةَ إِلَى الْحَبَشَةِ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى.

وَعَادَ مُصْعَبٌ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَكَّةَ حِينَ عَلِمَ كَبَقِيَّةِ إِخْوَانِهِ بِإِسْلامِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ خَبَراً مَكْذُوباً، وَنَبَأً مَزْعُوماً، وَعَادَتْ أُمُّهُ تَحْبِسُهُ تَارَةً أُخْرَى وَهُوَ يَدْعُوهَا لِلإِيمَانِ، وَيَدْعُوهَا إِلَى تَسْبِيحِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَكِنَّهَا رَضِيَتِ الْكُفْرَ، وَمَنَعَتْ عَنْ مُصْعَبٍ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ثُمَّ مَنَعَتْهُ النَّفَقَةَ وَالمالَ.

أَمَّا مُصْعَبٌ فَقَدْ رَضِيَ بِالإِسْلامِ حَظًّا وَنَصِيباً، وَرَضِيَ بِهِ غَنِيمَةً وَمَكْسَباً، وَتَحَرَّكَ مُصْعَبٌ مَرَّةً أُخْرَى لِلْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَسَاعَتَهَا لَمْ تَكْتُمْ عَيْنُهُ دَمْعَهَا وَهُوَ يُوَدِّعُ أُمَّهُ، كَأَنَّمَا لِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: لَبَّيْكَ يا حَبِيبُ، لَبَّيْكَ يا حَبِيبُ.

وَغَيَّرَ الإِسْلامُ مُصْعَباً فَجَعَلَ مِنْهُ زَاهِداً لا غَرَضَ لَهُ

فِي زِينَةِ الْحَيَاةِ، وَانْشَغَلَ بِالْقُرْآنِ، فَحَفِظَ كُلَّ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَكَانَ يَلْزَمُ النَّبِيَّ ﷺ لا يُفَارِقُهُ حَتَّى صَارَ أَحْفَظَ المهاجِرِينَ بَعْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَكَانَ المسلمونَ يُسَمُّونَهُ [الْمُقْرِئَ].

إِلَى أَنْ جَاءَتِ الْمُهِمَّةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا إِلَّا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ - رضي الله عنه - .

***

يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُقْبِلًا عَلَيْهِ، وَقَدْ لبس إِهَابَ[1] كَبْشٍ قَدْ لَبِسَهُ لِيُغَطِّيَ بِهِ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

«انْظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يَغْذُوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَدَعَاهُ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ».

كَانَ هذَا هُوَ رَأْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مُصْعَبٍ [رَجُلٌ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ]، فَأَرَادَ أَنْ يُنِيرَ بِهِ الْقُلُوبَ الأُخْرَى الَّتِي تَعَطَّشَتْ لِنُورِ الإِيمانِ.

(١) جلد الكبش بدون دباغة.

فَلَمَّا حَضَرَ الأَنْصارُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الأُولَى وَبَايَعُو النَّبِيَّ ﷺ، طَلَبُوا مِنْهُ رَجُلًا يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْراً مِنْ مُصْعَبٍ لِيُرْسِلَهُ إِلَيْهِمْ.

فَذَهَبَ مُصْعَبٌ إِلَى المدينةِ يَبُثُّ الإِسْلام فِيهَا، فَيَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَى أَسْمَاعِ أَهْلِهَا، وَيُعَرِّفُهُمُ الإِسْلَامَ كَما عَرَفَهُ هُوَ.

حَتَّى أَنَّ دِيارَ الأنصَارِ كُلِّهَا دَخَلَهَا الإِسْلامُ فَتَكَسَّرَتِ الأَصْنَامُ وَتَهَاوَتْ، وَعَلَى عَكْسِ المسلمينَ فِي مَكَّةَ كَانَ أَهْلُ الإِسْلامِ في المدينةِ فِي عِزٍّ وَكَرَامَةٍ.

وَكَانَ عَدَدُ المسلمينَ أَكْثَرَ مِنَ المشركينَ، وَبِذَلِكَ صَارَتِ المدينة مُمَهَّدَةً لاسْتِقْبالِ النَّبِيِّ ﷺ بِفَضْلِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ أَوَّلِ سَفِيرٍ في الإِسْلامِ.

وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ قِصَصِ مُصْعَبٍ فِي المدينةِ تُرِي كَيْفَ كانَ يَدعُو إِلَى اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

جَلَسَ مُصْعَبٌ يُعَلِّمُ المسلمينَ الجُدُدَ دِينَهم وَيَتْلُو عَلَيْهِمُ القُرْآنَ فِي دَارِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ أَحَدِ المُبَايِعِينَ فِي الْعَقَبَةِ الأُولى.

وَكَانَ مَجْلِسُهُ هَذِهِ المَرَّةَ عَلَى بِئْرٍ تُسَمَّى (مَرق)،

وَهَذِهِ البِئْرُ فِي دِيارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ المدينةِ، وَسَمِعَ سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ وَكَانَ أَحَدَ سَادَاتِ المدينةِ بِمَا يَقُولُهُ مُصْعَبٌ.

فَقَالَ لِصَدِيقِهِ - وَكَانَ لَمْ يَزَلْ كَافِراً وَهُوَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ:

اذْهَبْ إِلَى هَذَيْنِ - مُصْعَبٍ وَأَسْعَدَ - فَازْجُرْهُمَا(١) وَانْهَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا دِيارَنَا فَإِنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلْتُهُ.

وَجَاءَ أُسَيْدٌ وَمَعَهُ حَرْبَتُهُ، فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدُ أُسَيْداً قَالَ لِمُصْعَبٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ فَاصْدُقِ اللهَ فِيهِ، فَقَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ. وَجَاءَ أُسَيْدٌ يَسُبُّ مُصْعَباً، وَأَسْعَدَ ثُمَّ قَالَ:

مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا؟ اخْرُجَا مِنْ دِيارِنَا - دِيارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ.

فَقَالَ مُصْعَبٌ: اجْلِسْ فَاسْمَعْ، فَإِنْ رَضِيتَ قَبِلْتَ مَا نَقُولُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ قُمْنَا. فَقَالَ أُسَيْدٌ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ يَسْتَمِعُ لِمُصْعَبٍ وَهُوَ يَتْلُو القُرْآنَ.

---

(١) انههما.

فَقَالَ الصَّحَابَةُ: وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِ أُسَيْدٍ الإِسْلامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.

فَقَالَ أُسَيْدٌ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ، كَيْفَ أَفْعَلُ إِذَا أَرَدتُ الدُّخُولَ فِي هَذَا الدِّينِ؟

فَقَالَ مُصْعَبٌ: اغْتَسِلْ وَطَهِّرْ ثَوْبَكَ، وَاشْهَدْ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَجَاءَ أُسَيْدٌ سَرِيعاً بَعْدَ أَنِ اغْتَسَلَ وَتَطَهَّرَ، ثُمَّ عَلَا صَوْتُهُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَوَصَلُ أُسَيْدٌ إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِ.

فَقَالُوا: نَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ جَاءَ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، لِأَنَّ وَجْهَهُ قَدْ عَادَ مُتَهَلِّلًا مُشْرِقاً سَطَعَ فِيهِ نُورُ الإِيمانِ.

وَقَالَ سَعْدٌ لِأَسَيْدٍ: مَاذا فَعَلْتَ؟

فَقَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ. فَقَالا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ.

وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ فَقَامَ سَعْدٌ سَرِيعاً وَمَعَهُ حَرْبَتُهُ، حَتَّى لا يُقْتَلَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ابْنُ خَالَتِهِ.

فَلَمَّا رَأَى سَعْدٌ مُصْعباً وَأَسْعَدَ مُطْمِئَنَّيْنِ عَرَفَ أَنَّما

أَرَادَ أُسَيْدٌ أَنْ يَسْتَمِعُ هُوَ الآخَرُ إِلَى كَلامِ مُصْعَبٍ.

وَقَالَ سَعْدٌ لِأَسْعَدَ. وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ ابْنُ خَالَتِي لَقَتَلْتُكَ بِهَذِهِ الْحَرْبَةِ، اخْرُجَا مِنْ دِيَارِنَا، فَقَالَ مصْعَبٌ لِسَعْدٍ: اجْلِسْ وَاسْمَعْ مَا نَقُولُ، فَإِنْ كَرِهتَهُ انْصَرَفْنَا.

وَقَرَأَ مُصْعَبٌ آياتِ اللهِ، فَإِذَا بالإيمانِ يَغْزُو قَلْبَ سَعْدٍ وَيُعْلِنُهَا هُوَ الآخَرُ:

لا إِلٰهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ثُمَّ عَادَ إِلَى قَوْمِهِ يَقُولُ لَهُمْ: يَا بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَنِي فِيكُمْ؟

قَالُوا: سَيِّدُنا وَأَفْضَلُنَا.

فَقَالَ سَعْدٌ: فَإِنَّ كَلامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَمَا أَمْسَى الْقَوْمُ إِلَّا وَقَدْ شَهِدُوا أَنْ لا إِلٰهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَهَكَذَا عَادَ مُصْعَبٌ بِسَبْعِينَ رَجُلًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا سَبْعَةً أَوَّلَ عَامٍ.

فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَّا وَيَعْرِفُ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ فَضْلَهُ، فَقَدْ دَخَلَ الإِسْلامُ المدينةَ عَلَى يَدَيْهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى الجُمُعَةَ فِي المدينةِ.

وَشَارَكَ مُصْعَبٌ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَحَمَلَ لِوَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَهَا، وَكَانَ أَخُوهُ ضِمْنَ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَرَّ عَلَيْهِ مُصْعَبٌ فَقَالَ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي أَسَرَهُ: اشْدُدْ وِثَاقَهُ، وَأَحْكِمْ رِبَاطَهُ فإِنَّ لَهُ أُمّاً غَنِيَّةً. فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ مُسْتَنْكِراً، فَقَالَ: أَنْتَ أَخِي وَتَقُولُ هَذَا؟

فَقَالَ مُصْعَبٌ - رضي الله عنه - : بَلْ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى الْمُسْلِمِ - أَخِي؟

أَبِي الإِسلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

وَخَرَجَ مُصْعَبٌ - رضي الله عنه - يَحْمِلُ اللِّوَاءَ ثَانِيَةً فِي أُحُدٍ، وَلَما انْكَشَفَ المسلمونَ ثَبَتَ مُصْعَبٌ وَهُوَ يَحْمِلُ لِوَاءَ رَسُولِ اللهِ وَيَقُولُ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المشْرِكِينَ اسْمُهُ [ابْنُ قَمِئَةَ] فَضَرَبَهُ عَلَى يَمِينِهِ فَقَطَعَهَا، فَحَمَلَ مُصْعَبٌ اللِّوَاءَ بِيُسْرَاهُ.

وهو يردد: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فَضَرَبَهُ ابْنُ قَمِئَةَ عَلَى يُسْرَاهُ فَقَطَعَهَا، فَحَمَلَ مُصْعَبٌ اللِّوَاءَ وَضَمَّهُ بِعَضُدَيْهِ يَحْبُو بِهِ إِلَى صَدْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فَانْهَالَ عَلَيْهِ الكافِرُ ضَرْباً حَتَّى قَتَلَهُ فَمَاتَ شَهِيداً.

وَكَانَ مُصْعَبٌ رَقِيقَ الْبَشَرَةِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلا الْقَصِيرِ، وَفِي آخِرِ النَّهارِ، رَأَى رَسُولُ اللهِ رَجُلاً عَلَى هَيْئَةِ مُصْعَبٍ يَحْمِلُ اللِّوَاءَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَقَدَّمْ يَا مُصْعَبُ».

فَقَالَ: لَستُ بِمُصْعَبٍ فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ أَنَّهُ مَلَكٌ أَيَّدَهُ اللهُ بِهِ. وَرَأَى رَسُولُ اللهِ مُصْعَباً مَقْتُولاً فَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وَحِينَمَا أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ دَفْنَ مُصْعَبٍ لَمْ يَجِدُوا سِوَى ثَوْبٍ قَصِيرٍ، إذَا غَطَّوْا رَأْسَهُ انْكَشَفَ قَدَمُهُ، وَإِذَا غَطَّوْا قَدَمَهُ انْكَشَفَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَطُّوا رَأْسَهُ وَضَعُوا الإِذْخِرَ(١) عَلَى رِجلَيْهِ».

وَهٰكَذَا خَرَجَ مُصْعَبٌ مِنْ دُنْيَاهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْزِلُ القُرْآنُ بما كانَ يَنْطِقُ هُوَ بِهِ: ﴿وَمَا

(١) نبات معروف في مكّة وغيرها من بلاد الجزيرة العربية.

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

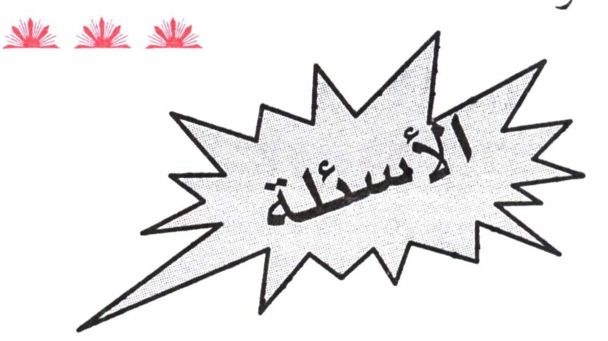
الدروس المستفادة

(١) التَّضْحِيَةُ فِي سَبِيلِ الله بِكُلِّ ما نَمْلِكُ.

(٢) لا طَاعَةَ لِمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالقِ.

(٣) الدَّعْوَةُ إلَى اللهِ وَنَشْرُ الإسْلامِ.

(٤) الْقَوْلَ الْحَسَنُ وَاللِّينُ لِلْعُصَاةِ حَتَّى يَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ.



من هو؟

(١) استضاف مصعب بن عمير في داره وهو ينشر الإسلام في المدينة.

(٢) رجل أراد قتل مصعب بن عمير في المدينة لكنه أسلم، فأسلم قومه جميعاً.

(٣) أول من صلى الجمعة بالمسلمين في المدينة.

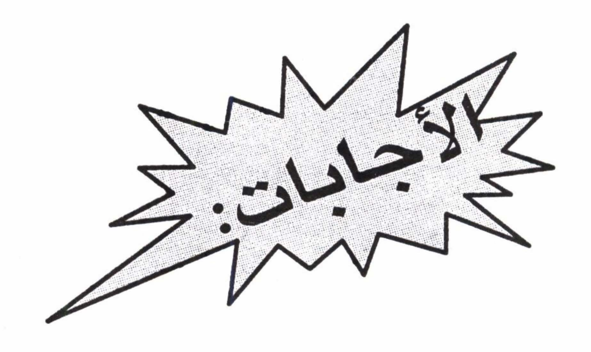
اختر الصحيح من بين الأقواس: -

* كان مصعب بن عمير أول ..... في الإسلام [وزير - سفير - خفير].

* عذبت ..... أم مصعب ولدها ومنعت عنه الطعام [خناس - أناس - جناس].

* كان استشهاد مصعب في غزوة ... [بدر - مؤتة - أحد].

لو رأيت مصعب بن عمير قبل إسلامه، ثم بعد إسلامه، فكيف تتصوره؟



* أسعد بن زرارة، سعد بن معاذ، مصعب بن عمير.

* سفير، خناس، أُحد.

سيرة جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-

كَانَ فَتْحُ خَيْبَرَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْراً مُبِيناً، فَقَدْ طَهَّرَ اللهُ المدينةَ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَتْ خَيْبَرُ قَرْيَةً مَلِيئَةً بِالْخَيْرَاتِ وَالأَمْوَالِ، فَرَزَقَ اللهُ المسلمينَ مِنْهَا مَغَانِمَ كَثِيرَةً وَأَمْوَالًا وَفِيرَةً حَتَّى صَارُوا أَغْنِيَاءَ بَعْدَهَا.

وَعَقِبَ فَتْحِ خَيْبَرَ مُبَاشَرَةً وَصَلَ إِلَى المَدِينَةِ رَجُلٌ رَحَّبَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَوَّى بَيْنَ قُدُومِهِ وَبَيْنَ فَتْحِ خَيْبَرَ، فَكَأَنَّمَا صَارَ قُدُومُهُ وَفَتْحُ خَيْبَرَ شَيْئاً وَاحِداً، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ**»؟

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هُوَ إِذَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي فَرِحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَقْدَمِهِ وَعَوْدَتِهِ إِلَى المدينةِ، وَلِجَعْفَرٍ - رضي الله عنه - مَآثِرُ وَفَضَائِلُ عَدِيدَةٌ، وَلَهُ قِصَّةٌ رَائِعَةٌ انْتَهَتْ بِشَهَادَتِهِ - رضي الله عنه - وَمَوْتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

هُوَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَيْ أَنَّهُ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمَّا كَبِرَتْ سِنُّ أَبِي طَالِبٍ، وَأَرْهَقَتْهُ السِّنُونُ وَصَارَ كَثِيرَ العِيَالِ اخْتَارَ رَسُولُ اللهِ عَلِيًّا لِيَكْفُلَهُ.

وَأَمَّا جَعْفَرٌ فَقَدْ وَقَعَ فِي كَفَالَةِ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ جَعْفَرٌ أَشْبَهَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَأَنَا وَجَعْفَرٌ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ»**.

وَنِعْمَ الرَّجُلُ كَانَ جَعْفَرٌ - رضي الله عنه - فَأَسْلَمَ مُبَكِّراً فِي مَكَّةَ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - .

وَشَارَكَتْهُ عَنَاءَ الْحَيَاةِ وَتَحَمُّلَ الأَذَى زَوْجَتُهُ المؤمِنَةُ (أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ) الَّتِي صَارَتْ بَعْدَ مَوْتِ جَعْفَرٍ زَوْجَةً لأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ، فَتَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ - رضي الله عنه - ، فَكَانَتْ نِعْمَ الزَّوْجَةُ - رضي الله عنها - لِخَيْرِ النَّاسِ. وَصَمَّمَ أَبُو طَالِبٍ عَلَى حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ وَلَدَيْهِ عَلِيًّا وَجَعْفَراً أَنْ يَكُونَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ يُصَلِّي وَهُمَا كَالْجَنَاحَيْنِ لَهُ، عَلِيٌّ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ، وَجَعْفَرٌ نَاحِيَةَ الشِّمَالِ.

وَكَانَتْ مَكَّةُ كَالسِّجْنِ للمسلمينَ وَقْتَهَا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَحَابَتَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْحَبَشَةِ، بَحْثاً عَنِ الأَمَانِ هُنَاكَ.

وَبَعِيداً عَنْ أَعْيُنِ المشركينَ وَأَذَاهُمْ، لِيَبْزُغَ نَجْمُ جَعْفَرٍ فِي الْحَبَشَةِ، وَيَكْفِيكَ أَنْ تَسْمَعَ لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ

- رضي الله عنه - يَحْكِي قُوَّةَ الإيمانِ فِي قَلْبِ جَعْفَرٍ.

وَكَيْفَ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ فَقَالَ: مَا رَكِبَ المطايا، وَلَا احْتَذَى النِّعَالَ أَحَدٌ بَعْــدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَآلِهِ أَفْضَلَ مِنْ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهَكَذَا كَانَ جَعْفَرٌ - رضي الله عنه - خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ.

وَكَانَ مُحبّاً لِلْمَسَاكِينِ يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ حَتَّى سَمَّاهُ النَّبِيُ ﷺ أَبَا المساكينِ لِشِدَّةِ حُبِّهِ لَهُمْ، وَكَثْرَةِ جُلُوسِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ أَمْرَ جَعْفَرٍ فِي الْحَبَشَةِ وَقِصَّتَهُ كَانَتْ أَرْوَعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

***

طَمِعَ المسلمونَ فِي عَدْلِ النَّجَاشِيِّ - مَلِكِ الحَبَشَةِ - فَهَاجَرُوا إِلَى أَرْضِهِ بَحْثاً عَنِ الْحُرِّيَّةِ وَالأَمانِ.

وَكَانَ النّجَاشِيُّ رَجُلَ المَوْقِفِ بِحَقٍّ، فَقَدْ تَرَكَ لَهُمْ حُرِّيَّةَ العِبادَةِ فِي أَرْضِهِ، وَأَحَسَّتْ قُرَيْشٌ بالإِهَانَةِ فَأَرْسَلَتْ وَرَاءَ المهاجِرِينَ عَمْرَو بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللهِ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ لِيعِيدُوهُمْ مُكَبَّلِينَ بِالْقُيُودِ.

وَحَمَلَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ مَعَهُ الْهَدَايا الثَّمِينَةَ لِلنَّجَاشِيِّ، وَبَطَارِقَتِهِ، وَحَاشِيَتِهِ كَنَوْعٍ مِنْ أَنْواعِ الرِّشْوَةِ حَتَّى يَظْفَرَ بِمَا أَرَادَ، وَبِالْفِعْلِ قَدَّمَ عَمْرٌو الْهَدَايا إِلَى

الْبَطَارِقَةِ لِيَكُونُوا لَهُ عَوْناً عَلَى النَّجَاشِيِّ فَيُكَلِّمُوهُ.

وَاسْتَطَاعَ عَمْرٌو بِدَهَائِهِ أَنْ يَجْذِبَ البَطَارِقَةَ إِلَيْهِ، وَحَدَّدُوا لَهُ مَوْعِداً مَعَ النَّجَاشِيِّ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِ.

وَأَذِنَ النَّجَاشِيُّ لِعَمْرٍو بِالدُّخُولِ فَقَالَ عَمْرٌو:

أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلى بِلَادِكَ غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، بَلِ اتَّبَعُوا دِيناً جَدِيداً، وَقَدْ أَرْسَلَنَا قَوْمُهُمْ وَشُرَفَاؤُهُمْ، وَآبَاؤُهُمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ لِيُؤَدِّبُوهُمْ، وَقَالَ الْبَطَارِقَةُ: صَدَقَ الرَّجُلُ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِ.

وَلَكِنَّ عَدْلَ النَّجَاشِيِّ جَعَلَهُ يَغْضَبُ وَيَقُولُ:

قَوْمٌ نَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى غَيْرِي، مِنَ الْعَدْلِ أَنْ أَسْأَلَهُمْ أَوَّلًا فَإِنْ كَانُوا كَمَا قَالَ الرَّجُلُ أَسْلَمْتُهُمْ، وَإِلَّا أَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ لِيَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: لا يَتَكَلَّمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ، أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ، وَذَهَبَ المسلمونَ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُمُ الْبَطَارِقَةُ: اسْجُدُوا لِلْمَلِكِ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: لَا نَسْجُدُ إِلَّا للهِ.

ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلا دِينِ آخَرَ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ؟

وَهُنَا يَلْتَقِطُ جَعْفَرٌ طَرَفَ الْحَدِيثِ، وَيَسْتَعِينُ بِاللهِ ثُمَّ يَقُولُ وَاصِفاً حَالَةَ المسلمينَ قَبْلَ الإِسْلامِ وَبَعْدَهُ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ.

فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُهُ، وَنَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤنا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ.

وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَكَفِّ المحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَمَرَنا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَام فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَعَبَدْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً.

وَحَرَّمْنَا مَا حَرَمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، فَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ: اقْرَأْهُ عَلَيَّ.

فَقَرَأَ جَعْفَرٌ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، فَبَكَى النَّجَاشِيُّ، وَبَكَتِ الْبَطَارِقَةُ حَتَّى سَالَ دَمْعُهُمْ عَلَى لِحَاهُمْ.

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَرَفِيقِهِ فَقَالَ لَهُمَا: لا وَاللهِ لا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَداً.

وَهَكَذَا تَحَطَّمَتْ جُهُودُ عَمْرٍو عَلَى صَخْرَةِ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - ، وَلَكِنَّ عَمْراً عَادَ إِلَى

النَّجَاشِيِّ فِي الْيَوْم التَّالِي بِأَمْرٍ ظَنَّ مِنْ خِلالِهِ أَنَّهُ سَيُعِيدُ المسلمينَ إِلَى مَكَّةَ.

فَقَالَ للنَّجاشِيِّ: إِنَّ هَؤلاءِ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيماً.

فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جعْفرٍ لِيَسْأَلَهُ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَاقِفاً بِالبابِ، فَقَالَ عَمْرٌو لِلْحَارِسِ: ائْذَنْ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

فَقَالَ جَعْفَرٌ: ائْذَنْ لِحِزْبِ اللهِ. ثُمَّ دَخَلَ جَعْفَرٌ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَقَالَ لَهُ: مَاذا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْراءِ الْبَتُولِ.

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: هَذَا وَاللهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ فِي أَرْضِي لا يَمَسُّكُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، وَنَعِمَ المسلمونَ بِالْحُرِّيَّةِ وَالْأَمْنِ فِي بِلادِ الْحَبَشَةِ بِبَرَكَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بِفَضْلِ جَعْفَرٍ - رضي الله عنه -.

* * *

وأَخَذَ جَعْفَراً الْحَنِينُ إِلَى رَسُولِ اللهِ، فَعَادَ سَرِيعاً إِلى المدينةِ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ مُبَاشَرَةً، حَتَّى

سُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ**»؟

وَلَكِنَّ إِقَامَةَ جَعْفَرٍ بِالمدينةِ لَمْ تَطُلْ، فَقَدْ خَرَجَ لِغَزْوِ الرُّومِ فِي مَعْرَكَةِ مُؤْتَةَ مِنَ الْعَامِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجَيْشِهِ: «**أَمِيرُ النَّاسِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ فَعَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ المسلمونَ رَجُلًا مِنْهُمْ**».

وَبَدَأَتْ (مُؤْتَةُ). مائَتَا أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ فِي مُوَاجَهَةِ ثَلاثَةِ آلاف منَ المسلمينَ، وَاحْتَدَمَ الْقِتَالُ، وَحَمِيَ الْوَطِيسُ، وَسَقَطَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ شَهِيداً بَعْدَ قِتَالٍ وَجِهَادٍ، فَحَمَلَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ - رضي الله عنه - وَهُوَ يَرْتَجِزُ قَائِلًا:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا ... طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا ... كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذَا لاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

وَحَمَلَ الرَّايَةَ بِيَمِينِهِ فَقَطَعَهَا أَحَدُ المشركينَ، فَحَمَلَهَا بِشِمَالِهِ فَحَمَلَ الرَّجُلُ عَلَيْهِ فَقَطَعَهَا، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ بِعَضُدَيْهِ، فَجَاؤوا إِلَيْهِ وَقَتَلُوهُ شَهِيداً بِجِوَارِ زَيْدٍ - رضي الله عنه -، وَفِي جَسَدِهِ سَبْعُونَ طَعْنَةً كُلُّهَا فِي

صَدْرِهِ، لَيْسَ فِي ظَهْرِهِ مِنْهَا شَيْءٌ وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ.

وَقَبْلَ عَوْدَةِ المسلمينَ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْكِي وَعَيْنُهُ تَدْمَعُ فَقَالَ: «**حَمَلَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ حَمَلَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ**».

وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هٰذِهِ الْمَعْرَكَةِ، فَخَرَجَ النَّاسُ يَسْتَقْبِلُونَهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِمْ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ تَرَكُوا جُثَّتَهُ هُنَاكَ فِي مُؤْتَةَ لِيَكُونَ بِجِوَارِ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ شَاهِداً عَلَى أَنَّ جِهَادَ المسلمينَ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الأَرْضِ.

وَإِذَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَعْطُونِي وَلَدَ جَعْفَرٍ، وَاصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً**» وَبَكَتِ المدينةُ كُلُّها مَوْتَ جَعْفَرٍ.

حَتَّى خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي الْيَوْمَ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ لَهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ يَشَاءُ**» فَسُمِّي جَعْفَرٌ الشَّهِيدَ الطَّيَّار. وَسُمِّيَ ذَا الْجَنَاحَيْنِ - رضي الله عنه - وَأَرْضَاهُ.

الدروس المستفادة

(١) المؤمنُ ذَكِيٌّ قادرٌ على مُوَاجَهَةِ المواقفِ الصَّعْبَةِ.

(٢) تَحَمُّلُ الأَذَى في سَبيل اللهِ تعَالى.

(٣) الجهادُ في سبيلِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ.

(٤) الشَّجاعةُ والبُطولَةُ مِنْ صفاتِ المؤمنينَ.

الأسئلة

* اذكر قصَّةَ موتِ جعفرٍ بأسلوبك الخاص.

أكمل الآتي: -

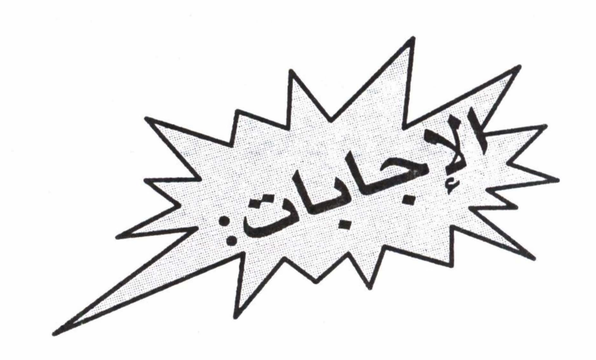
* جعفر بن أبي طالب هو أبو . . . . وهو الشهيد . . . . . . وهو ذو . . . . أسلم قديماً بـ. . . . ومعه زوجته . . . . بنت . . . . التي تزوجت من . . . بعد موت جعفر، فلما مات تزوجت . . . . - رضي الله عنه - .

من هو؟

(١) ملك عادل طمع المسلمون في عدله فهاجروا إلى أرضه؟

(٢) أرسله الكُفَّار وراء المهاجرين إلى الحَبَشَةِ لاستردادهم؟

(٣) أمير المؤمنين في الحبشة والمتحدِّث بلسانهم؟



* المساكين، الطَّيّار، الجناحين، مكة، أسماء، عُمَيْس، أبي بكر الصديق، علي بن أبي طالب.

* النجاشي، عمرو بن العاص، جعفر بن أبي طالب.

سيرة بلال بن رباح - رضي الله عنه -

تَعُودُ بِنَا الذِّكْرَيَاتُ لِلزَّمَنِ الْأَوَّلِ فِي الإسْلام نَتَذَكَّرُ سِيرَةَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ الْقِسْطِ الْوَافِرِ مِنَ الْأَذَى وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي مَكَّةَ.

وَعَلَى رِمَالِ مَكَّةَ السَّاخِنَةِ، وَتَحْتَ حَرَارَةِ شَمْسِهَا الْمُلْتَهِبَةِ، وَأَمَامَ رِيحِهَا الْهَائِجَةِ كَانَ بِلالُ بْنُ رَبَاح يَتَحَمَّلُ الْعَذَابَ رَاضِياً مُطْمَئِنًّا، فَتَحَوَّلَتْ سِيَاطُ الْكُفَّارِ إِلَى قُوَّةٍ إيمانِيَّةٍ تَجْذِبُهُ إِلَى هَذَا الدِّينِ.

وَتَحَوَّلَتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ بِحُرْقَتِهَا إِلى مَاءٍ عَذْبٍ يَرْوِي قَلْبَ بِلالٍ الظَّمآنَ إِلى الجَنَّةِ، وتَحَوَّلَ الجُوعُ إِلى شِبَعٍ، فَاحْتَارَ الْمُشْرِكُونَ كَيْفَ يُعَذِّبُونَ هَذَا الْعَبْدَ الْحَبَشِيَّ الَّذِي صَارَ سَيِّداً بإيمانِهِ.

كَانَ بِلالُ بْنُ رَبَاحٍ عَبْداً حَبَشِيًّا أَسْوَدَ، أُمُّهُ تُسَمَّى (حَمَامَةُ).

وَفِي مَكَّةَ كَانَ الإنْسَانُ سِلْعَةً تُبَاعُ وَتُشْتَرَى قَبْلَ أَنْ يَسْتَظِلَّ الجَمِيعُ تَحْتَ رَايَةِ الإسْلامِ.

كَانَ مَالِكُهُ وَسَيِّدُهُ هُوَ (أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ الجُمَحِيُّ)، أَحَدُ تُجَّارِ مَكَّةَ الأَثْرِيَاءِ، وَالشَّخْصِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْظَى

بِالْهَيْبَةِ دَاخِلَ نُفُوسِ الْمَكِّيِّينَ مِنْ قُرَيْشٍ.

وَكَانَ بِلالٌ فِي خِدْمَةِ أَمَيَّةَ، وَكَانَ أُمَيَّةُ يُتَاجِرُ فَيَصْطَحِبُ مَعَهُ بِلالًا فِي رَحَلاتِهِ، وَجَعَلَهُ خَازِناً لِلْمَالِ وَعُرِفَ بِلالٌ بِحَلاوَةِ صَوْتِهِ بَيْنَ الْعَبِيدِ فِي مَكَّةَ.

وَسَمِعَ بِلالٌ بِبِعْثَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ مُسْرِعاً إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ، وَعرَفَ بِلالٌ أَنَّ الإِسْلام يَدْعُو لِلْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْجَمِيع، السَّادَةِ وَالْعَبِيدِ، الْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ، الْعَرَبِيِّ وَالْأَعْجَمِيِّ، فَلَمْ يَكُنْ أَسْرَعَ مِنْ أَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلامِ.

وَلَمَّا أَذَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الإِسْلامَ بَيْنَ النَّاسِ وَجَهَرَ بِهِ، كَانَ بِلالٌ - رضي الله عنه - أَوَّلَ مَنْ أَعْلَنَ إِسْلامَهُ بِمَكَّةَ وَأَظْهَرَهُ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَيَاسِرٌ، وَسُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ وَالْمِقْدَادُ.

فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَقَدْ حَمَاهُ مَالُهُ وَقَوْمُهُ، وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَدْ بَدَأَ الْمشركونَ يُصْلُونَهُم الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

وَمِنْهُمْ بِلالٌ الَّذِي نَظَرَ إِلَيْهِ سَيِّدُهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، لَا يَحِقُّ لَهُ الإِسْلامُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ،

وَلَكِنَّ بلالًا كَانَ يَرَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ سَيِّدُهُ وَسَيِّدُ أُمَيَّةَ، فَالْكُلُّ عَبِيدٌ فِي مَمْلَكَةِ اللهِ.

وَبَدَأَ بِلالٌ جِهَادَهُ فِي مَكَّةَ، فَكَانَ المشركون يَأْتُونَ بِالْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً مِنَ الضُّعَفَاءِ فَيُلْبِسُونَهُمْ دُرُوعاً مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ يَصْهَرُونَ هَذِهِ الدُّرُوعَ فِي الشَّمْسِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْجُهْدُ وَالتَّعَبُ بِالمسلمينَ، تَرَكَهُمُ المشركونَ، وَجَاءَ قَوْمُ كُلِّ رَجُلٍ فَأَطْعَمُوهُ وَسَقَوْهُ إِلَّا بِلالًا - رضي الله عنه - ، فَقَدْ رَبَطُوهُ بِالْحِبَالِ، وَأَعْطَوْهُ لِلصِّبْيَانِ يَجُرُّونَهُ فِي مَكَّةَ وَيَلْعَبُونَ بِهِ وَهُوَ يَقُولُ: **أَحَدٌ أَحَدٌ.**

أَتَوْا إِلَيْهِ يَقُولُونَ لَهُ: رَبُّكَ اللَّاتُ وَالعُزَّى، وَهُوَ يَقُولُ: **أَحَدٌ أَحَدٌ.**

وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ يُخْرِجُ بِلالًا، وَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فِي صَحْرَاءِ مَكَّةَ الْوَاسِعَةِ، ثُمَّ يَأْتِي بِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ يَضَعُهَا عَلَى صَدْرِهِ.

وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى فَيُرَدِّدُ بِلالٌ كَلِمَاتِهِ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تُعْطِي بِلَالًا الْقُوَّةَ عَلَى مُوَاجَهَةِ

هَذَا الْعَذَابِ الأَلِيمِ، وَتَدْفَعُهُ إِلَى الإِيمانِ دَفْعاً فَلا يَزْدَادُ إِلَّا إِيماناً بِاللهِ، وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا يَقِيناً فِي ضَعْفِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَجَزُوا عَنْ إِخْرَاجِ الإِيمانِ مِنْ قَلْبِهِ.

حَقّاً: **أَحَدٌ أَحَدٌ**. وَجَاءَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَبِلالٌ يُرَدِّدُ: **أَحَدٌ أَحَدٌ**، فَقَالَ وَرَقَةُ: اللهُ أَحَدٌ يا بِلَالُ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ: لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لأَتَّخِذَنَّ قَبْرَهُ حَناناً(١).

وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - يَقُولُ لِأُمَيَّةَ: أَلا تَتَّقِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا المِسْكِينِ؟ حَتَّى مَتَى؟

فَقَالَ أُمَيَّةُ: أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ عَلَيَّ فَأَنْقِذْهُ إِنْ كُنْتَ تَقْدِرُ. فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - بِسَبْعِ أَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ أُمَيَّةُ: لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا وَاحِدَةً لَقَبِلْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلَوْ أَبَيْتَ إِلَّا مِائَةً لأَعْطَيْتُكَ. فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ بلالاً سَيِّدَنَا. وَانْتَهَتْ فَتْرَةُ التَّعْذِيبِ وَالأَذَى، وَلَا زَالَ نَشِيدُ بِلالٍ يَتَرَدَّدُ: **أَحَدٌ ... أَحَدٌ**.

✻ ✻ ✻

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ، أَيْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ**» وَلَقَدْ كَرَّمَ رَسُولُ

(١) أزوره للعبرة والعظة.

اللهِ بِلالاً فَجعَلَهُ خَازِناً لِلْمَالِ.

فَأَبْدَل اللهُ بِلالاً خَيْراً مِنْ أُمَيَّةَ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَظَلَّ بِلالٌ خَازِناً لمالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْذُ بِعْثَتَهِ حَتَّى تُوُفِّيَ.

يَقُولُ بِلالٌ: كَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا أَتَاهُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ عَارِياً يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَقْرِضُ وَأَشْتَرِي الْبُرْدَةَ فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ.

وَفِي يَوْم جَلَسَ رَسُولُ اللهِ يَذْكُرُ أَيَّامَ مَكَّةَ الصَّعْبَةَ الشَّدِيدَةَ فَقَــــالَ: «**لَقَد أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ.**

وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مَا بَيْنَ يَوْم وَلَيْلَةٍ مَا لِي وَلِبِلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبِطُ بِلالٍ».

نَعَمْ كَانَ هَذَا حالُ رَسُولِ اللهِ وَبِلالٍ، ثَلاثُونَ لَيْلَةً وَيَوْماً وَلا طَعَامَ يَأْكُلُهُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ يَأْكُلانِهِ إِلَّا مَا يُخْفِيهِ بِلالٌ تحت إِبْطِهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَرَاهُ المشركونَ أَوْ غَيْرُهُمْ.

وَهَكَذَا قَاسَمَ بِلالٌ رَسُولَ اللهِ حَيَاةَ الْكَدْحِ وَالصَّبْرِ فِي مَكَّة لا يَشْكُو وَلا يَتَضَجَّرُ.

فَمَا أَحْلَى الْمُكُوثَ بِجِوَارِ رَسُولِ اللهِ وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الجُوعُ وَالْعَطَشُ وَالْعَذَابُ الأَلِيمُ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَهُونُ إِلَّا فِرَاقَ رَسُولِ اللهِ، وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْ بِلالٍ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَّا مُهَاجِراً إِلَى المدينةِ، أَوْ خَرَجَ مِنَ المدينةِ إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ فَنِعْمَ الرَّفِيقَانَ كَانَا.

***

وَفِي المدينةِ لَازَمَ بِلالٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَمَا كَانَ بِلالٌ رَافِعاً لِذِكْرِ اللهِ فِي مَكَّةَ، هَا هُوَ يَرْفَعُهُ فِي المدينةِ مُؤَذِّناً، يَجْمَعُ المسلمينَ عَلَى الصَّلاةِ بِصَوْتِهِ الْعَذْبِ الْحَنُونِ: حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ .... حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ.

فَكَانَ بِلالٌ [مُؤَذِّنَ الرَّسُولِ] ﷺ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ذَهَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ.

وَفِي بَدْرٍ خَرَجَ بِلالٌ مَعَ فُلُولِ المؤمنينَ يُقَاتِلُ جَحَافِلَ المشركينَ، وَرَأَى بِلالٌ بِعَيْنِهِ رَأْسَ الْكُفْرِ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ ذَلِكَ الَّذِي عَذَّبَهُ فِي مَكَّةَ، وَسَخِرَ مِنَ الْمسلمينَ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ قَدْ أَسَرَهُ، وَلٰكِنَّ بِلالاً لَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ وَهُوَ يَرَى أُمَيَّةَ حَيّاً، فَالْمَوتُ أَوْلَى لِهَذَا الْكَافِرِ، وَالنَّارُ مَثْوَاهُ، فَصَاحَ بِلالٌ: يَا مَعْشَرَ

المسلمينَ هَذَا رَأْسُ الْكُفرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ.

وَقَامَ الْمسلمونَ إلَى رَأسِ الْكُفْرِ فَحَزُّوا رَأْسَهُ وَأَرَاحَ اللهُ المسلمينَ مِنْ مَكْرِهِ وشَرِّهِ، وَهَكَذَا عَلَا صَوْتُ بِلالٍ: **اللهُ أَكْبَرُ اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ.**

وَذَاتَ صَبَاحٍ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بلالًا فَقَالَ لَهُ: «**يا بِلالُ بِمَ سَبقْتَنِي إلَى الْجنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، إنِّي دَخلْتُ الْبَارِحَةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ**»(١). فَقَالَ بِلالٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَحْدَثْتُ إلَّا تَوَضَّأْتُ، وَمَا تَوَضَّأْتُ إلَّا وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**بِهَذَا سَبقْتَنِي يَا بِلالُ**».

***

ودَخَلَ المسلمونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكَّةَ فَفَتَحُوهَا، وَكانَ بِلالٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ وَحَانَتِ الصَّلاةُ، فَصَعَدَ بِلالٌ عَلَى الْكَعْبَةِ لِيُؤَذِّنَ، وَيَا لَلرَّوْعَةِ، إنهَا مَكَّةُ الَّتِي عُذِّبَ فِيهَا مِنْ ذِي قَبْلُ، لَكِنَّ اللهَ صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، وَهَا هِيَ مَكَّةُ تَخْلَعُ رِدَاءَ

---

(١) صوت قدميه.

الكُفْرِ، وَتَرْتَدِي زِيَّ الإسْلامِ فَيُؤْمِنُ أَهْلُهَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، وَعَادَ بِلالٌ يَتَرَنَّمُ هَذِهِ المرَّةَ؟

اللهُ أَكْبَرُ . . . اللهُ أَكْبَرُ . . . لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ.

وَتُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ يَكُنِ المسلمونَ قَدْ دَفَنُوهُ بَعْدُ، فَقَامَ بِلالٌ لِيُؤَذِّنَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، إِذَا بِالدَّمْعَةِ تَخْنُقُهُ، فَبَكَى، وَبَكَى مَنْ فِي الْمَسْجِدِ جَمِيعاً وَنَزَلَ بِلالٌ لَمْ يُتِمَّ أَذَانَهُ.

وَفَقَدَ بِلالٌ حَبِيبَهُ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَذِّنْ يا بِلالُ.

فَقَالَ بِلالٌ: إِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لأَكُونَ مَعَكَ فَأَمْسِكْنِي، وَإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي للهِ فَاتْرُكْنِي.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَعْتَقْتُكَ إِلَّا للهِ. فَقَالَ بِلالٌ: فَإِنِّي لا أُؤَذِّنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ طَلَبَ بِلالٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَأْذَنَ له بِالْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِيُجَاهِدَ هُنَاكَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَلَعَلَّ فِي الْجِهَادِ عَزَاءً عَنْ فَقْدِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

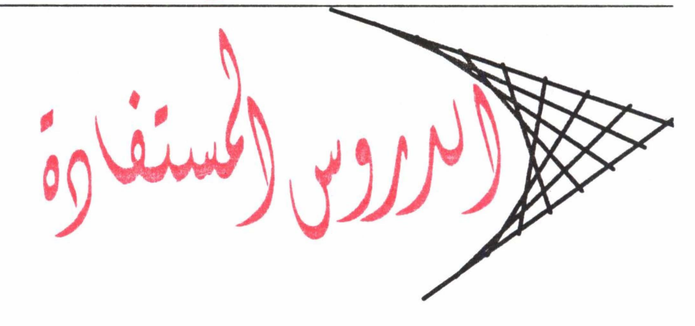
وَفِي خِلَافَةِ عُمَرَ ذَهَبَ إِلَى الشَّامِ لِيَزُورَهَا، وَهُنَاكَ عَزَمَ عَلَى بِلالٍ أَنْ يُؤَذِّنَ.

فَقَامَ بِلالٌ يُؤَذِّنُ فَبَكَى وَبَكَى الْحَاضِرُونَ جَمِيعُهُمْ، فَقَدْ أَعَادَ صَوْتُ بِلالٍ رَسُولَ اللهِ إِلَيْهِمْ رَغْمَ مَوْتِهِ، فَتَذَكَّرُوهُ وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ أَنْ كَانَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُ فَيَخْرُجُ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ تَهْدَأْ دَمْعَتُهُمْ إِلَّا بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ.

وَيَظَلُّ بِلالٌ مُرَابِطاً فِي الشَّام يُدَافِعُ عَنِ الإسْلام، وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ.

وَأَذِنَ اللهُ لِبِلالٍ لِكَيْ يَلْقَى نَبِيَّهُ فِي الْجَنَّةِ، فَقَدْ سَبَقَ الرَّسُولُ هَذِهِ المرَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَأَسْرَعَ بِلالٌ يَلْتَقِيهِ هُنَاكَ حَيْثُ نَعِيمُ اللهِ الْأَحَدِ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا. فَسَلامُ اللهِ عَلَى مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

***



(١) الصَّبْرُ على الإيذاءِ وَتحمُّلُهُ فِي سبيلِ الله.

(٢) مَحَبَّة اللهِ وَرَسُولِهِ.

(٣) لا فَرْقَ بينَ الناسِ إلَّا بِالتَّقْوَى والعملِ الصَّالِح.



أجب بكلمة واحدة؟

*** سيدُنا أعتق سيدَنا؟**

*** عبارة رددها بلال في مكة حين كان يعذبه الكفار؟**

*** أول من أعلن إسلامه بمكة؟**



ضع علامة (صح) أو (خطأ) أمام العبارة التالية؟

* كان أبو بكر يحبُّ بلالًا وأعتقه في سبيل الله

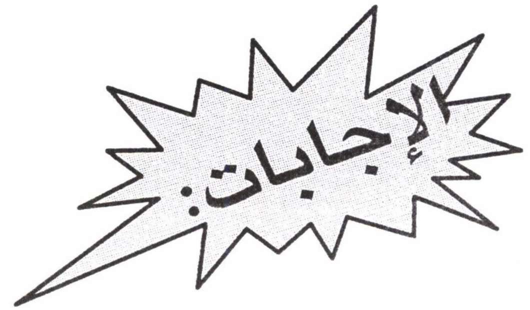
(   )

* أمية بن خلف هو رأس الكفر (   )

* كان بلال رجلًا غنياً ولذلك أحبه رسول الله

(   )

- كم تحبُّ بلالًا - رضي الله عنه -؟



* أبو بكر وبلال، أحد أحد، بلال بن رباح.

* (✓)، (✓)، (X).

سيرة عمرو بن الجموح - رضي الله عنه -

هَا هِيَ ثِمَارُ الإِسْلامِ تَظْهَرُ فِي المدينةِ، وَهَا هُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ - رضي الله عنه - يَلْتَفُّ حَوْلَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنْ شَبَابِ يَثْرِبَ الَّتِي صَارَتْ بَعْدَ خَبَثِهَا، طَيْبَةَ الْمدينةَ المنوَّرَةَ، مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَحَوْلَ مُصْعَبٍ جلَسَ خَلّادٌ، وَمُعَاذٌ، وَمُعَوِّذٌ أَبْنَاءُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ سَيِّدِ بَنِي سَلِمَةَ، وَمَعَهُمْ شَابٌّ ثَالِثٌ هُوَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ - رضي الله عنه - .

جَلَسُوا جَمِيعاً يَسْتَمِعُونَ إِلَى مُصْعَبٍ وَهُوَ يُعَلِّمُهُمُ الإِسْلامَ وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، لَكِنَّ أَبْنَاءَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ فِي حُزْنٍ عَمِيقٍ لِأَنَّ أَبَاهُمْ (عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ) سَيِّدَ بَنِي سَلمةَ، كَانَ كَافِراً يَعْبُدُ صَنَماً سَمَّاهُ هُوَ [مَنَاف]، وَلَمْ يَكُنْ عَمْرٌو يُحِبُّ صَنَمَهُ فَقَطْ، بَلَ كَانَ يَعْتَنِي بِهِ اعْتِنَاءً بالِغاً، فَجعَلَ لَهُ رُكْناً خَاصّاً فِي دَارِهِ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا هُوَ.

وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ شَيْئاً حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى صَنَمِهِ فَيَسْجُدَ لَهُ، وَيَتَبَرَّكَ بِهِ.

وَأَرَادَ أَبْنَاؤُهُ أَنْ يُهْدُوهُ إِلَى الصِّراطِ الْمُسْتَقِيم، وَيَدْعُونَهُ إِلَى الإِسْلام، وَكَانَتْ أُمُّهُمْ قَدْ آمَنَتْ سِرًّا، وَيَسَّرَ اللهُ لَهُمَ مَا أَرَادُوا، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ لَطِيفَةٍ لا تَخْلُو مِنْ عُذُوبَةٍ وَظَرْفٍ.

كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ هُوَ البَاقِي مِنْ بَعْضِ السَّادَاتِ الْقَلَائِلِ فِي (يَثْرِبَ) الَّذِينَ بَقُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، فَكَتَمَ أَبْنَاؤُهُ وَزَوْجَتُهُ إِسْلامَهُمْ جَمِيعاً.

وَسَمِعَ عَمْرٌو بِمَا يَقُولُهُ مُصْعَبٌ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، فَبَعَثَ عَمْرٌو إِلَى مُصْعَبٍ يَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي جِئْتُمُونَا بِهِ؟

فَقَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ شِئْتَ جِئْنَاكَ فَأَسْمَعْنَاكَ، فَوَاعَدَهُمْ يَوْماً، وَحَضَرَ إِلَيْهِمْ.

وَبَدَا اللِّقَاءُ بَيْنَ عَمْرٍو وَمُصْعَبٍ فِي بِدَايَتِهِ جَافّاً، إِلّا أَنَّ مُصْعَباً - رضي الله عنه - كَانَ صَبُوراً، وَكَانَ يَبْتَغِي هِدَايَةَ النَّاسِ وَإِرْشَادَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيم.

فَقَرَأَ عَلَى عَمْرٍو صَدْرَ سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١ - ٢].

وَأَعْجَبَتِ الآيَاتُ عَمْراً لَكِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ صَنَمَهُ وَلا يَقْطَعُ أَمْراً دُونَهُ.

فَقَالَ لِمُصْعَبٍ: إِنَّ لِي مُؤَامَرَةً فِي قَوْمِي.

وَعَادَ عَمْرٌو إِلَى صَنَمِهِ فَسَجَدَ أَمَامَهُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا مَنَافُ تَعْلَمُ مَا يُرِيدُهُ هؤُلاءِ النَّاسُ مِنِّي فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ نَكِيرٍ(١).

وَوَضَعَ عَمْرٌو السَّيْفَ عَلَى صَنَمِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَقَامَ مُعَاذٌ وَلَدُهُ فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنْ فَوْقِ الصَّنَم وَخَبَّأَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ عَرَفَ أَنَّهُ صَنَمٌ لَا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ، وَلا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ شَيْئاً.

وَحَضَرَ عَمرٌو فَقَالَ: أَيْنَ السَّيْفُ يَا مَنافُ؟ وَيْحكَ إِنَّ الْعَنْزَةَ الضَّعِيفَةَ تُدَافِعُ عَنْ نَفْسِها، ثُمَّ قَالَ عَمْرٌو لِصَنَمِهِ: إِنِّي ذَاهِبٌ غَداً إِلَى مَالِي بِعَلْيَاءِ المدينةِ، وَوَصَّى أَهْلَهُ خَيْراً بِصَنَمِهِ، وَانْطَلَقَ فَجَاءَ أَوْلادُهُ، وَرَبَطُوا الصَّنَم فِي حَبْلٍ، ثُمَّ وَضَعُوهُ فِي حُفْرَةٍ كانَ أَهْلُ يَثْرِبَ يَضَعُونَ فِيهَا أَوْسَاخَهُمْ، وَقَاذُورَاتِهِمْ، وَمَا يَبْقَى مِنْ بَوْلِهِمْ.

(١) هل ترفض هذا؟

وَعَادَ عَمْرٌو إِلَى صَنَمِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمْ يَجِدْهُ، ثُمَّ صَرَخَ فِي أَهْلِهِ: أَيْنَ مَنَافُ؟ أَيْنَ إِلٰهِي الْحَبِيبُ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. وَجَدَّ عَمْرٌو فِي الْبَحْثِ عَنْ صَنَمِهِ فَلَمْ يَتْرُكْ رُكْناً فِي دَارِهِ، وَلَا الدِّيَارَ حَوْلَهُ إِلا وَسَأَلَ عَنْهُ، وَأَخِيراً وَجَدَهُ هُنَاكَ بِجِوَارِ فَضَلاتِ أَهْلِ يَثْرِبَ.

فَقَامَ إِلَيْهِ، وَغَسْلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ وَسَجَدَ لَهُ، وَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لَقَتَلْتُهُ.

وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ جَاءَ أَوْلادُهُ إِلَى الصَّنَمِ فَرَبَطُوهُ فِي حِبَالٍ وَجَرُّوهُ، ثُمَّ رَبَطُوهُ إِلَى جَنْبِ كَلْبٍ مَيْتٍ وَأَلْقَوْهُ فِي بِئْرٍ لِبَنِي سَلَمَةَ كَانَتْ فِيهَا فَضَلاتُ الْقَوْمِ، وَقَاذُورَاتُهُمْ.

وَعَادَ عَمْرٌو ثَالِثَةً يَسْأَلُ أَوْلادَهُ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: بِخَيْرٍ وَسَّعَ اللهُ فِي مَنَازِلِنَا وَطَهَّرَ بُيُوتَنَا مِنَ الرِّجْسِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى صَنَمِهِ، فَمَا وَجَدَهُ فَقَالَ: أَيْنَ هُوَ؟

فَقَالُوا: هُوَ ذَاكَ، انْظُرْ إِلَيْهِ فِي جَنْبِ الْبِئْرِ.

وَرَأَى عَمْرٌو صَنَمَهُ مُلَطَّخاً مَرَّةً أُخْرَى بِالأَوْسَاخِ وَالْأَدْرَانِ، وَقَدْ عَجَزَ عَنْ رَدِّ الأَذَى عَنْ نَفْسِهِ، فَأَيْقَنَ أَنَّهُ حَجَرٌ لا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ، وَأَنَّ الإِيمَانَ خَيْرٌ مِنَ الْكُفْرِ فَقَالَ لأَوْلادِهِ: أَلَسْتُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ أَنْتَ سَيِّدُنا، فَقَالَ: فَإنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَنْ الْوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ

هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ

وَاللهِ لَوْ كُنْتَ إِلٰهاً لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ

وَلَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمدينةِ؟ كَانَ يَرَى فِي عَمْرٍو السِّيَادَةَ، وَالرَّأْيَ السَّدِيدَ.

فَقَالَ ذَاتَ مَرَّةٍ: يَا بَنِي سَلَمَةَ مَنْ سَيِّدُكُمْ؟ قَالُوا: جدُّ بْنُ قَيْسٍ على أَنَّنَا نَرَاهُ بَخِيلًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمُ الأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ»**، وَعَمْرٌو - رضي الله عنه - كَانَ سَيِّداً فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَفِي إِسْلامِهِ.

***

كَانَ عَمْرٌو - رضي الله عنه - أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، فَمَنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ حُضُورِ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَالْقِتَالِ مَعَ رَسُولِ اللهِ، وَلَمَّا عَادَ المسلمونَ مِنْ بَدْرٍ كَانَتْ قِصَصُ الْبُطُولَةِ تَزِيدُ الشَّوْقَ لَهِيباً فِي الْقُلُوبِ، وَأَرَادَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ

غَزْوَةِ بَدْرٍ أَنْ يُعَوِّضَ مَا فَاتَهُ، فَكَانَتْ (أُحُدٌ) هِيَ الَّتِي رَأَى فِيهَا الْجَمِيعُ عِوَضاً عَنْ بَدْرٍ.

وَنَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي المسلمينَ: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

فَقَامَ عَمْرٌو يُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى أُحُدٍ، وَلٰكِنَّ أَوْلادَهُ مَنَعُوهُ.

فَقَالُوا: قَدْ عَذَرَكَ اللهُ، فَجَاءَ عَمْرٌو إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنِ الْخُرُوجِ مَعكَ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**أَمَّا أَنْتَ فقَدْ عَذَرَكَ اللهُ، وَلا جِهَادَ عَلَيْكَ**».

وَأَمَامَ إِصْرَارِ عَمْرٍو عَلَى الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ لأَوْلادِهِ: «**لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَمْنَعُوهُ فَلَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ فَاتْرُكُوهُ**».

قَالَتْ زَوْجَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ حَرَام: لَقَدْ أَخَذَ دَرْقَتَهُ، ثُمَّ دَعَا اللهَ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لاَ تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي.

وَكَانَ - رضي الله عنه - مُتَآخِياً مَعَ شَقِيقِ زَوْجَتِهِ عَبْدِ

اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، فَخَرَجَا سَوِيّاً، مَعَهُمَا خَلَّادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ.

وَفِي الْبِدَايَةِ كَانَ النَّصْرُ حَلِيفَ الْمُسْلِمِينَ لِطَاعَتِهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ، وَلَكِنْ عَصَى الرُّمَاةُ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ وَأَمْرَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ أَمِيرِهِمْ، فَانْكَشَفَ المسلمونَ.

وَحَدَثَ الهَرْجُ وَالْمَرْجُ بَيْنَ الصُّفُوفِ، وَوَقْتَهَا إذا بِعَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ يَصْرُخُ فَيَقُولُ: إنِّي وَاللهِ مُشْتَاقٌ إلَى الْجَنَّةِ.

وَدَخَلَ يَخُوضُ الْقِتَالَ الضَّارِيَ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ خَلَّادٌ، حَتى اسْتُشْهِدَا جَمِيعاً.

وَوَطِئَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ الْجَنَّةَ بِعَرْجَتِهِ كَمَا أَرَادَ، وَلَمْ يَعُدْ إلَى أَهْلِهِ كَمَا دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَجَابَ لَهُ.

وَبعْدَ الْمَعْرَكَةِ رَآهُ رَسُولُ اللهِ شَهِيداً، وَبِجِوَارِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، فَقَال: ادْفُنُوا عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَدْ كَانَا مُتَحَابَّيْنِ مُتَصَافِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا.

وَفِي عَهْدِ مُعَاوِيَةَ جَاءَ سَيْلٌ شَدِيدٌ عَارِمٌ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى خَرَّبَ قَبْرَ عَمْرٍو وَعَبْدِ اللهِ، فَحَفَرَ لَهُمَا النَّاسُ قَبْراً آخَرَ لِيُدْفَنَا فيهِ.

وَجَاءَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، لِيَرَاهُمَا فَكَأَنَّهُمَا مَاتَا بِالأَمْسِ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُمَا شَيْءٌ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جُرِحَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَرْحِهِ فَدُفِنَ كَمَا هُوَ، فَرَفَعُوا يَدَهُ عَنْ جُرْحِهِ، لَكِنَّهُ أَعَادَهَا مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ مَيِّتٌ. وَكَانَ بَيْنَ أُحُدٍ، وَيَوْمِ حَفَرَ الْمُسْلِمُونَ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

إِنَّهَا حَقِيقَةٌ لَيْسَتْ خَيَالًا، فَالشُّهَدَاءُ لَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ وَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.

الدروس المستفادة

(١) المؤمنُ ذَكِيٌّ فَطِنٌ يَسْتَخْدِمُ عَقْلَهُ في الدَّعوةِ إلى الله.

(٢) التَّضْحِيَةُ بالمالِ والنفسِ في سبيل الله.

(٣) الشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.



اختر الصحيح من بين الأقواس؟

* قال عمرو بن الجموح لرسول الله ﷺ حين أراد الخروج إلى أُحُدٍ إني أريد أن أطأ ... هذه الجنة [برأسي - بعرجتي - بيدي].

* أسلم أولاد عمرٍو قبله ومنهم مُعاذ و.... وخلاد [مصعب - خالد - معوذ].

* كان اسم صنم عمرو [اللات - مناف - هُبَل].

اذكر سبباً واحداً لما يلي: -

(١) إسلام عمرو بن الجموح؟

(٢) خروج عمرو للجهاد في أُحُدٍ؟

(٣) بقاء جُثَّتَيْ عمرو بن الجموح، وعبد الله بن حرام كما هما لم يَتَغَيَّرا؟

كم من السنين مرت على دفن الشهيدين عمرو وعبد الله وبين تغيير القبر بعد نزول السيل؟



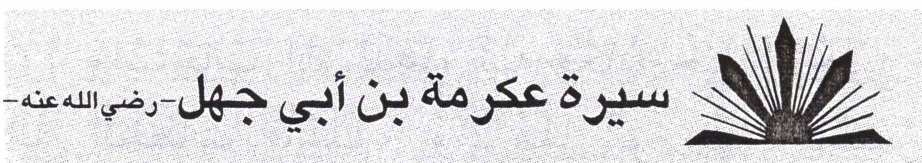
* بعرجتي، معوذ، مناف.

* لأنه اكتشف أن صنمه حَجَر لا ينفع ولا يضر.

لأنه أراد دخول الجنة.

لأن الأرض لا تأكل أجساد الشهداء.

٤٦ سنة.



مَنْ مِنَّا لا يَعْرِفُ هَذَا الاسْمَ؟ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ، الَّذِي سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَلَغَ الحلمَ بَعْدُ.

وَمِنَ الْحَقِّ أَنْ تَقُولَ إِنَّهُ كَانَ سَيِّداً فِي قَوْمِهِ، شَرِيفاً مُطاعاً، ذَا جَاهٍ وَسِيَادَةٍ.

لَكِنَّه دَفَنَ نَفْسَهُ فِي رِمَالِ الْكُفْرِ، وَلَوْ شَاءَ لأَحْيَاهَا بِنُورِ الإيمانِ، فَاسْتَحَقَّ اللَّعْنَةَ بَدَلًا مِنَ الرّضْوَانِ.

كَانَ أَبُو جَهْلٍ وَلا يَزَالُ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ، عَاشَ فِي مَكَّةَ عَدُوّاً للهِ وَلِرَسُولِهِ، حَاوَلَ قَتْلَ رَسُولِ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَرَأَى الآياتِ وَالْمُعْجِزَاتِ وَلَكِنْ عَمِيَتِ الْبَصِيرَةُ قَبْلَ الْبَصَرِ فَصَارَ شَيْطَاناً مَرِيداً.

وَكَثِيراً مَا رَأَى النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ الْأَذَى وَالْعَنَتَ عَلَى يَدَيْهِ، وَلٰكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَمِعَ يَوْماً فِي إِسْلَامِهِ فَقَالَ:

– «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**».

وَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ فَكَانَ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ فَأَسْلَمَ، وَشَرَّهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَاسْتَمَرَّ فِي عَدَاوَتِهِ.

إِنَّهُ صَاحِبُ اقْتِرَاحِ الْحَرْبِ فِي بَدْرٍ لِتَأْدِيبِ المسلمينَ فَلَقَدْ غرَّه شَيْطَانُهُ بِأَنَّهُ سَيَهْزِمُ النَّبِيَّ وأَصْحَابَهُ، فَإذا بِهِ قتيلٌ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ.

يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ: لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟

فَقِيلَ: للهِ وَرَسُولِهِ.

فَرَاحَ يَلْعَنُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَيَكْفُرُ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**إِنَّ فِرْعَوْنَ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَشَدُّ مِنْ فِرْعَوْنِ مُوسَى**».

وَحَقّاً فَإِنَّ فِرْعَوْنَ مُوسَى آمَنَ قَبْلَ مَوْتِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ، أَمَّا هٰذَا الْفِرْعَوْنُ الْعَرَبِيُّ فَإِنَّهُ مَاتَ كَافِراً يَسُبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَفِي هٰذَا الْمُنَاخِ السَّيِّئِ الْمَلِيءِ بِالْحِقْدِ عَلَى الإِسْلامِ وَنَبِيِّهِ نَشَأَ (عِكْرِمَةُ) الَّذِي رَأَى أَبَاهُ فِي مَكَّةَ لا يَأْلُو[١] جُهْداً فِي حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ رَأَى قَوْمَه يُهْزَمُونَ فِي بَدْرٍ.

---

(١) لا يدَّخِر.

وَقَدْ عَادَ إِلَى مَكَّةَ بِلَا أَبٍ كَمَا ذَهَبَ فَلَقَدْ تَرَكَ أَبَاهُ هُنَاكَ صَرِيعاً لِيُلْقِيَهُ الْمسلِمونَ فِي الْقَلِيبِ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ يَلْعَنُهُ حَتَّى قَبْرُهُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ أَمَّا فِي يَوْمِ أُحُدٍ، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْوَضْعُ قَلِيلاً، فَقَدْ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِخَيْلِهَا وَخُيَلَائِهَا.

وَكَانَ عِكْرِمَةُ عَلَى مَيْسَرَةِ الْجَيْشِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ مَعَ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ الَّذِي كَانَ قَائداً عَلَى الْمَيْمَنَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ عِكْرِمَةُ وَحْدَهُ بَلْ أَخَذَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ أُمَّ حَكِيمٍ تَضْرِبُ الدُّفَّ مَعَ هِنْدٍ بِنْتِ عُتْبَةَ، وَتُغَنِّي الأَشْعَارَ قَائِلَةً:

وَيْهاً بَنِي عَبْدِ الدَّارْ وَيْهاً حُمَاةَ الأَدْبَارْ
ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارْ[١]

وَتَحَمَّسَ الرِّجَالُ، وَرَكِبَ عِكْرِمَةُ فَرَسَهُ يَقُودُهُ شَيْطَانُهُ وَحِقْدُهُ إِلَى مُحَارَبَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَاضِعاً نُصْبَ عَيْنَيْهِ مَشْهَدَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسُيوفِ الْمسلِمِينَ فِي بَدْرٍ، حَتَّى انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِنَصْرٍ غَيْرِ كَامِلٍ لِلْمُشْرِكِينَ إِذْ إِنَّهُمْ جَبُنُوا أَمَامَ هَجَمَاتِ المسلمينَ وَفَرُّوا إِلَى مَكَّةَ.

(١) **البتّار**: السيف القاطع.

أمَّا فِي الْخَنْدَقِ - وَهُوَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، فَكَانَ عِكْرِمَةُ واحِداً مِنْ آلافٍ مُؤَلَّفَةٍ جاءَتْ تُحاصِرُ مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

لَكِنَّهُمْ فُجِعُوا حِينَ رَأَوْا خَنْدَقاً كَبِيراً لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ، وَأُسْقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ.

وَطَالَ الحِصَارُ، وَلَمْ يَتَحَمَّلْ عِكْرِمَةُ فَخَرَجَ مَعَ عَمْرِو بْنِ وَدٍّ يَدْعُو المُسْلِمِينَ لِلْمُبارَزَةِ فَخَرَجَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - حَتَّى قَطَعَ رَأْسَ عَمْرِو بْنِ وُدٍّ، وَأَلْقَاه لِلْمُشْرِكِينَ فَامْتَلأَتْ نَفْسُ عِكْرِمَةُ رُعْباً، وَجَرَى كَالْفَأْرِ الْمَذْعُورِ تَارِكاً حَرْبَتَهُ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى أَخَذَها عَلِيٌّ هَدِيَّةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

* * *

وَأَعَزَّ اللهُ الإِسْلامَ وَالمسلمينَ فَفَتَحُوا مَكَّةَ، لَكِنْ لَمْ يَخْلُ الأَمْرُ مِنْ بَعْضِ المناوَشَاتِ.

فَقَدْ قَامَ عِكْرِمَةُ وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لِيُقَاتِلُوا المسلمينَ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ اسْمُهُ [حَمَاسُ بنُ قَيْسٍ].

فَلَمَّا رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ قَالَتْ لَهُ: يَا حَمَاسُ مَا تُعِدُّ؟

قَالَ: أُعِدُّهُ لمحمدٍ وَأَصْحَابِهِ.

فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا تَصْبِرُ عَلَى محمدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهَا: بَلْ سَنَقْتُلُهُمْ، وَسَيَكُونُ لَكِ خَدَمٌ مِنْهُمْ.

وَتجمَّعَ عِكْرِمَةُ وَأَصْحَابُهُ فِي مَوْضِعٍ يُسَمَّى [الْخَنْدَمَةَ] وَأَرَادُوا مُقَاتَلَةَ المسلمينَ، وَلَكِنْ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللهِ **بِسَيْفِهِ المسْلُولِ: خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ،** فَانْهَزَمَ الجَمِيعُ وَمَعَهُمْ حَمَاسٌ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ:

إنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَاسْتَقْبَلَتْنَا بِالسُّيوفِ الْمُسْلِمَهْ يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ

وَفَرَّ عِكْرِمَةُ، وَأَهْدَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَمَهُ مَعَ تِسْعَةٍ آخَرِينَ، وَلَمَّا عَرَفَ عِكْرِمَةُ بِهَذَا قَرَّرَ الْهُرُوبَ إِلَى الْيَمَنِ.

فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ كَانَتْ (أُمُّ حَكِيمٍ) زَوْجَتُهُ قَدْ أَسْلَمَتْ، وَاسْتَأْمَنَتْ رَسُولَ اللهِ لِعِكْرِمَةَ.

فَقَالَ لَهَا: هُوَ آمِنٌ.

وَخَرَجَتْ (أُمُّ حَكِيمٍ) تَرُدُّ زَوْجَهَا إِلَى مَكَّةَ، وَمَعَهَا غُلَامٌ رُومِيٌّ، وَرَأَى هَذَا الْغُلَامُ فِي بُعْدِ المسَافَةِ وَخَلْوَتِهِ بِهَا فُرْصَةً لِمُرَاوَدَتِهَا عَنْ نَفْسِهَا، لَكِنَّهَا مَاطَلَتْهُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَهُنَاكَ وَجَدَتِ الأَقْدَارِ تَسْخَرُ مِنْ عِكْرِمَةَ.

إنَّ عِكْرِمَةَ قَالَ لِأَحَدِ البَحَّارَةِ: احْمِلْنِي إِلَى الْيَمَنِ وَأُعْطِيكَ مَا تُرِيدُ. فَقَالَ الْبَحَّارُ: لَا حَتَّى تُخْلِصَ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَمَا إِخْلاصِي، قَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: هَذَا إِلٰهُ مُحَمَّدٍ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ.

وَعَلِمَ عِكْرِمَةُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، وَأَدَارَ ظَهْرَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ:

جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ، وَأَرْحَمِ النَّاسِ، وَأَبَرِّ النَّاسِ، مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ، اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مِنْهُ، فَأَمَّنَكَ، فَلا تُهْلِكْ نَفْسَكَ، فَعُدْ فَإِنَّكَ آمِنٌ.

وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْفَتَى الرُّومِيِّ، وَكَانَتْ قَدِ اسْتَعَانَتْ بِبَعْضِ الأَعْرَابِ فَعَاوَنُوهَا، وَمَا زَالَتْ بِهِ حَتَّى لانَ، وَقَبِلَ الْعَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَفِي الطَّرِيقِ عَرَّجَ عَلَى الْغُلامِ الرُّومِيِّ فَقَتَلَهُ. وَأَرَادَ أَنْ يَخْلُوَ بِزَوْجَتِهِ.

فَقَالَتْ: يَا عِكْرِمَةُ إِنَّكَ مُشْرِكٌ وأَنَا مُسْلِمَةٌ، وَقَدْ حَرَّمَنِي اللهُ عَلَيْكَ. وَأَصَابَتْ سِهَامُ الْكَلِمَاتِ قَلْبَ عِكْرِمَةَ فَأَدْمَتْهُ، وَاصْطَرَعَتِ الأَفْكَارُ فِي رَأْسِهِ.

فِي مَكَّةَ وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ يَقُولُ لَهُمْ:

«**إِنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ سَيَأْتِيكُمْ مُؤْمِناً مُهَاجِراً، فَلَا تَسُبُّوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ، وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ**». وَوَصَلَ عِكْرِمَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرْحَباً بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ، وَقَامَ إِلَيْهِ، وَبَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ**».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي يَا مُحَمَّدُ؟

فَقَالَ: «**نَعَمْ إِنَّكَ آمِنٌ**».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِلَامَ تَدْعُو؟

قَالَ: «**إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللهِ مَا دَعَوْتَ إِلَّا إِلَى حَقٍّ، وَمَا أَمَرْتَ إِلَّا بِخَيْرٍ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ

تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ، أَوْ مَقَامٍ لَقِيتُكَ فيهِ، أَوْ كلامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ أَوْ فِي غَيْبَتِكَ.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ لِعِكْرِمَة وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِهِ إِطْفَاءَ نُورِكَ، وَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنْ عِرْضِي فِي وَجْهِي أَوْ أَنَا غَائِبٌ عَنْهُ**».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لا أَدَعُ نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَبَعْدَ إِسْلامِهِ كَانَ يُقْسِمُ فَيَقُولُ: لا وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَانَ يَشْكُرُ رَبَّهُ أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ يَوْمَ بَدْرٍ وَظَلَّ حَيّاً حَتَّى أَكْرَمَهُ رَبُّهُ بِالإِسْلام، وَلَطَالَمَا أَمْسَكَ بِالْمُصْحَفِ بَاكِياً يَقُولُ: كِتَابُ رَبِّي .. كِتَابُ رَبِّي.

وَيَوْمَ الْيَرْمُوكِ حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَأَوْشَكَ الرُّومُ أَنْ يُنْزِلُوا بِالمسلمينَ الْهَزِيمَةَ، فَهَبَّ اللَّيْثُ الضَّارِي عِكْرِمَةُ.

يَقُولُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا خَالِدُ بْنَ الْوَلِيدِ، دَعْنِي أُكَفِّرْ عَمَّا سَلَفَ مِنِّي وَمِنْ أَبِي، لَقَدْ قَاتَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

وَأَفِرُّ مِنَ الرُّومِ الْيَوْمَ !! لَا واللهِ لا يَكُونُ هَذَا أَبداً.

وَصَاحَ قَائِلًا: مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى الْمَوْتِ؟

فَقَامَ عَمُّهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَام، وَضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ فَبَايَعَاهُ وَمَعَهُمْ أَرْبَعُمِائَةِ مُسْلِم فَدَخَلُوا غُمَارَ الْمَعْرَكَةِ حَتَّى أَلْحَقُوا الْهَزِيمَةَ بِالرُّومِ، وَنَصَرَ اللهُ جُنْدَهُ وأَعَزَّهُمْ.

وَبَقِيَ عِكْرِمَةُ طَرِيحاً مِنْ أَثَرِ سَبْعِينَ طَعْنَةً تَلَقَّاهَا فِي صَدْرِهِ، وَبِجِوَارِهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَام، وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَدَعَا الْحَارِثُ بالماءِ لِيَشْرَبَهُ، فَرَأَى عِكْرِمَةَ يَلْهَثُ عَطَشاً.

فَقالَ: أَعْطُوهُ لِعِكْرِمَةَ، فرأى عكرمةُ عَيَّاشاً عَطْشَانَ.

فَقَالَ: أَعْطُوهُ الماءَ. فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ عَيَّاشٍ إِذَا هُوَ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ.

فَعَادُوا سَرِيعاً إِلَى عِكْرِمَةَ وَالْحَارِثِ فَوَجَدُوهُمَا قَدْ سَبَقَا صَاحِبَهُمَا إِلَى الْجَنَّةِ لِيَشْرَبَا مِنْ مَاءِ الْجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا.

***

الدروس المستفادة

(١) الإنسان بنفسه لا بأبيه أو أهله، ولكن بإيمانه وتَقْوَاه.

(٢) عدم سبّ الأموات أو لَعْنِهِمْ، فقد صار حسابهم على الله.

(٣) التوبة عن كل ذنب، فالله تعالى غفور رحيم.



ضع علامة (✓) أو (✗) أمام العبارات التالية: -

* أسلم عكرمة في بداية الإسلام، وأسلم أبوه أيضاً (   ).

* أسلمت أم حكيم زوجة عكرمة قبله (   ).

* قاد عكرمة المسلمين في غزوة الأحزاب ( ).

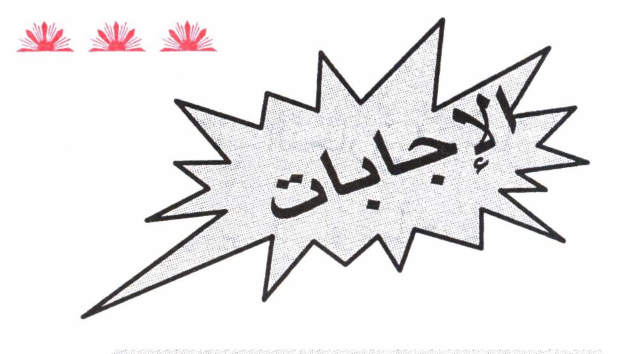
(2) من هو؟

أ - فرعون هذه الأمة، وعدو الله ورسوله؟

ب - الراكب المهاجر الذي أَمَّنَه رسول الله ﷺ؟

جـ - ماتا بجوار عكرمة يوم اليرموك؟

د - ما هي الدروسُ المستفادة من قصة عكرمة - رضي الله عنه - ؟



الإجابات: -

* (✕)، (✓)، (✕).

* أبو جهل، عكرمة بن أبي جهل، الحارث بن هشام وعياش بن أبي ربيعة.



سيرة أبي طلحة زيد بن سهل - رضي الله عنه -

قَلِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى أَيْدِي النِّسَاءِ، بَلْ هُمْ مَعْدُودُونَ عَلَى الأَصَابعِ، ذَلِكَ أَنَّ بِيئَةَ الْعَرَبِ جَعَلَتْ مِنَ الْمَرْأَةِ كَائِناً لَا حَاجَةَ لِلنَّاسِ بِهِ.

حَتَّى جَاءَ الإِسْلامُ فَرَفَعَ مِنْ قَدْرِ الْمَرْأَةِ وَجَعَلَ لَهَا كِيَاناً وَقَدْراً. هَذِهِ هِيَ (الغُمَيْصَاءُ) وَهِيَ أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مُلحانَ تَزَوَّجَتْ مِنْ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَالِدِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - فَقُتِلَ مَالِكٌ.

فَجَاءَ (أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ النَّجَّارِيُّ) رَجُلُ بَنِي النَّجَّارِ، وَأَحَدُ رُمَاتِهِمْ الْمَعْدُودِينَ، وَصَاحِبُ الثَّرَاءِ الوَاسِعِ، جَاءَ إِلَيْهَا خَاطِباً وَمَا عِنْدَهُ مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّهَا سَتَرُدُّهُ، لَكِنَّهَا قَالَتْ:

أَمَا إِنِّي فِيكَ لَرَاغِبَةٌ، وَمَا مِثْلُكَ يُرَدُّ، لَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ.

ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ إِلٰهَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ خَشَبَةٌ نَبَتَتْ مِنَ الْأَرْضِ صَنَعَهُ لَكَ نَجَّارٌ حَبَشِيٌّ؟

قَالَ: بَلَى. قَالَتْ: أَفَلَا تَسْتَحِي أَنْ تَعْبُدَ خَشَبَةً نَجَرَهَا لَكَ حَبَشِيٌّ، لَئِنْ أَسْلَمْتَ لَمْ أُرِدْ مِنْكَ شَيْئاً.

فَذَهَبَ أَبُو طَلْحَةَ يُرَاجِعُ نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ.

وَعَادَ يَنْظُرُ إِلَى صَنَمِهِ، وَيَذْكُرُ كَيْفَ قَطَعَ خَشَبَةً مِنْ شَجَرَةٍ كَانَتْ فِي أَرْضِهِ، وَكَيْفَ أَسْلَمَهَا لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ يَصْنَعُ مِنْهَا هَذَا الإِلٰهَ.

فَعَادَ سَرِيعاً إِلَى (أُمِّ سُلَيْم) وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَدُلَّهُ عَلَى كَيْفِيَّةِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ.

وَمَا لَبِثَ أَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

حَتَّى قَالَ الصَّحَابَةُ: وَاللهِ مَا عَرَفْنَا مَهْراً خَيْراً مِنْ مَهْرِ أُمِّ سُلَيْمٍ، كَانَ مَهْرُهَا الإِسْلَام.

وَذَهَبَ أَبُو طَلْحَةَ مَعَ رَكْبِ الإيمانِ الْمُنْطَلِقِ لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَباءِ الاثْنَيْ عَشَرَ، حَتَّى إذَا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ إِلَى المدينةِ لَزِمَهُ وَكَانَ أَحَدَ أَتْبَاعِهِ الْمُخْلِصِينَ الْمُحِبِّينَ لَهُ.

* * *

وَتَمْتَلِئُ حَيَاةُ أَبِي طَلْحَةَ بِمَوَاقِفَ مُتَنَوِّعَةٍ، فَتَرَاهُ مُجَاهِداً فِي مَوْقِفٍ، مُنْفِقاً فِي سَبِيلِ اللهِ فِي مَوْقِفٍ آخَرَ، بَاسِماً ضَاحِكاً، أَوْ صَائِماً عَابِداً، وَهَكَذَا تَرَاهُ دَائماً.

كَانَ أَبُو طَلْحَةَ مِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مالًا، وَكَانَ أَحَبَّ مَالِهِ إِلَيْهِ [بَيْرُحَاءَ]، وَهُوَ بُسْتَانٌ مُمْتَلِئٌ بِالنَّخِيلِ، وَالثِّمَارِ، وَالْمَاءِ الْعَذْبِ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ عَذْبٍ.

فَنَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فَقَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ [بَيْرُحَاءَ] وَإِنَّها

صَدَقَةٌ للهِ، أَرْجُو أَجْرَهَا وَبِرَّهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَسِّمْهَا يَا رَسُولَ اللهِ كَمَا تَشَاءُ فَنظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ فَرِحاً مَسْرُوراً وقالَ:

- بَخ بَخ(١) ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْت، فَاذْهَبْ فَقَسِّمْهَا فِي أَقْرِبَائِكَ. وَعَادَ أَبُو طَلْحَة فَقَسَمَ [بيرُحَاءَ] فِي أَوْلادِ عَمِّهِ.

وَهَكَذَا نَالَ البرَّ حِينَ أَنْفَقَ مِمَّا يُحِبُّ - رضي الله عنه - .

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ يُحِبُّ أَبَا طَلْحَةَ حَتَّى أَنَّ رَسُول اللهِ لَمَّا حَلَقَ شَعْرَهُ فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ بَدَأَ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ وَزَّعَ بَعْضَ شَعَرَاتِهِ عَلَى المسلمينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ نَالَ الشَّعْرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَالَ الشَّعْرَتَيْنِ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَيْنَ أَبُو طَلْحَةَ؟ ثُمَّ أَعْطَاهُ شَعْراً كَثِيراً يَتَبَرَّكُ بِهِ - رضي الله عنه -»**.

وَكَانَ ﷺ لَا يَدْخُلُ بَيْتاً مِنْ بُيُوتِ الأَنْصَارِ إِلَّا بَيْتَ أَبِي طَلْحَةَ وَأُمِّ سُلَيْم، فَتَبْسُطُ أُمُّ سُلَيْم الفِرَاشَ لَهُ فَإِذَا عَرِقَ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ فَجَعَلَتْهُ طِيباً وَمِسْكاً.

وَكَانَ لأَبِي طَلْحَةَ وَلَدٌ مَرِيضٌ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فِي سَفرٍ لَهُ، وَمَاتَ وَلَدُهُ، وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُ، فَدَفَنَتْهُ أُمُّ

---

(١) كلمة استحسان وترحيب.

سُلَيْمٍ، فَلَمَا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟

فَقَالَتْ: هُوَ أَفْضَلُ مِمَّا كَانَ. ثُمَّ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ العَشَاءَ فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: إِنَّ الصَّبِيَّ قَدْ مَاتَ وَدَفَنَّاهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ ذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ يَشْتَكِي أُمَّ سُلَيْمٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ**»؟

قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا**».

فَوَلَدَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ لَهُ وَلَداً، فَحَمَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَمَعَهُ تَمرَاتٌ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ وَوَضَعَهَا فِي فَمِهِ، ثُمَّ حَنَّكَ بِهَا الصَّبِيَّ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ.

ثُمَّ وَلَدَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ سَبْعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

* * *

وَكَانَ - رضي الله عنه - شُجَاعاً مِقْداماً، وَفَارِساً مِغْوَاراً، فَهَذَا يَوْمُ أُحُدٍ، لَمَّا تَجَمَّعَ المشركونَ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ لِيَقِفَ بِجِوَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ خَلْفِ أَبِي طَلْحَةَ لِيَنْظُرَ مَاذَا يَحْدُثُ حَوْلَهُ؟

فَيَتَطَاوَلُ أَبُو طَلْحَةَ هَاتِفاً: يَا رَسُولَ اللهِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَة رَجُلًا يُحْسِنُ الرَّمْيَ بِالسِّهَامِ، حَتَّى أَنَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ كَسَرَ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثاً.

وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ جَعْبَةُ النِّبَالِ فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ»**، وَيَرْمِي أَبُو طَلْحَةَ النِّبَالَ وَرَسُولُ اللهِ يَنْظُرُ إِلَى مَوْقِعِهَا، وَأَبُو طَلْحَة يُكَرِّرُ:

يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ. وَتَتَرَّسَ أَبُو طَلْحَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ بِتُرْسٍ وَاحِدٍ يُدَافِعُ عَنْهُ، وَيَحْمِيهِ مِنْ سِهَامِ المشركِينَ، وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ نَفْسَهُ وَحَيَاتَهُ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ سَالماً، وَعَادَ غَانِماً يَصْحَبُهُ أَبُو طَلْحَةَ. وَيَوْمَ (حُنَيْنٍ) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ»**.

فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَهَا عِشْرِينَ رَجُلًا فَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ، وَيَا لَلشَّجَاعَةِ وَالإِقْدَامِ.

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةِ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِئَةٍ - أَيْ مِنْ فِرْقَةٍ كَامِلَةٍ»**.

وَبَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ اتَّخَذَ أَبُو طَلْحَةَ مِنَ الْجِهَادِ وَالصِّيَامِ شُغْلًا شَاغِلًا، فَصَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ، حَتَّى قِيلَ: مَا أَفْطَرَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ أَبُو طَلْحَةَ إِلَّا فِي مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ، حَتَّى لَقِيَ اللهَ.

وَلَقَدْ عَاشَ أَبُو طَلْحَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ أَرْبَعِينَ عَاماً .... وَيَا لَلْعَجَبِ.

وَفِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رضي الله عنه - ، أَنْشَأَ عُثْمَانُ أَوَّلَ أُسْطُولٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ غَزْوَ جَزِيرَةٍ مِنْ جُزُرِ الرُّومِ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ مَعَ هَذَا الْجَيْشِ، لَكِنَّهُ مَاتَ فِي السَّفِينَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةٌ يُدْفَنُ فِيهَا، وَظَلَّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ كَمَا هُوَ لَمْ تَتَغَيَّرْ جُثَّتُهُ حَتَّى وَجَدُوا لَهُ مَكَاناً يُدْفَنُ فِيهِ.

وَإِنْ كُنَّا نَجْهَلُ مَكَانَ دَفْنِ أَبِي طَلْحَةَ، إِلَّا أَنَّنَا لَا نَجْهَلُ مَكَانَتَهُ، وَلَا قَدْرَهُ، وَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الشُّهَدَاءِ.

الدروس المستفادة

(١) الإِسْلامُ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ والمرأةِ، بَلْ كَرَّمَ المرأَةَ وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِها.

(٢) عبادةُ الله وحده لا شريك له.

(٣) التفاني في خدمة الله ورسوله والإسلام.

(٤) الصَّومُ والجهادُ من العبادات الهامَّة في الإسلام.



(١) دافعَ أبو طلحة عن رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ بِتُرْسِهِ وَقْوسِهِ، فكيفَ يكون دفاعنا عن رسول الله ﷺ بعد موته؟

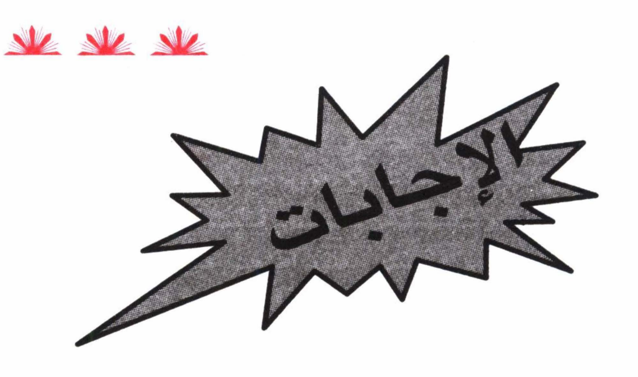
(2) اذكر الاسم:

* بستان كان أحبَّ مالِ أبي طلحة إلى نفسه وتصدق به على المسلمين.

* امرأة مسلمة، كان مَهْرُها الإسلام، وقد تزوجها أبو طلحة.

* الاسمُ الحقيقيُّ لأبي طلحة.

* أطلق لقباً على أبي طلحة من خلال مطالعتك لقصته؟



بيرحاء، أمُّ سليم، زيد بن سهل.

سيرة أُبيِّ بنِ كَعْب - رضي الله عنه -

خَزْرَجِيٌّ مِنَ الأَنْصارِ، بَايَعَ رَسُولَ اللهِ مَعَ السَّبْعِينَ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ.

وَكَانَ يُكَنَّى (أبَا الْمُنْذِرِ) وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ حَفِظُوا الْقُرْآنَ كُلَّهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَحَدُ مَنْ كَانُوا يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ، وَكَانَ كَاتِباً لِلْوَحْيِ، وَمُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ، شَهِدَ كُلَّ الْغَزَوَاتِ وَالْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ.

تَصَوَّرْ أَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا اجْتَمَعَتْ فِي [أُبَيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدٍ الْخَزْرَجِيِّ الأَنْصارِيِّ]. وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَجِيباً أَنْ يَقُولَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أُبَيٌّ سَيِّدُ الأَنْصَارِ.

كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ - رضي الله عنه - وَاحِداً مِمَّنْ أَسْرَعُوا إِلَى الإِسْلامِ، وَأَحَدَ المؤمنينَ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ - رضي الله عنه -.

أَسَرَهُ القُرْآنُ بِحُلْوِ لَفْظِهِ وَجَمِيلِ مَعْنَاهُ حَتَّى مَلَكَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا، وَأَحَبَّ رَسُولَ اللهِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ.

وَتَمَنَّى لُقْيَاهُ، فَأَغَذَّ السَّيْرَ إِلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ الأَنْصَارُ

يَلْتَقُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ.

وَهُنَاكَ طَالَعَ (أُبَيٌّ) وَجْهَ رَسُولِ اللهِ فَمَا ازْدَادَ إِلَّا يَقِيناً فِي نُبُوَّتِهِ، وَعَرَفَ صِدْقَهُ وَعَادَ إِلَى المدينةِ فَرِحاً بِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ، مُشْتَاقاً لِلِقَائِهِ ثَانِيَةً.

وَرَاحَتِ الأَيَّامُ تَمُرُّ بَطِيئَةً حَتَّى كَانَ أَسْعَدُ الْأَيَّامِ لِأَهْلِ المدينةِ جَمِيعاً، فَقَدْ جَاءَ رَسُولُ الله مُهَاجِراً إِلَى المدينةِ فَأَضَاءَتْ أَرْكَانُهَا، فَصَارَتْ كَالْعَرُوسِ زَيَّنُوهَا لِتُزَفَّ إِلَى صَاحِبِهَا، وَاتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ مَسْجِدَهُ لِيَكُونَ جَامِعَةً لِلْمُسْلِمِينَ تَجْمَعُهُمْ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَمَدْرَسَةً يَتَعَلَّمُ فِيهَا القَاصِي وَالدَّانِي مَبَادِئَ الإِسْلامِ وَتَعَالِيمَهُ.

***

وَفِي مَدْرَسَةِ النُّبُوَّةِ جَلَسَ الطَّالِبُ النَّابِغَةُ [أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ] يَتَلَقَّى تَعَالِيمَ النُّبُوَّةِ.

وَاتَّخَذَهُ رَسُولَ اللهِ كَاتِباً لِلْوَحْيِ، فَوَضَعَ أُبَيٌّ قَلَمَهُ عَلَى أُذُنِهِ يَنْتَظِرُ مَتَى يَأْمُرُهُ رَسُولُ اللّهُ لِيَكْتُبَ آيات اللهِ.

وَتَتَنَزَّلُ الآياتُ غَضَّةً طَرِيَّةً فَيَفْتَحُ أُبَيٌّ قَلْبَهُ لِآيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

فَإِذَا بِهَا تَجْلُو قَلْبَهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مِرْآةٌ نَاصِعَةٌ

الْبَيَاضِ، فَيَعْلُو صَوْتُ الإيمانِ فِي قَلْبِهِ، بَلْ لَا صَوْتَ غَيْرُ صَوْتِ القُرْآنِ يَتَرَنَّمُ بِهِ أُبَيُّ بْنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه -، فَقَرَّبَهُ رَسُولُ اللهِ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَأَدْنَاهُ مِنْهُ، فَصَارَ أُبَيٌّ أَعْلَمَ المسلمينَ بِالْقُرْآنِ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِأُبَيٍّ بْنِ كَعْب: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ**: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾» [البينة: ١].

فَقَالَ أُبَيٌّ مُتَعَجِّباً: وَسَمَّانِي لَكَ اللهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». فَلَمْ يَغْتَرَّ أُبَيٌّ بِعِلْمِهِ، وَلا بِرِضَا اللهِ عَنْهُ، بَلْ رَاحَ يَبْكِي فَرَحاً بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ، وَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحِ الْمُؤْمِنُونَ.

وَفِي مَوضِعِ آخَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ.

فَقَالَ أُبَيٌّ: بِاللهِ آمَنْتُ، وَعَلَى يَدِكَ أَسْلَمْتُ، وَمِنْكَ تَعَلَّمْتُ. فَرَدَّدَ رَسُولُ اللهِ وَرَاءَ كَعْبٍ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَرَدَّدَ مَا قَالَهُ لِكَعْبٍ مِنْ ذِي قَبْلُ.

فَقَالَ كَعْبٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ ذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ يَعْنِي فِي السَّمَاءِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ باسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي الْمَلأِ الأَعْلَى**». قَالَ أُبَيٌّ: إِذَنْ فَاقْرَأْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ.

وَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبَكَى أُبَيٌّ، بَكَى بُكَاءَ الْفَرَحِ بِفَضْلِ اللهِ، وَهَكَذَا ارْتَبَطَ أُبَيٌّ بِالْقُرْآنِ حَتَّى حَفِظَهُ كُلَّهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُوَجِّه أَنْظَارَ المسلمينَ إِلَى عِلْمِ أُبَيٍّ وَفِقْهِهِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ**»؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

وَفَرِحَ رَسُولُ اللهِ بِعِلْمِ أُبَيٍّ وَفِقْهِهِ، فَضَرَبَ عَلَى صَدْرِهِ مُهَنِّئاً إِيَّاهُ يَقُولُ: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ**».

***

وَبَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَفْتُونَ أُبَيّاً فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، فَقَدْ كَانَ فَقِيهاً فِي أُمُورِ الإِسْلامِ وَشَرِيعَتِهِ.

وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْمُصْحَفَ هُوَ وَعُمَرُ، كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يُمْلِي المصحف عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ، وَتَكَرَّرَ الْمَوْقِفُ ثَانِيَةً فِي عَهْدِ عُثْمَانَ

ابْنِ عَفَّانَ - رضي الله عنه - ، وَكَانَ عُمَرُ يَرى فِي أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ مِثَالًا لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَتفَرَّغَ لِلْعِلْمِ لَا يَنْشَغِلُ بِأَيِّ أَمرٍ آخرَ فَلَمْ يَسْتَخْدِمْهُ عَلى إمَارَةٍ أَوْ وِلايَةٍ فَلَمَّا سَأَلَهُ أُبَيٌّ: مَا لَكَ لا تَسْتَعْمِلُنِي؟

فَقَالَ عُمَرَ: أَخَافُ أَنْ يُدَنَّس دِينُكَ.

فَالْعُلَمَاءُ مِنْ أَمْثَالِ أُبَيٍّ لَا بُدَّ أَنْ لا يَكُونَ لَهُمْ دَأْبٌ إلَّا القُرْآن، وَلَا يَشْغَلَهُمْ عَنْهُ شَيْءٌ، وَعَلِمَ عُمَرُ جَيِّداً أَنَّ أُبَيّاً - رضي الله عنه - كَانَ يَخْتِمُ القُرْآنَ كُلَّه فِي ثَمَانِ لَيَالٍ.

فَكَانَ يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، وَسَمَّاهُ عُمَرُ: سَيِّدَ المسلمينَ، وَكَنَّاهُ (أَبَا الطُّفَيْلِ).

وَلَمَّا جَمَعَ عُمَرُ المسلمينَ عَلَى صَلاةِ التَّرَاوِيحِ لَمْ يَجِدْ خَيْراً مِنْ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ لِيَجْعَلَهُ إمَاماً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَاجْتَمَعُوا عَلَى صَوْتِ أُبَيٍّ يَؤُمُّهُمْ فِي الصَّلاةِ، فَلَمَّا مَرَّ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - عَلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ بِاللَّيْلِ وَهُوَ مُضِيءٌ تَنْبَعِثُ مِنْهُ أَنْوَارُ الْقُرْآنِ، وَأَنْوَارُ الْمَصَابِيحِ، وَعَقِيرَةُ أُبَيٍّ تَشْدُو بِالْقُرْآنِ قَالَ: نَوَّرَ اللهُ قَبْرَ عُمَرَ كَمَا أَضَاءَ لَنَا مَسَاجِدَنَا.

ذَاتَ يَوْمٍ قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا جَزَاءُ الحُمَّى؟

فَقَالَ: تَجْرِي الْحَسَنَاتُ عَلَى صَاحِبِهَا مَا اخْتَلَجَ عَلَيْهِ قَدَمٌ، أَوْ ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ.

فَقَالَ أُبَيٌّ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُمَّى لَا تَمْنَعُنِي خُرُوجاً فِي سَبِيلِكَ، وَلَا خُرُوجاً إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا مَسْجِدِ نَبِيِّكَ، وَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ أُبَيٍّ.

فَكَانَ دَائِماً مَحْمُوماً، إِلَّا أَنَّهُ يَخْرُجُ لِلْجِهَادِ، وَلِلصَّلاةِ، وَلِلْحَجِّ، فَقَدْ غَنِمَ أَجْرَ الْمَرَضِ، وَأَجْرَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

ثُمَّ إِنَّهُ ذَاتَ مَرَّةٍ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ تَرَكَ شَيْئاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَبْدَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

وَكَثِيراً مَا خَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ، وَذَرَفَ الدَّمْعَةَ بُكَاءً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا كَانَ المسلمونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ، حِينَ كَانَ الْوَحْيُ يَتَنَزَّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِكُلِّ خَيْرٍ يَتَعَلَّمُونَهُ، وَيَحْفَظُونَهُ خَاصَّةً هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي كَانَ كَاتِباً لِلْوَحْيِ، يَنْتَظِرُ الجَدِيدَ مِنْ آيِ اللهِ يَكْتُبُهَا بِيَدِهِ

وَيُرَدِّدُهَا بِلِسَانِهِ، وَيَحْفَظُهَا بِقَلْبِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مُطَبِّقاً لَهَا فَجَمَعَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ.

وَإِذَا بِهِ يَصْرُخُ: لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَوُجُوهُنَا وَاحِدَةٌ، فَلَمَّا فَارَقَنَا رَسُولُ اللهِ اخْتَلَفَتْ وُجُوهُنَا يَمِيناً وَشِمَالاً.

وَكَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ للهِ تَعَالَى، كَثِيرَ التَّفَكُّرِ وَالاعْتِبَارِ، يَبْكِي إِذَا تَذَكَّرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنَ الأَهْوَالِ وَالصِّعَابِ.

وَحِينَمَا أَحَسَّ أُبَيٌّ بِقُرْبِ الْفِتْنَةِ، وَهُجُوم الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا عَلَى المسلمينَ رَاحَ يُكْثِرُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، وَيَرْجُو لِقَاءَ اللهِ، حَتَّى أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فِي سَنَةِ ثَلاثِينَ قَبلَ أَنْ يَرَى بِعَيْنِهِ سُيُوفَ المسلمينَ قَدِ ارْتَفَعَتْ يَضْرِبُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

رَحِمَ اللهُ سَيِّدَ الأَنْصَارِ، وَسَيِّدَ المسلمينَ.

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة

(١) حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَخِدْمَتُهُمَا.

(٢) الجِهَادُ وَالْعِلْمُ صِفَاتِ المؤمنينَ.

(٣) حِفْظُ القُرآنِ الكَريم وتَلاوَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ.



أكمل هذه الأقوال الآتية؟

* قال رسول الله ﷺ لِأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ لِيَهْنك أبا ....

* قال رسول اللهُ ﷺ لِأُبَيٍّ هذا سيد ......
وقال عمر هذا سيد ....

* قال عمر: من أراد أن يسأل عن .... فليأتِ أُبَيَّ بن كَعْب.

* مَنْ هو الذي قال له رسول الله ﷺ: إن الله أمرني أن أعرض عليك القرآن؟.

اذكر عدة أشياء اجتمعت لأبيٍّ بن كعب - رضي الله عنه -؟



* العلم، المنذر، الأنصار، المسلمين، القرآن.

* أُبيُّ بن كعب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس